

عَمَانُ عِبْرَتِ الشَّارِخِ

تأليف

الفقيه الفاضل الشيخ

مسالم بن حمود بن شامس السيابي

الجزء الأول

الطبعة الخامسة

١٤٩١ هـ - ٢٠٠١ م

اهداءات ١٩٩٨

وزارة التراث القومي والثقافة
سلطنة عمان

عُمانُ عبرِ التاريخ

تأليف

الفقيه الفاضل الشيخ

سليمان بن محمد بن سائس السبائي

الجزء الأول

الطبعة الخامسة

١٤٢١م - ٢٠٠١م



مؤلف الكتاب

(ترجمة مؤلف الكتاب)

تمهيد

بقلم : سليمان خلف الخروصي

اهتم العرب بعلم التاريخ اهتماما بالغا ، واعتنوا به عناية فائقة ، وعلى أيدي علماء التاريخ ارتقى هذا العلم الانساني في سرعة مرموقة ومكانة بارزة ، ففتحت أبوابه ، وتنوعت طرائفه ، وتمددت آفاقه وصارت له أهدافه السلمية ومنهجه العلمي الذي تميز به عن بقية العلوم ، فلولا التاريخ لجهلت الأنساب ، ونسبت الأحساب .

وعلى مر التاريخ يبرز علماء مؤرخون ومن أشهرهم الواقدي ، ومحمد ابن اسحاق والمدايني ، وابن الأثير والكلبي ، وابن قتيبة واليعقوبي ، والطبري ، وابن خلدون ، وابن خلكان .

وكان دور عثمان — قديما وحديثا — دورا بارزا . يذكر لعثمان مدى الأجيال ، وفي هذا العلم بالذات ، نجد لعثمان علماء مؤرخين طبقت شهرتهم الآفاق أذكر منهم الشيخ العلامة أبا سفيان محبوب بن الرحيل والشيخ العلامة المؤرخ سرحان بن سعيد السرحني الأزكوي على المشهور ، والامبو على من بنى سعد الطائيين نسبا على الصحيح مؤلف كتاب كشف الغمة ، والعلامة المؤرخ ابن رزيق النخلي مؤلف كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين ، وكتاب الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عثمان الذين طبعتهما وزارة التراث القومي والثقافة والشيخ

العلامة سليمان بن بلعرب بن عامر النزوى مؤلف كتاب المؤتمن في ذكر مناقب نزار واليمن • والشيخ العلامة محمد بن خميس السيفى النزوى والشيخ العلامة عامر بن سليمان الريامى الأزكوى والشيخ العلامة الجليل نور الدين السالمى وغيرهم كثير • ويبرز علامتنا المترجم له مؤلف هذا الكتاب ، الذى هو بين أيدينا ، كفارس من فرسان هذه الحلبة ، أو رائد من رواد علم التاريخ •

« من هو مؤلف الكتاب »

في الواقع هو غنى عن التعريف ، فهو أجل من أن يذكر ، وشهرته العلمية الواسعة غير منكورة وحياته العمالية الثمينة غير مجهولة ، ولكن من خلال هذه الأسطر القليلة نتعرف على بعض الجوانب المهمة لنقدمها للقارىء الكريم ، عن هذا العلامة الجليل الكبير •

« اسمه ونسبه »

هو الشيخ العلامة الجليل سالم بن حمود بن شامس بن خميس بن على بن عبيد السببى ومن المشهور أن قبيلة آل المسيب العمانية ينتمى نسبها الى القائد البطل شهاب بن النويرة التغلبى المعلم المشهور « بذى قار » الواقعة المشهورة في أيام العرب في الجاهلية ، فمسيب وحبس القبيلة الشهيرة المعروفة بالشرقية في عثمان إخوان ينتميان الى شهاب بن النويرة المذكورة آنفا •

« مولده ونشأته »

ولد العلامة المترجم له بقرية « غلا » من أعمال بوشر في سنة ١٣٣٦ هجرية الموافق ١٩٠٨م وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين ، وذلك من فرط ذكائه وكثرة حفظه ودرس تلقين الصبيان وملحة الاعراب للهريري والفية ابن مالك في سن مبكر بنفسه بدون أن يتلمذ على شيخ ، بل ثقف نفسه بنفسه ثم توجه الى سمائل الفيحاء التي استوطنها فيما بعد وكانت آنذاك تزخر بالعلماء الأكابر فدرس على الشيخ العلامة خلفان بن جميل السيابي أصول الدين والفقه وأصول الفقه والفرائض ولازمه ليلا ونهارا كما لازم الشيخ العلامة الشهير أبا عبيد حمد بن عبيد السليمي وأخذ منه أيضا علما وافرا . كما أشبع طموحه العلمي بمجالسته للامام الرضى محمد بن عبد الله الخليلي ومذاكرته لكل من المشايخ العلماء سعيد بن ناصر الكندى ومحمد بن سالم الرقيشي وعبد الله بن عامر العزري ، فقد أذن لكل مواهبه أن تتشط وتتألق ومازال يجذب في التحصيل وجمع العلم ، حتى صار فحلا من فحول العلماء الذي يشار اليهم بالبنان . وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره .

« صفاته وبعض من أخلاقه »

يعتبر اليوم من أكبر علماء عثمان وأجلهم ، فهو من فحول العلماء المرموقين مكانة وصدارة في هذا العهد المشرق الزاهر وبالتالي هو سمح جواد حسن الاخلاق شريف النفس نقي السيرة ، آية في الحفظ والذكاء والفهم ، ومن أنشط الناس للقراءة والكتابة — فلا يرى

الا قارئاً أو كاتباً • يحب مكارم الأخلاق ويعشق المعامد منذ صباه ،
علامة غيور من الآمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر لا يخاف في الله
لومة لائم •

وهو فيصل في الأحكام ، شهم شجاع ، أبى الضيم ، ماضى
العزيمة صعب الشكيمة ، منيع الجانب ألف مألوف محبوب عند الناس ،
يحب الوحدة وجمع الشمل ، ومن الدعاة الى التمسك بكتاب الله العظيم
وسنة رسوله الكريم •

وصفه الامام محمد بن عبد الله الخليلى ، بأنه ممن تسد به الثغور
ويوجه في مهمات الأمور ، كما وصفه الشيخ الفقيه محمد بن راشد
ابن عزيز الخصيبى في قصيدته المسماة سموط الجمان في أسماء شعراء
عُمان فقال :

وفقيه مؤرخ وهو علامة هذا الزمان ذو المكرات •

السيابى سالم ابن حمود
فأراجيزه من الرائعات

سيما نظمه المسمى بارشاد الأثنا
م المبين الخافيات

« أعماله »

لما تألق نجم العلامة المترجم له ، وعلا ذكره ، استدعاه الشيخ
الجليل على بن عبد الله الخليلى والى محافظة بوشر ، ليكون مدرسا

لأولاده ، وذلك في عام ١٣٥٠ هـ ، فقام بأمر التدريس خير قيام وتادب عليه حوالى « ٤٠ طالبا » ولما أن توفى الشيخ العلامة سعيد بن ناصر الكندى قاضى محافظة بوشر ومفتيها رضى الله عنه • عُن قاضيا في بوشر وذلك في سنة ١٣٥٢ هـ وبقي بها قاضيا حتى سنة ١٣٥٩ هـ فانفصل من العمل لظروف خاصة ورجع الى سماء التي استوطنها • وفي سنة ١٣٦٠ هـ عين واليا وقاضيا على نخل ومتعلقاتها ، فتحمل المسؤولية وهو أهل لها وكان بها الحاكم القدير الادارى ، والقاضى المنصف الحكيم • ثم في سنة ١٣٦٩ هـ عُن واليا الى جعلان بنى بئحسن فبقى هناك ، واليا وقاضيا ثم انفصل عن العمل لأسباب دعت ذلك ، ثم استدعاه السلطان سعيد بن تيمور فعينه رئيسا لمحكمة الاستئناف وبقي بها مدة ثم ولاء محافظة السيب فأقام بها واليا حوالى عام واحد ثم نقله السلطان سعيد الى الكامل والوافية من جعلان ليكون واليا وقاضيا ، ثم استدعاه السلطان فعينه قاضيا في المحكمة الشرعية بالعاصمة ، وبقي منذ ذلك اليوم قاضيا ؟ بها •

ولما أشرق فجر الانتفاضة المباركة أو الحركة التصحيحية المجيدة بقيادة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم • حفظه الله كان هو في مقدمة القضاة بالمحكمة الشرعية بالعاصمة مسقط ومن أبرز العلماء المرموقين لحكومة صاحب الجلالة المعظم • ثم في أول هذا العام ١٩٨٢ م • نقلت خدماته من وزارة العدل الى وزارة التراث القومى والثقافة ، ليتفرغ فضيلته في تحقيق الكتب العلمية والتاريخية ، التى تطبعها وزارة التراث القومى والثقافة لما له من باع طويل وسعه وادراك في كل الفنون •

« مؤلفاته »

ان مؤلفاته الكثيرة التي تزيد على (٥٠) مؤلفا في كل الفنون تدل على غزارة علمه ، وسعة اطلاعه . وبالتالى تدل على خلق عظيم ونفس عالية وهمة سامية ، بالاضافة الى أنه شاعر كبير ، وأديب بارع ، فهو في الأدب والشعر قد ضرب بسهم بعيد المرمى ، واليك أيها القارئ الكريم أسماء أهم مؤلفاته :

١ — إرشاد الانام في الأديان والأحكام نظم في مائة وعشرين ألف بيت
ما يقارب ١٠ مجلدات .

٢ — العقود المفصلة في المسائل الموصلة — مجلدان — (٣٠) ألف
بيت .

٣ — العرى الوثيقة شرح كشف الحقيقة في المذهب الإباضى وأصوله .

٤ — مطالع الأقطار على مقاصد الأبرار شرح رجز للشيخ العلامة أحمد
ابن سعيد الخليلي . في الوصايا مجلد واحد .

٥ — إعانة الحكام بقواعد الأحكام نظم الورد البسام .

٦ — جوهر التاريخ المسمى في سيرة الرسول الأعظم ﷺ .

٧ — معالم الاسلام في الأديان والأحكام — قصائد مطولات حوالى
٢٠ ألف بيت .

٨ — العنوان في تاريخ عثمان — مطبوع .

٩ — الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز — مطبوع .

- ١٠ — الاسعاف في التاريخ العثماني مطبوع •
 - ١١ — إزالة الوعشاء في اتباع أبي الشعثاء — مطبوع •
 - ١٢ — طلاقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الأياضي — مطبوع
 - ١٣ — عثمان عبر التاريخ — الكتاب الذي بين أيدينا •
 - ١٤ — أغلى التحف في أصول الشرف •
 - ١٥ — أصفى الحياض في مذهب ابن أباض •
 - ١٦ — هدى الفاروق •
 - ١٧ — فصل الخطاب في السؤال والجواب •
 - ١٨ — كتاب في السلوك •
 - ١٩ — العقود المنظمة في الخيل المسومة — مطبوع •
- اكتفى بذكر هذه المؤلفات القيمة الجليلة ، والله أسأل أن يمد
الشيخ العلامة المؤلف بصحة وعافية ، ويطيل في عمره ،
- وختاما لا يفوتني أن أسجل آيات الشكر والثناء لمصاحب السمو
السيد فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة
على ما بذله وببذله من جهود جبارة — على ضوء التوجيهات السامية
لاستخراج هذه الكنوز الثمينة وطبعها ونشرها في أغلب أنصاء
المعمورة والله ولي التوفيق ...

حرر : ٣ من رجب سنة ١٤٠٢ هـ

٢٧ أبريل سنة ١٩٨٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل للتاريخ مستودع أخبار الأمم على اختلاف
أجناسها ، وجعل أهل أمناء فى أمته لحفظ حوادثها وأحكامها • مع تباين
مقاصدها وتباعد أمراسها ، فخلد للآتين أخبار الماضين ، وأعرب للمقبلين
عن حوادث الزاهيين ، وندد بأهل الباطل فى مجمع الضالدين ، وصرح
بحق أهل الاستقامة فى المسلمين ، وكشف القنصاع عن مساعى البغاة
فى المؤمنين من الأولين على توالى الأزمان الى يوم الدين •

أما بعد • فهذا تاريخ عمان الذى وفق الله له وأعان ، جمعناه
من الكتب المتبعثرة ، والرسائل المطولة والمختصرة ، والفناء بعناء
لا يقاس عليه ، وبذلنا الجهد لإدراكه ، وهذا ما حصلنا عليه ، وإن كان أكثره
كنفقاء مغرب ، لأنه غالبا لم يدون ، وما دون منه لم ينشر ، ولم يتبين ،
ولكن بعض ما وجدناه ربما أغنى عما فقدناه ، ومن لم ينفعه قليل
الحكمة ضره كثيرا ، ومن أين لنا أن ندرك المفقود من تاريخ عمان ،
وقد لعبت به أيدي الحدثان ، ومزقته طيلة الأزمان ، وهذا الجزء الأول
منه يشتمل على مقدمة وخمس حلقات •

المقدمة : فى علم التاريخ وفوائده وحكمته وأصوله التى يقوم عنها •

الحلقة الأولى : فى التعريف بعمان قديما وحديثا •

الحلقة الثانية : فى بيان الأمم التى قطنت عمان من الأمم التى مرت
بها المصور الخالية ، والأيام الماضية ، من الأمم البائدة والباقية •

الحلقة الثالثة : في نزول مالك بن فهم بعثمان وحروبه للفرس بها
الى انتهاء أمرهم •

الحلقة الرابعة : في بدء الإسلام بعمان الى إنقضاء أيام الخلفاء
الأربعة •

الحلقة الخامسة : في فضائل أهل عمان ومشاهيرهم في صدر الإسلام
وبه يتم الجزء الأول ان شاء الله من تاريخ عمان •

مقدمة

قال الامام السالمى رحمه الله تعالى : « لا يخفى على عقل أن علم التاريخ مما يعين على الاقتداء بالصالحين ، ويرشد الى طريقه المتقين ، لأن فيه ذكر من مضى من صالح وطالح ، فاذا سمع العاقل اخبار الصالحين اشتاقت نفسه أن يكون من جملتهم ، واذا سمع أخبار الطالحين أشفقت نفسه أن يقتفى آثارهم ، أى فيعد من أنصارهم ، فتراه بذلك يقتفى آثار من صالح ، ويتجنب أحوال من طالح . » •

فترى هذا العالم الجليل يجعل علم التاريخ مما يعين على لاقتداء بالصالحين . وذلك من أفضل ما يرشد الانسان الى الأعمال الصالحات ، ولا شك أن ذكر أخبار الصالحين يصقل قلوب المؤمنين طبعاً ، وأصدق داعية لهم الى الله قطعاً ، وكما أن مجالسة الصالحين تقود الانسان العاقل الى خيري الدنيا والآخرة ، فكذلك ذكر أخبار من صالح ، وكيف لا والتاريخ سر من أسرار العلوم الكونية ، وضع الله أصوله في كتابه العزيز وأبرزه فيه بأشبه من سلاسل الابرار ، قال الله عز وجل : (أولم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود) • وقال عز وعلا : (فاقصص القصص) الآية في أمثالها •

وقد شرح الله في كتابه العزيز تاريخ الحوادث في الأمم الماضية ، والأيام الخالية ، وأيد ذلك الرسول ﷺ بقوله : ولدت زمن الملك العادل • ولا تنس عام الفيل وما وقع فيه من أمر عظيم وخطب جليل ، وقد أجمع العلماء الأجلاء على شرفه وفضله ، وبيينوا مقامه بين العلوم الاسلامية • واذا هو حافظ الأمة ، وخازن سرها في كل جيل ، فإنه حفظ بعث النبيين ورسالات المرسلين ، والى من أرسلوا اليه ، وبماذا أرسلوا • وأخبرنا عن الفراعنة والإكاسرة • والتبابعة والقياصرة ، ودون لنا أعمال

الامم الظافرة والفاصرة ، وعرفنا سالف الأمم قبلنا ، ورأينا فيها
الصالح والطالح ، وأدركنا منها المؤمنين ومقاصد المتقين ، وبغى
المضلين وفساد الحائرين ، وسوء أعمال المجرمين ، واستفدنا من
سياسات المصلحين ، وأفعال المتقين ، ومن اجتهد وجاهد في الله لارغام
الكافرين ، ومن جد لارشاد الأمم الى سبل الخير من المخلصين ، فكان
لهم في عالم الحياة الذكر الحسن والفضل المبين ، وأخبرنا عن ثام
على فراشه راضيا بمعاشه ، ومن عمل بما فرض عليه ، ومتى كلف
وافترض ، وعلى من أوجب فقام ، ومن صد فربص ، مراغما لمن قام
بواجبه ونهض ، وعلمنا الأئمة وما مشوا به ومن قام معهم فأقامهم ومن
قام عليهم فكان ضدهم ، ومن دعا الى الحق فاضطهد وشنق ، ومن
تجرد لله ناصرا لدينه ، ومن دعا لأحياء الشريعة بواضح الحق
وصحيح براهينه . ولا يخفى ما في ذلك من حكمة ، ولا يجهل ما يثمره
التاريخ للعقول القوية من نشاط ، وما تتحرك به القلوب الضعيفة من
اغتياب ، وما يستحق به الثناء على الفعل الجميل ، وما يلزم به
الذم والتقييح لأهل التعطيل .

فالتاريخ داعية الأمم الآتية لسلوك طريق الأجيال الماضية ، فهو
المعبر عما سلف من عز وشرف لأهل الوفاء ، والمخبر عن خلا من أهل
الجفاء ، فيختار المخلص من مسالك أولئك المنهج الصحيح ، ويصطحب
الى قصده لذلك كل عمل مليح ، ويتبع في سيره وسراه كل أمر
صحيح ، فالتاريخ على الاجمال جمال الرجال الكمل ، وكمال الأبطال
في كل الملل ، والحاث على الأعمال الفاضلة لكل شريف ذي نبل ، وهو
الترجمان المعبر عن سالف الدول ، طالما حدث التاريخ عن الأئمة
الصالحين ، وبين من أعمال الحق في العالمين ، وكم أنبأ عن أعمال
الحورة المتفطرسين ، ليجنب أفعالهم كل كريم مصلح في الدين .

وهل نعلم نحن لولا التاريخ ما فعل أئمتنا الأولون ، وما
عمله أهل الحق من العلماء الأكرمين ، وهم مجتهدون ، وما مشى عليه

المبتلون بأمور الأمم التي عاركتهم للتغلب عليهم ، وما قابلوا به أعداءهم من الصبر والثبات ، وما مال اليه في أثناء ذلك عند مساجلة الحروب لنا وعلينا ، وإذا أكبر العلماء التاريخ فقد أدوا واجبا على عواقبهم عظيم المسئولية ، وجاء في الكتاب العزيز قوله عز وجل ، قصصا عن أمم ضلت في حياتها الطريق ، وسلكت بعتوها المضيق ، قال الله فيهم : (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية . وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخطئة . فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية . إننا لمنا طغى الماء حملناكم في الجارية . لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) الى آخر الآيات القاصة عن أحوال هؤلاء الناس الذين تمردوا على الله ، وعتوا على رسله وجاروا في عباده ، وطفخوا في بلاده فأذاقهم لباس الجوع والخوف .

وكم قص الله قصص النبيين في الكتاب المبين ، وحسبك قصة نبينا سليمان بن داود عليهما السلام . وما صار بينه وبلقيس ملكة سبأ ، فذكر الله فيها الهدد ، وما جاء به ، وسليمان وجنوده ، وبلقيس وعرشها ، وما دار بين نبي الله سليمان والعفاريت في جلب عرشها . وارهباها بتلك الآيات الباهرة ، وذكر الله سياستها وغزارة عقلها ، إذ قال لها نبي الله ﷺ : أهكذا عرشك ، مختبرا لعقلها . وموهما لها فيه ، فأجابته بمثل ذلك . إذ قالت : كأنه هو . فلم تحقق ولم تنف ، إذ تعارضت الأحوال عندها ، يقينا وعادة ، وانظر قوله عز وجل : (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النضر من قبيله) الآية .

وفي الحديث : « القرآن حبل الله المتين فيه خبر ما قبلكم ونبا ما بعدكم وحكم ما بينكم » . لذكر فيه خبر ما قبلنا ونبا ما

بعدنا • وهذا أصل من أصول التاريخ ، وإذا أطلق العلماء التاريخ فالمراد به أخبار الأمم الماضية ، وسيرهم وحوادثهم على العموم •

ولا شك أن لكل أمة تاريخا خاصا بحوادثها في حلها وترحالها وأخبار كل جيل على حدة ، وحوادث الملوك وقتال أعاديهم وما أحدثوا من خطط ، ووضعوا من قوانين ، وأبانوا من أسرار فلهمذا ان مادة تاريخ الأمم على اختلاف أحوالها ، وما بنت وهدمت وما أبدت وما أعادت ، وما طوت من أعمال ، وما نشرت من خصال ، فالتاريخ له تعلق بكل شيء ، فتعلقه باللغة من حيث حدثت ، وعلى يد من حدثت ، ومن أول من لغابها ، وفي أي عهد نشأت وله تعلق بآدابها ولأسبابها ، وبالأحكام الشرعية • على من أول ما أنزلت ، وما أول حكم وقع ، ومن هو أول حاكم ، وأي أول دولة قامت في هذا الكون ، ومن أول من قام بها وما صفة قيامها ، وماذا صنعت ، وعلى أي حال انقرضت • وما هي الأسباب التي قضت عليها ، ومن قام بالعلوم الطبية ، ومن برع فيها ، ومن اخترع الكيماويات الى ما وصلت اليه الآن ، ومن أول من اخترع السلاح ، وعمل به في الكفاح حتى تطور الى ما يعلم ما عليه الآن •

ولولا التاريخ من أين لنا أن نعلم الناسخ والمنسوخ من أحكام الله عز وجل ، وهو قسم عظيم في الأحكام والحجة في معرفته التاريخ الصحيح، ولو قيل ان التاريخ يشتمل على نصف العلم لكان غير بعيد ، لأن عليه تنقرب أمور كالعدد والنفقات ومواقيت الحج وقعيين أوقات الزكاة ، وعدد المطلقات في أشياء يطول ذكرها • ولا ريب فان مدار أمور الدنيا عليه — ولولا التاريخ من لنا أن ندري اجماع المسلمين فيما أجمعوا فيه حلا وحرمة ، وهو من قواطع الأدلة في الاسلام ، ومن أمهات القواعد في الأحكام ، كما يشهد له الكتاب العزيز والسنة النبوية •

ولولا التاريخ من أين لنا علم الهجرة ، وكم فيها من أحكام تختص بها في الاسلام ، وبمن هاجر وأحكام المهاجرين •

ولولا التاريخ فمن لنا بمعرفة الامامة الصديقية ووقوعها ، والقائمين بأمرها واحتجاجهم على اخوانهم الأنصار فيها ، ومن أين لنا أن نعرف عن الشورى ، وما جاء فيها — ولولا التاريخ فمن ذا الذي يعرفنا أحوال من خالف الحق من الأمويين والعباسيين وأمثالهم ، وهل يعلم الانسان سياسات الملوك ورئاسات الممالك ، ومتى نعلم عن قصة عمر بن الخطاب في طاعون عمواس ، وما رآه المسلمون فيه من أمر واتفاق مشيخة المسلمين على الحكم بالواقع فيه ، خلاف السامع به ، وما اتفق عليه المسلمون •

ولولا التاريخ من لنا بتوضيح تأسيس المذاهب ، ومتى ذهب اليها المذاهب ، وبماذا يظهر فضل السبق للحق ونحوه •

ولولا التاريخ متى نعلم عدد المطلقات تحليلاً ، وعدد الحيض والنفاس والرضاع المحلل والمحرم ، كما قال الله عز وجل : (حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) ، ومتى تخرج المرأة من عدة زوجها طلاقاً أو موتاً ؟ ومتى تحل النفقات وحضور آجال المحقوق المتعلقة بالذمم ؟ ومن أصول التاريخ قوله تعالى : (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) • الى قوله : (منها قائم وحصيد) وقوله : (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) •

وكما فهمت عن الامام العالى رحمه الله ، قوله : لا يخفى على عاقل أن علم التاريخ مما يعين على الاقتداء بالصالحين ، ويرشد الى طريقة المتقين ، فتراه يجعله علماً مستقلاً ، وأنه يرشد الى طريقة المتقين ، وهذا من أعظم فوائد العلوم في الاسلام ، فان الارشاد الى طريقة المتقين ، والاعانة على سلوك الصالحين من المسلمين ، أمر مطلوب في الدين •

ولولا التاريخ من أين لنا أن نعلم ما صار على الخليفة الثالث عثمان ، وما عده عليه القاتمون ضده حتى قضوا عليه بذلك ؟ ومن لنا أن نعرف ما صار بصفين بعد الجمل وبما استحل المسلمون القتال وسفك الدماء وأحكام الأموال حلا وحرمة ، وكذلك ما صار بالنهر وان لى آخر ما عمل المسلمون ، وأيام الحجاج الطاغية الخبيث ، وما صار منه على أهل عمان وما وقع على الامام الجلندى بن مسعود رحمه الله على يد الأمير خزام بن خزيمة ، وقضية شيبان الخارجى . وعلى كل حال ان علم التاريخ حتى عند الافرنج له المقام الأعلى . والمؤرخ معهم معدود من العلماء الأجلاء لأن علم التاريخ يتضمن انتقاد القضايا ووزن الأعمال بميزان التحقيق تأبيدا للمصالح وأهله ، وتفنيدها للطلاح وذويه ، ولا شك أن أعمال المسؤولين في الأمة مثال يحتذيه التالى لهم ، ويحتج به من جاء بعدهم ، فما كان حقا كان من الواجب الركون اليه ، وما كان باطلا كان من اللازم التبعاد منه ، وقد يشير الى الحقائق التاريخية .

قول إمام أهل الأدب ابن جرير حيث يقول :

وإنما المرء حديث بعده

فكن حديثا حسنا لمن وعى

أى أن التاريخ يحفظ للانسان أعماله القولية والفعلية ، فعليك أيها الانسان أن تتحفظ في أعمالك كلها فتكون حديثا حسنا لمن يأتى بمحدثك ، فان لسان التاريخ يخبر عنك وما صنعت ، ويحفظ لك وعليك ما سر وما ساء .

واسمع ما يقول أبو طالب :

ذكر الفتى عمره الثانى إلخ .

أى أن الانسان يبقى له بعد موته عمره الثانى الذى هو ذكره .
فان كان الذكر حسنا كان له عمر حسن يتداوله الناس بعد ، ويمشون
على ضوئه ، وان كان الذكر سيئا ، كان على خلاف الأول ، قال فى (لقطه
العجلان مما تمس الى معرفته حاجة الانسان) .

فاعلم أن التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما يأتى بعده ، وقال
أيضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة ، تعد من أول زمن مفروض لتعرف
بها الأوقات المحدودة ، قال : « ولا غنى عن التاريخ فى جميع الأحوال
الدنيوية والدينية ، ولكل أمة من أمم البشر تاريخ تحتاج اليه فى
معاملاتها وفى معرفة أزمنتها المضروبة دون غيرها من بقية الأمم ،
وأول الأوائل القديمة . وأشهر ما يكون مبدأ البشر » .

وقال أيضا عن سعيد بن المسيب . قال : « جمع عمر بن رضى
الله عنه الناس فسألهم من أى يوم يكتب التاريخ » . فقال على بن أبى
طالب : « من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك » ، ففعله
عمر رضى الله عنه ، وعن سهل بن سعد الساعدي قال : « أخطأ الناس
فى العد ، فمما عدوا من مبعثه عليه الصلاة والسلام . ولا من وفاته
انما عدوا من مقدمه المدينة ، قال وعن ابن عباس رضى الله عنهما .
قال : كان التاريخ من السنة التى قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة ،
وقال قره بن خالد عن محمد : « كان عند عمر بن الخطاب عامل جاء من
اليمن ، فقال لعمر ، أما تؤرخون تكتبون فى سنة كذا وكذا من شهر
كذا وكذا ، فأمر عمر الناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله ﷺ .
وقيل رفع الى أمير المؤمنين شك محله شعبان ، ففسال أى شعبان ؟ أهو
من هذا العام أو من عام مضى أو عام يأتى الى آخر ما أطال فيه
صاحب (لقطه العجلان) ، وهو كتاب أكثره فى التاريخ ولوازمه وفوائده .

قال فى جواهر الأدب ، لأحمد الهاشمى : « التاريخ هو معرفة
أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم وسياستهم واعتقادهم وأدبهم

ولغتهم «، أى أن علم التاريخ له تعلق بهذه الأحوال كلها • وإذا
اعتبرت هذه الجملة رأيت لها عموما شاملا ، لأحوال الدنيا والآخرة ،
فإن النظر فى المعاش والسياسات مما يتعلق بأحوال الدنيا ، وما
يتعلق بالمعتقد والآداب واللغة ، يتناول أمور الدين التى هى النجاة
فى الآخرة أو الهلاك فيها والعياذ بالله •

وللتاريخ من هذه الوجوهات مقام عال فى نظر الفكر العربى ، وهل
التاريخ من خصائص أمة أو أمم أو هو لمطلق الأمم ، وهو الواضح كما
بينه فى لقطة العجلان ، فكل أمة عاشت أو تعيش فى جيل من الأجيال
لا بد لها من حوادث بحسب طبيعة حالها ، وما تدعو إليه آمالها ،
وبذلك يكون تاريخها مشتملا على قضاياها • ولأجل ذلك ترى الأمم أن
التاريخ عنوان أمته ، ودليل على خيرها وشرها ، إذ يعرب عن نواياها
ويبرهن على مالها من صعود وهبوط فى أدوار حياتها ، ومن حق
التاريخ الصادق الصحيح أن يكون مع الأمة كما هى ، حافظا لها
الحقائق ، وجامعا لها الدقائق ، واضعا كل شئ فى محله الذى يجب أن
يوضع له •

وللافرنج مزيد اعتناء بالتاريخ لأنه داعية الأمة أو البيئة ، أو القطر ،
وبه تعرف الأمم طيلة الدهر ، فإنه أعظم باعث للخلف ، للسير على نهج
السلف ، وأكبر دليل على حقيقة العناصر العالية والسافلة ، وأصدق
قيل على الشرف المتأصل فى الأمم الفاضلة ، ولا تتركه أمة فى حال رقيها
لما له من مقام عند السادة الأعلام ، والقادة الكرام على الدوام ،
ألا تسمع صاحب معالم الجزيرة يقول فى صدر كتابه : « حرام على
الأمم أن تفرغ من اشباع تاريخها القيم والحديث دراسة وتحليلا •
ونحن لا نزال ننتشغل بالتساؤل من الأمور ، لنعيش فى جهل بماضينا
وحاضرنا ، ومن ثم فى غفلة عما ينبغى أن نرسم من خطط المستقبل على
ضوء هداية التاريخ ، ولست أدري متى يقتبسه حملة الأقلام منا وولادة

الأمر فينا الى واجب كهذا ، أعتقد أنه من العوامل الأساسية
للنهضة التي نرجوها » .

هناظر في كلام هذا البطل الحر ، وهكذا رجال العمل ، وأنا
أعتقد أن ذكرى التاريخ من أعظم العوامل الفعالة في الانسانية ،
فلذلك يحتفل الافرنج بذكرى عظمائهم ، وأحاديث كبرائهم طيلة أزمانهم
ذلك لما للتاريخ من نفوذ روحى فعّال ، ولأجل ذلك لا تظهر الافرنج
تواريخ الأمم التي تسيطر عليها أو تريد السيطرة عليها ، ولذلك لما
أراد الامام السامى رحمه الله إعادة الإمامة فقام أولا بنشر تاريخ الأمة
العمانية فبرز في عالم القضاء ، ودرسه للطلبة وشاع بين رجال
الأمة ، وعرفوا أفعال أسلافهم وأعمال آبائهم ومقاصد أبطالهم ، فهبوا
متشوقين اليها ومتشوقين لها ، وكذلك طبع دواوين الشعر الحماسى
الداعى الى نبذ الخمول واعتناق النشاط ، فكان ذلك أعظم فاعل في
النهوض بالأمة حتى اهتزت من أعاليها وأدانيها ، وديوان الامام الحضرمى
كان أكبر مؤثر على قلوب الأمة ، فلقحت أفكارها وتلظى شرارها ، فتحرّكت
حركة شهداء التاريخ وضج العالم العربى العمانى حتى رفع عقيرته في
القبائل العمانية . وأقام الامامة على صرحها الكريم ، حتى أجلسها على
عرشها الذى فقدته أعواما . وكل ذلك بفضل دراسة أنباء سالف
الآباء ، وبما عرف من أفعال الأجداد الماضين ، ولا يزال التاريخ هكذا
طيلة الأدهر ، فان الأمم تتحرك طبعا الى اقتفاء أفعال السلف من
ملوك وأئمة ومصلحين ، كما أشار الى ذلك هرقل بقوله لأبى سفيان
إذ يسأله عن رسول الله ﷺ : « هل في أجداده من ملك ؟ » فقال له أبى
سفيان : لا . فقال هرقل : فقلت لو كان في آبائه من ملك لقلت رجل
يطلب بملك آبائه ، أى فأشك في نبوته والمعنى من كان آباؤه ملوكا فهو
يحلم بملكهم ويروم أن يكون ملكا مثلهم ، هذا فاذا درس تاريخ
آبائه لا بد وأن يتحرك بذلك رغم العراقيل .

وسبق لنا في بعض المقالات فيه قولنا : « التاريخ مدرسة الحوادث

الكونية ، ولسان معبر عن ما تمشى عليه المواشى الانسانية ، ودعاية عامة الى الأعمال العالية ، ونعى شاهر للأفعال السافلة، يجد الناظر فيه الأعمال الحرة الفاضلة ، كما يجد ضدها من المقاصد السافلة ، ويقتبس منه العاقل فوائد قد لا يجدها في غيره ، ويتسلح منه الكامل سلاح السياسة السامية « أ هـ » . وهى كلمات حقها أن تكتب بمساء الذهب على جبهة الدهر لتخلد طيلة الأيام عنوانا لسر التاريخ ، ومما يقطع به دراسة التاريخ نلقح الأذهان وتتحبب بنى الانسان ، ويورث درسها قوة الجنان ، وحصانة الرأى وصادق الاعتبار ، لأن فيها درس أحوال الزمان ، وقضايا البرية مختلفة الأحوال متباينة الأعمال ، فيرى فيه قارؤه احسان الأخيار ، وإساءات الأشرار ، وجور البغاة ، وكفر الطغاة ، ويرى السياسات العالية للملوك السامية ، ويتجلى فيه خبث الطوايا وسوء النوايا ، بحيث يخرج الدارس فيه وهو من أبطال الرجال المثقفين .

ولا شك أن أفعال الأوائل سلاح الأواخر وحجة الأكابر ، وبه يأمن المرء من لوم اللائمين ، وتأنيب المختصون ، والأتباع آمن من الابتداع بالعمل على نهج من مضى من أهل الحق نفس الاتباع . وإذا أخذ العاقل بعمل من سبقه من المسلمين لم يعنفه أحد من المؤمنين ، وأفعال السابقين حجة اللاحقين ، ومن لم يفهم عن سبق ، لم يدرك من الحق إلا القشر ، ولم يعرف من الدهر إلا الاسم .

والحقيقة أن التاريخ مدرسة عالية تجمع مختلف الإدارات ، ومتباين الأغراض ، وتجتمع فيها المواهب والمطالب من جميع الانسانية أفرادا وجماعة ملوكا وشعبا ، وما أبدته الدول من تقريب أمة وإبعاد أخرى على حسب مقتضى السياسات الخاصة والعامة ، وانقلاب الأمور من أمة الى أخرى ، وانحياز صرح وقيام آخر ضده ، والعمل المتباين في الأمة يقضى على العقول بالعجز عن ادراك الحقائق ، ويعبر عن الدنيا تعبيرا صحيحا لمن يفهم لا لمن يسمع بأذنيه ، ويمر على القضايا لا يلقي

لها بالا ولو كانت على عتبة بابيه ، وقد أشار القرآن الى هذا في قوله عز وجل : (وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) •

ولا شك أن من حاكم هواه ، وتعامى عن حكم الله فانه معرض لزوال نعم الله ، فان ذلك يسبب انفجار البراكين الضخمة ، ولا يبعد عليه وقت انفجارها ، فاذا انفجرت أعجزه ردها ، وأعياء تيارها ، فغاية ما عنده الخضوع لحكمها ، والسكون تحت وطأتها ، وكم لهذا من دليل على عقلى •

قال الامام السالمى في تحفته في الجزء الأول صحيفة مائتين وثمانين إذ يذكر راشد بن الوليد المختلف فيه قيل كندى • قال : « ولولا أن أبا سعيد يعنى الكدمى ذكر هذا الطرف من سيرته ، لغاب عنا علمه كما غاب عنا علم غيره من الأئمة ، قال وذلك كله لإهمال التاريخ وقلة هذه الجملة التى وضعها هنا وتأسف وتلطف على ضياع التاريخ •

ولا يخفى أن التاريخ مرآة تتجلى فيها أحوال الأمم أخلاقا وأعمالا ، وعواطف ومكارم ، وغلظة وشدة ، والتاريخ خازن هذه الأحوال بعد استجلائها وكشف حقائقها • وانه لمعتبر لأهل العقول ، وحجة لأهل المنقول ، ومن لم يعتبر بأحوال الدهر ، وما يتحدث عنه التاريخ ، فهو خال من العقل ، فاقدر للشعور ، يرتقى في الهلاك غير مبال بما يلاقى ، وهيهات أن يحيا الا على سبىء الأحوال ، وقال عبد القادر المذكور : « ولكنها أى عمان سرعان ما أعلنت توبتها ، وانضوت تحت لواء دين الله » •

قلت : على فرض صحة المدعى ، فالحمد لله الذى ردها الى الحق راغبة غير مقهورة ، كما أسلمت كذلك والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ولكن الحق هو ما قدمت لك ، وانما يرجع الى أصله المجبور

الذى لم يدخل فى الأمر الا مكرها ، وقد علم أمر عمان أنه لما أسلم ملكاها جيفر وعبد طائعين ، قاما على الفرس الباقين بعمان اذ أنه لا يجتمع فى عمان دينان ، فاما أن تدخلوا شيما دخلنا فيه ، والا فالسيف هو الحكم حتى أخرجوهم عن بكرة أبيهم منها ، وقد خليا بين عمرو بن العاص والزكاة وائتمرا بأمره ، ودعوا من خالفه الى الحق . وكانا له عوناً على مهمته وخرجا بصحبته الى المدينة ، لما بلغتهم وفاة النبى ﷺ ، وأخرجهما أبو بكر رضى الله عنه لقتال آل جفنة بالشام ، وبعد ذلك ردهما الى بلدهما مزودين بالأوامر والنصائح . وسوف ترى ما يؤيد هذا حتى تعلم بطل ما قال هؤلاء الذين يتبعون كل ناعق ويكتبون الغث والسمين غير مباليين بما يكتبون عن الأمم التى يتكلمون عنها فى سيرهم وتواريخهم ، والله سائلهم عن كل نقطة يحررونها وكل كلمة يكتبونها فى أساطيرهم .

واعلم أنا إذ نذكر التاريخ أو تاريخ عمان على الأخص ، لا نريد أن نجعله أقصوصة من الأقاصيص اللاهية ، أو أحداث من الأحاديث الواهية ، أو ملهى للسماح ، أو سلوة للمجتمعين فى المجالس والنوادي ، أو الدارسين فى المساجد أو الفارغين فى بيوتهم أو العاطلين من الأعمال . انما نريد أن نحدث الناس عن أعمال الرجال الكمل ، أو عن الأعمال الفاضلة ، التى يعتمد عليها الرجال المعنيون بحب أوطانهم أو باستقامة دينهم ، أو بسعادة شعوبهم أو بأمن رعاياهم ، أو بحسن العمل لدينهم ودنياهم ، ولندل الناس أن الحق يشترك فيه القوى والضعيف ، والغنى والفقر ، والسابق والمسبوق ، وأن الله لم يجعل الحق لناس مخصوصين أو أسرة معلومة ، وانما الحق للكل يستحقه الناس بقدر أعمالهم ، ولا نريد أن نمشى على منهج من مشى محبا للمنفق عليهم ، وان كان ظالما جبارا جائرا على الأمة ، ولو أنفق عليها أموالا طائلة ، ولا يسألون عنها من أين نهبها أو من أين اكتسبها ، مع العلم بأنه ظالم جائر نهاب

يأكل أموال الناس بغير حق ، بل نريد أن تمشي الأمة أميرها ومأمورها ، على الصراط المستقيم ، والطريق السوى الصحيح ، الذي لا شائبة فيه من الباطل غير ناظرين الى المحرم الذي يقرب الأمة مختدعا لها بالعطاء وضاء لها بدينها ودنياها ، فنأخذ منه العطاء ونرضى عنه بذلك ، ونحارب من أجله ونقاتل معه ، والحق يقول لنا : (فاستقم كما أمرت ولا تتبع سبيل المفسدين) • فلو ضربنا مثلا بسلطان له وزيران : أحدهما يراعى منازل الناس الدنيوية ، فيعطيه عطاء يغمرهم به ، فيخرجون عنه يمدحون ، ولا يسألون من أين أعطاهم أمن مال زيد ، أم من مال عمرو ، وآخر لا يعطيهم ما ليس لهم ويمنعهم من ذلك ، ويعطيهم مالهم ولا يمنعهم اياه ويقوم بمصالح دينهم ودنياهم كما يجب لهم ، فمن الأولى بالاتباع والطاعة ؟ فهنا وجهان : وجه يميل بهم الى الذي يغمرهم بالعطاء فهو واياهم ينبغى اقصاؤهم معا من واجبات الاسلام ، والثانى هو الذى يجب أن يطاع ، ويؤيد ويناصر ، ولكن أين هو ؟ قد لا يوجد ، قال عمر ابن عبد العزيز : ما طاوعنى الناس على أمر أردته من الدين الا اذا أعطيتهم جانبا من الدنيا ، واذا كان الناس كذلك فالداء فيهم عباء ، ولا يخفى على أن الأسد مطبوع على حب الافتراس خصوصا اذا جاع من غير أن يراقب أن ذلك الفعل ظلم وعدوان ، لا ينبغى أن يأكل حيوان حيوانا مثله عاش فى أرض الله ، وأن الذئب يأكل القاصية من الغنم ، وأن له بسنة على ذلك خصوصا اذا خلا بغنم ، وأن السنور لا يؤمن منه أن يسرق ، ولو كان أأدب السنائر كلها ، وأن بقية الحيوانات كلها كذلك ، وأن الحق أمر صعب الوقوف على حدوده كالوقوف على الجمر ، وأن العمل به كذلك بل أصعب ، لكن على الانسان أن يجاهد معهم نفسه أولا ، ثم يصهرها فى بوتقة التصفيات مرات لعلها أن تنصلح •

فانظر فرار الناس عن على الى معاوية حتى أصبحوا يقاتلون معه ، وانظر الى فرارهم عن الأئمة الى الجبابرة العتاة ، كفرار جبلة بن

الأيهم عن عمر بن الخطاب الى قيصر ، ولو قال جبلة لما كان عمر بن الخطاب لا يرى الا الانصاف منى أنا ، فمن باب أولى لا يرى الا الانصاف من هو دونى ، وهكذا ينبغي وعلى مثل هذا تعيش الأمة فى أمن ورضاء وسعادة وهناء ، أى حيث ينصف من قويها لضعيفها ومن رئيسها لرؤسها . وذلك هو الذى يحييها من مماتها ، ويرفع شأنها بالأمن والاطمئنان ، وبه يستقيم الأمر لدولة المسلمين ، وبدون ذلك لا يكون صلاح ، وأنا أرى أن أعطيه عينى الصحيحة وأقعد تحت ظله أعمى ولا يضرنى ذلك بل الانقياد للحق يزيدي شرفا وعزا ، ولأن أعيش عزيزا بعدل عمر بن الخطاب السيد العربى خير لى من أن أعيش عزيزا عند قيصر بالكفر فى دار غربة لاجئا محتما . وأولى بى أن أحدث من جاعنى حديثه عن عدل عمر بن الخطاب ، ويكون دستور الحياة الأمة الجديدة بالاسلام ، ولكنه لم ير هذا ، بل رأى أن يعيش كافرا ، ويموت كافرا ، فى بلاد غربة ، وما ذلك الا للجهل والخطورة الجائئة على قلبه ، وغرته لذة عاجلة لا تطول أيامها ، ولا يبعد مرامها ، فبهذا وأمثاله نريد أن نبرهن فى التاريخ العربى أن ذكرى الصالحين الذين هم على نهج جبلة أو على نهج معاوية بن أبى سفيان ، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . فالأول ارتد ، والثانى أجرم ، وأن يعلموا أن أئمة الاباضية على خلاف ذلك هو نهجهم حيث يقتل أحدهم أبناء عمه وأهل جلدته على كتاب بيعة ، وعلى الذين يعطى أحدهم كل شهر سبعة دراهم يقتتلون بها فى غلاء من العيش ، تاركين كل شىء لله وفى الله .

دخل أحد علماء الاسلام المدينة المنورة ، فلما بلغ مجتمع الأمة قال : أين قصر رسول الله ﷺ ؟ قالوا لا قصر له : قال : ولم أكان فقيرا معسرا ؟ قالوا : لا . قال : أين قصر أبى بكر ؟ فقالوا : لا قصر له . فقال : ولم أكان فقيرا معسرا ؟ كالرسول ﷺ قالوا : نعم . قال : بلغنى أنه كان له مال . قالوا : أنفقته فى سبيل الله . قال : ولم لم يبن قصرا فخما يشسار اليه بالبنان من ماله لا من مال الدولة ؟ قالوا : ان

ماله أنفقته في عز الدولة • قال : ولم لم يتعوض منها له ؟ قالوا :
صا أعزه الله بالمال بل بالصلاح في الإسلام والتفوى • وطال الجدل
فيه بينهم وإياه • ثم جاء إلى عمر ففتح الأمصار وجامع الأموال ،
وواضع العطايا في الدواوين ، والقاهر على النواصي ، فكان الأمر فيه
كالأمر في أبي بكر رحمهما الله ، ثم إلى عثمان الذي جهز بأمواله
جيش العسره ونحوه : وكانت الأموال تأتيه كالأودية ولم يدخر منها
وسعا له ، وهكذا على بن أبي طالب • فقال : إذا لمن هذه القصور ؟
فقالوا : لفلان بن فلان وفلان بن فلان ، وهكذا • فقال : هل كانوا
أغنى من أولئك الذين تنصب البهيم أموال الدنيا ؟ فقالوا : لا • قال :
مهل هؤلاء أشرف أولئك المذكورين ؟ فقالوا : تبدلت الأحوال • فقال :
من أعز الآن أولئك أم هؤلاء ؟ فقالوا : أولئك • فعرف انقطاع الحجة
بتوضيح المحجة • فحينئذ يتبين للقارىء الكريم الذي همته أتباع
الحق والاعتماد عليه ، أنا نريد أن ندل على الحقائق كما هي ،
ونعرب عن الظواهر الواجبة التي مشيت عليها الأئمة ونبرهن على
زهد الجلندي بن مسعود وأعماله ، والوارث بن كعب وخصاله ، والمهنا
ابن جيفر وحلاله ، وناصر بن مرشد وأفعاله ، ونعرب للناس عن
أئمة آل يعرب الذين ملكوا جانبا من الدنيا ولم يخلفوا وراءهم
القصور المفخمة ولا المصانع الضخمة ، إلا ما أعزوا به الإسلام ،
ولا كانت لهم الحدائق الغناء ولا النقود التي تفوت العد ، ولا الاختصاصات
الذاتية ، بل هلكوا ولا يوجد لأحدهم بيت خاص لهم دون المسلمين ،
مع ما ملكوه من الأموال ولم تعرف البنوك عنهم لكوكا ولا ملايين •
ولا • ولا ، وإنما عرف الدهر عنهم العدل الناصع • والانصاف الجامع
والحال الكامل ، والفضل الشامل ، ولا يزيد المتقاسم عندهم عن كونه
مثقالا ، فإلى هؤلاء نريد أن نهيب بالناس لا إلى هارون الرشيد •

وقييناته ومعنياته ، أولا الى ملاهيه ومقتزهاته في الدر والجوهر المضاع
على غير أهله ، وقد قاتل عليه ناس وجعله هو وأضرابه تحت نعاله يدوسه
بحميره وبغاله .

وليعلم التاريخ العالمى ورواده أن لكل وقت سياسة لا ينبغي
اخلال بها ، والا كان الفساد أكثر من الصلاح ، بل ربما انعدم
الصلاح . إذا أقبل فريقان يختصمان ، أحدهما يحمل المدفع المدمر ،
وعلى رأسه الصاروخ الحاشر ، وفي يديه القنابل اليدوية ، وفي جيبه
المفرقعات الساحقة ، وخلفه النساغات العظيمة ، والآخر يحمل السيف
الأحمر المصطبغ بالدّم من عهد العمالة . والعصا الضخمة المقتطعة
من عهد عاد الأولى ، لا بل قل والرمح الأزرق والسهم ذى الأوتار ،
فبيد من ترى النصر . أم الى من يجنح فان أسبابه بيد الأول رغم
المعقول والمنقول ، لا بيد الذى يحمل السيف البتار ، الذى لا يصل
الى خصمه الا والنار تشتعل في أردانه ، وقد أحترق بين يدي خصمه ،
فهلك قبل الميعاد بمسافات ، وقد ألقاه الرصاص على وجهه . قبل
أن يتخطى الى خصمه شبرا واحدا من الأرض وهكذا .

وليعلم الناس أن التاريخ حدث عما سبق ، ولم يحدث عما
لحق بل عما يأتى ، فمجاراة الوقت بما لا ينافى في العقل . ولا يعترض
على الشرع ، أمر مطلوب قطعا ، بل واجب شرعا ، لأن الله يقول لنا :
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) .

وسترى أيها القارىء في تاريخ عمان أنواعا من ذلك ، وسترى
في تغلب النصارى على المسلمين نوعا يدل على ما قلنا ، وخصوصا في
جعلان بنى بو على وهم مسلمون ، ولؤلئك نصارى كفار أعداء لأهل
لا اله الا الله مطلقا . ولأهل الاسلام عموما . ولتعلم أيها القارىء
أنا إذ نكتب التاريخ نريد أن نجعله وسيلة لتثقيف الناس بالحقائق
الروحانية العارضة الزمنية ، وسبيلا لمساعدة الأمة على ما يمانون من

مشكلات تصيبهم ونوب تطل عليهم ، ونخبرهم بقضية اجتماع المسلمين في مهماتهم الماضية مهما كان الاجتماع فهو فعال ، وإليك صورته مستمر عليك في الاجتماع على حرب راشد بن النضر الجنداني وأحزابه وتدميرهم وهكذا لتكون على ثقة كاملة ، أن الاجتماع أول مرحلة تعيش بها الأمة في رخاء العيش وسعادة الحياه . وأن الاغتراق والتلاشي ، داعيان الى الانهيار ، ولو شاء الناس أن يزيلوا الجبل الأخضر من عمان بالاجتماع لأزالوه ، وإذا كنا على غير ذلك فقد أضعنا أعمالنا في لا شيء .

فان تدوين قضايا التاريخ قد وقع ، وان الكل على ذلك قد اطلع ، وان العمل الصحيح ما عليه المجتمع ، ان المسلمين اليوم كما رأيناهم يدرسون التاريخ لكي يعرفوا أن فلانا كان أشجع أو أعظم بأسا بأساليب الحرب ، أو أنه أفضل من فلان ، لا يزيدون على ذلك ، بدل من أن الافرنج يدرسون التاريخ تحليلا للمقاصد والتفاتا الى المراسد واهتماما بالقاصد ، لا يدرسونه أقاصيص ، أو خرافات أو حكايات كتسلية ، بل هم الباحثون فيه المتعمقون في معانيه ، والآخذون بأركان مبانيه ، لا كمن اذا سمع أقاصيص الماضي يهز رأسه ، ويهمهم أو يدمدم ، وربما يعجب من شجاع يخوض المعامع فنجاً وهكذا ، بل يحاولون بالتاريخ تثقيف العقول بما في التاريخ من عظات بالغات ، وعبر صالحات ، لأن تكون دستوراً ، فتراهم يدرسون تاريخ سير أفراد من الرجال فتحوا الممالك ، ووضحوا المسالك وبيينوا الناجي من الهالك . إلا أنهم لا يفهمون عنهم إلا أن فلانا مات شهيدا ، ليتنا كنا معه ، وأن فلانا مات فاسقا والعياذ بالله منه ، وهم في كلا الوجهين كاذبون أو مخادعون أو مارقون ، أو على الأقل لا تفكير لهم في شيء إلا مجرد أحداث ، كان رجل كثير البكاء على أحد الشهداء ، وكلما ذكر ذلك الشهيد يكاد أن يتمزق أو يحترق عليه إذ قتل تلك القتلة الشنعاء ، ومثل به العدو .

وهكذا حتى شاء القدر ، ورأى ذلك الشهيد في النوم • والجنود
محيطه به والسيوف تنتاشه ، ويرشح دمه ، وهو يجالد العدو صابرا ،
وهذا الرجل البكاء ينظر على الحال التي عليها ذلك الشهيد ،
وإذا به يتقاعس ويختفى عنه شيئا فشيئا • ويود أن يتوارى بسرعة
حتى لا يراه الشهيد فيستصره على عدوه ، حتى هم بالهرب فقدر الله
أن رآه الشهيد ، في أخريات الناس فدعاه فخلج ألا يجيبه فأجابه من
غير قلبه ، فقال له ترى الحال الذي أنا فيه ، وهؤلاء الأعداء من
حولى ، فخذ هذا السيف والترس ، وقاتل معى عسى الله أن يفرج
عنا بك ، فأخذ السيف والترس واختفى عن نظر الشهيد ثم هرب
بهما معه وباعهما • وأكل ثمنهما وراح ، فأين بكأؤه الذى يبكيه •
وأسفه الذى يتأسفه ، وأين غيظه على العدو الذى يزعمه فقد هرب
حتى بالسلاح ، ولم يرده لصاحبه ، وإن قيل هذه رؤيا منامية • فالواقع
هى برهان على ما فى اليقظة ، وأن أحوال هؤلاء الناس أغلبها هكذا •

فالتاريخ بيدى لنا تمحيص الحقائق ناصعة غير مستورة ، ويعبر
عن طوايا الناس كما هى واضحة ومن يعتبر يجد الحق فيه واضحا ،
أن الغرض الوحيد من التاريخ هو الاقتداء ، ومعنى الاقتداء كبير الى
حد بعيد لا يكاد يستطاع لقياس عليه ، فإن معنى الاقتداء يفتح
أبوابا تفرت الحصر وتعجز الدهر ، فمعنى الاقتداء فى الأخلاق والديانات
والأحكام ، ووضع القوانين السياسية الملائمة لكل زمان ، المناسبة لكل
أوان ، عملا بمعنى الاقتداء ، فإنهم ساروا على النهج الصحيح الوارد
عن الشارع فى اخراج الأحكام الشرعية فى محلها ، والقوانين العرفية
بذلها عند عدمها ، وفى تطبيق الأنظار بحسب الأصول المشروعة ،
والى هذا يشير قول القائل : أحدثوا أحداثا فأحدثنا لها أحكاما ،
والمعنى أخرجنا لها أحكاما تطابق وضعها ، فإن الشرع وضع أصولا
لا يرجع اليها المنقول • ولا يناقياها المعقول ، فإن لكل امام سياسة كما

لكل زمان كذلك وإن تطور الدهر لا يخفى على كل ذى عقل سليم ، فكم جاء فى وقت خاص ما لا يتفق الا فى وقته الخاص به ، وكم جاء مناسيا لكل وقت ، واذا أردنا أن نذكر من هذا النوع أمثلة : أتت مندفعة من كل وجه تزدحم على الأفكار بحيث تتركنا نقول لا حاجة الى ذكرها لشهرتها ، وهذه هى ميزة خاصة بالموضوع ، ولكل مقام مقام .

وهنا كلمة لعمدة المؤرخين العلامة ابن خلدون نرى أن نضعها هنا ختاماً لهذا المقام فى علم التاريخ . قال فى مقدمة تاريخه المعبر .
فى خطبة الكتاب .

أما بعد . فإن فن التاريخ من الفنون التى تتداولها الأمم والأجيال ، وتشد اليه الركائب والرجال ، وتسمو الى معرفته السوق والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقبيال ، ويتسايى فى فهمه العلماء والجبال ، إذ هو فى ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدوام ، والسوابق من القرون الأول تنمى فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأندية اذا غصها الاحتفال ، وتؤدى اليها شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمرها الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل الكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها وخليق ، وإن فحول المؤرخين فى الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها ، فى صفحات الدفاتر وأودعوها ، وغلطها المتطفلون بدسائس من الباطل هموا شيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتفى تلك الآثار الكثر ممن بعدهم وأدوها اليها كما سمعوها .

وسار في خطبته سيرا واسعا بين فيه أحوال التاريخ والمؤرخين
الى مدى بعيد بعيد يطول بنا ذكره . وقال : مقدمة في فضل علم
التاريخ :

أعلم أن علم التاريخ عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية ، إذ
هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم
والملوك في دولهم وسباستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرويه
في أحوال الدنيا والدين ، فهو محتاج الى مأخذ متعددة ومعارف متنوعة ،
وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن
المزلات والمغالط ، لأن الأخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم
تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في
الاجتماع الانساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب ،
فربما لم يؤمن فيها من العثر ، ومزلة القدم والحيد عن جادة
الطريق الصادق ، وكثرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين ، وأئمة
النقل من المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد
النقل غثا أو سمينا ، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ،
ولا سيروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر
والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق . وتاهوا في بيداء الوهم
والغلط ، ولا سيما في احصاء الأعداد من الأموال والعساكر ، اذا عرضت
في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولا بد من ردها
الى الأصول وعرضها على القواعد ، وهذا كما نقل المسعودي .
وكثير من المؤرخين في جيوش بنى اسرائيل ، وأن موسى أحصاهم في
التيه . بعد أن أجاز من يطبق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما
فوقها ، فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون ، ويذهل في ذلك عن تقدير مصر
والشام . واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك
حصة من الخامة تتسع لها وتقوم بوظائفها ، وتضيق عما فوقها
تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة .

وذهب هذا المذهب منتقدا ومحققا وباحثا وقائما ، وموبخا للذين يأخذون القضايا جزافا ولا يهتمون بنظر يتحقق معه المقام ، وأشار الى حول الفرس ، وأنها أعظم من ملك بنى اسرائيل بكثير ، وأشار الى بخت نصر ، وما كان له من السلطان على بنى اسرائيل ، وأشار الى جيش رستم في القادسية وما كان من أمره وأطنب في ذكر تلك الأحوال بين بنى اسرائيل ، والفرس . وليس ذلك من غرضنا ، وانما نشير الى أن مثل هذه الأحوال حفظها لنا التاريخ كما قال ابن خلدون . وعلى كل حال ، فقد أطلال المذكور في فوائد التاريخ بحسب الفن المعروف ، ولقد أشار الى فوائده أيضا من قال وقد أجاده :

نبنى كما كانت أوائلنا

تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

فلولا التاريخ من أين لنا أن نعلم ما فعلت أوائلنا ، وبالجمله فقد صح الاجماع على أن علم التاريخ من أشرف العلوم في الاسلام ، ومما ينبغى أن يشتغل به ويدون وأن يعار اهتماما بالغاً ، ويحرر تحريراً كاملاً ، فان فيه أسراراً جوهريه ، تتجلى فيها العبقريه كما هي ، ولا تضيعه الا الأمم المكتوب لها الانحطاط ، فان من يدرى عمل سلفه من الأعمال الفاضله لا يرضى أن يتركها الى الأعمال السافله ، إلا إذا كان مختل الشعور أو خائر العزيمة ، أو منهك العقل ، فان الغالب كما أشار الى ذلك القرآن الكريم : (إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) . وكم قامت الغيرة برجال للسير الى منهج آباءهم ، ويرون مخالفة ذلك نزولاً عن الشرف كما صح عن كثير من الناس أمثال ذلك في كل جيل ، فذلك ترى الافرنج تدرس سير رجالها درساً دقيقاً وتتبع حركاتهم وسكناتهم بكل مالها من قوى .

والحقيقة أن ميدان التاريخ أوسع الميادين ، وأن مادته متسعة كاتساعه ، فإن موضوعه القضايا البشرية ، وهي كما شاءها الله عديدة . لا تكاد تدخل تحت حصر ، ومن ذلك صار التاريخ معتبرا وثائقنا ومصباح سياسة . وعنوان رئاسة ، وكان أحق به ذوو المناصب في الأمة من ملك وسلطان وأمير ، وغير ممنوع منه غير هؤلاء ، فكم في الزوايا من خبايا ، وكم في الرجال من البقايا ، والله أودع خلقه أسرار حمته وهو عليم خبير .

ولدائرة المعارف ، لفريد وجدي ، كلمة في التاريخ عظيمة تؤيد ما قلنا ، نعرض عنها حتى لا يطول على القارئ هذا المقام . فإن ما قلناه وحررناه هنا كاف لبيان حقيقة منافع علم التاريخ وفوائده .

الحلقة الأولى من تاريخ عثمان

في التصريف بثمان

قال ياقوت الحموي : عثمان بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره
نون اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند ، وعمان في الاقليم
الأول طولها أربع وثلاثون دقيقة وثلاثون درجة ، وعرضها تسع عشرة
درجة وخمس وأربعون دقيقة في شرقي هجر ، أي هي واقعة شرقي
مجر ، قال : تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع ، إلا أن حرها
شديد ، يضرب به المثل ، وأكثر أهلها في أياقنا خوارج . إباضية ليس
بها من غير هذا المذهب ، إلا طاريء غريب وهم يراد منه التائب
والقدح (١) . ماذا يراد به ، وإلا فكيف يخفون الحق ، وهل يخفى في
الظلام ابن جلا ، وكيف يخفونه وهم مذهبهم الصحيح الذي عاش
عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعاش عليه الخلفاء الراشدون
والمسلمون المخلصون الذين باعوا نفوسهم لله ، وتجردوا لنصرة الحق
في هذه الحياة ، ومذهب الإباضية يستدعي الكلام كشفا عن الحقيقة ،
لأن أكثر الناس يجهلون الخبيثة لن يجهل الحق ويعتمد غير الصدق ،
ومن حارب مذهب الإباضية أو نال منه فليتأهب لنقمة الله عز وجل ،
وسوف نبسط إن شاء الله الكلام عن هذا المذهب في أول الجزء الثاني
من هذا الكتاب فمن أراد فليلتزمه من هناك .

قال الحموي المذكور : « وأهل البحرين بالقرب منهم أي البحرين
الأولى التي هي الحسا وتوابعها » ، قال : هم بضد هم أي ضد الإباضية ،
كلهم روافض سبأيون لا يكتفون ولا يتحاشون عنه أ ه .

(١) أم الشاء والمدح .

وهذا دليل على أنه أراد الغمز منهم • والله على لسان كل
ناطق ، قال : وليس عندهم من يخالف هذا المذهب ، أى مذهب الروافض
إلا أن يكون غريباً ، قال الأزهرى : يقال : أعمن ، وعمن إذا أتى
عثمان ، وقال رؤية :

نوم شام بان أو مَعْمَن

قال : ويقال : أعمن يعمن اذا أتى عثمان •

قال الممزق واسمه شلاس بن نهار :

أحقا أبيت اللعن أن أين فرقتنا
على غير أجرام يريق ممزق

فإن كنت مأكولا فكن أنت أكلى
ولا فأدركنى ولما أمزق

وفى رواية خير أكل الى أن قال :

فإن يتهموا أنجد خلافا عليهم
وان يعمنوا مستحقى الحرب أغرق

والمعنى أخالفهم فإن يتهموا أى يأتوا تهامة • فانا أتى نجدا • وإن
يأتوا عمان أنا أتى العراق • وكذلك جاء فى كلام الامام أبى أسحاق
الحضرمى رحمه الله قوله :

لعمرك ما أعرضت عنك لياليها
وأعمنت عن بغض ولا عن معائب

أى ما أعرضت عنك لعييب ولا أتيت عثمان من أجل عيب أصده عليك .

وفي القاموس : أعمن أتى عثمان . قال الحموى : وقال ابن الأعرابي العمن : المقيمون في مكان ، يقال رجل عامن وعمثون ، ومنه اشتق عثمان ، وقيل أعمن دام على المقام بعثمان ، وقصة عثمان صغار ، وعثمان تصرف ولا تصرف ، فمن جعله بلدا صرفه في حالتي المعرفة والنكرة ، ومن جعله بلدة الحقه بطلحة .

وقال الزجاجي : سميت عثمان بعثمان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام . قلت : لعله كان بها فسميت به .

وقال أبى كلبى : سميت بعثمان سبأ بن يفتان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لأنه بنى مدينة عمان ^(١) وإذا كان بابنها عثمان ابن سبأ بن يفتان بن ابراهيم خليل الرحمن فيكون قد سكنها هو ومن معه من قومه ، لأنه لا يعقل أن يكون بناها وحده ، بل لابد أن يكون مع قومه وخاصته .

قال : وفي كتاب ابن أبى شيبعة ما يدل على أنها المرادة في حديث الحوض لقوله عليه الصلاة والسلام : ما بين بصرى وصنعاء . وما بين مكة وأيلة . ومن مقامى هذا الى عثمان قال : وفي مسلم : وعرضه من مقامى هذا الى عثمان ، قال وروى الحسن بن عادية : قال لقيت ابن عمر ، فقال : من أى بلد أنت ؟ فقلت من عمان ، قال : أفلا أحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قلت : بلى ، قال : سمعت

(١) قلت : ومما يؤيد هذا ان عاصمة عمان اذ ذاك صغار وقد صح ان بناها صغار بن مدين ابنى ابراهيم الخليل .

رسول الله ﷺ ، يقول : انى لأعظم أرضاً من أرض العرب يقال لها
عُمان ، على شاطئ البحر الحجة منها أفضل • أو قال خير من
حجتين من غيرها • قال : وعن الحسن يأتين من كل فج عميق • قال :
عمان • وعنه عليه الصلاة والسلام : من تعذر عليه الرزق فعليه
بعُمان • وقال القتال الكلابي :

حلفت بصبح من عمان تطلوا
ببثرين بالبطحاء ملقى رحالهما

في أبيات ذكرها الحموي المذكور تركناها •

قال : « وينسب الى عمان داود بن عفان العماني » • روى عن
أنس ابن مالك ونفر سواء ، وأبزون بن مهنبرذ العماني الشاعر ،
وأبو هارون غطريف العماني ، روى عن أبي الشعثاء عن ابن عباس ،
روى عنه الحكم بن أبان العدني وأبو بكر قريش بن حيان العجلي •
أصله من عمان وسكن البصرة ، ويروى عن ثابت البناني ، روى عنه
شعبة والبصريون ، ومعنى قول الحموي وأكثر أهلها خوارج إباضية
كعادة أعداء الإباضية الذين يلّمزون الإباضية باسم الخوارج ، والا
فلا جامع بين الإباضية والخوارج أبداً ، فان الخوارج كانوا يدينون
بحل مال من خالف مذهبهم وبحل دمه ، وهم في نظر الإباضية أهل كفر
في الدين حيث استحلوا ما حرم الله ودانوا بحله حتى استحلوا قتل
الأطفال وسبى الذرية ، ولم يقل بذلك أحد في الاسلام غيرهم •

وقال وصفي عنتباوى ، المفتش بإدارة المعارف في فلسطين ،
وسعيد الصباغ مؤلف كتابي الجغرافية العامة الحديثة وجغرافية
سورية العمومية المفصلة ، الطبعة الخامسة المطبوعة ١٣٦٨هـ قال :
« يطلق اسم عمان على قطر كبير يمتد من الشحر على بحر

العرب الى شبه جزيرة قطر في خليج البصرة ، ويزيد عدد سكانه على مليوني نسمة » ، قال وبلاد عمان جبلية كبلاد اليمن . وترتفع جبالها في الداخل والساحل أيضا ، وتتجه هذه الجبال الى الشمال فتكون رأسا يدعى رؤوس الجبال . أو رأس ما سفحوم ، ويكاد يلامس هذا الرأس بامتداده ساحل بلاد ايران عند مضيق هرمز ، وهو يفصل خليج البصرة عن خليج عمان .

قال : وأعلى جبال عمان الجبل الأخضر الذي يرتفع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر ، قلت أكثر من ثمانية آلاف متر ، ومنطقة هذا الجبل اعمر جهات عمان ، يكثر فيها السكان وتغزر المياه وتخصب الأرض ومناظرها الطبيعية بهجة للناظرين ، قال : « وتشبه بلاد عمان اليمن بجوها وأوديتها الخصبة ، وسكانها متحضرون كسكان بلاد اليمن ، وهم يقطنون المدن والقرى على سفوح الروابي وفي الأودية ، غير أن كثرة المراعى الجيدة في السهول الواقعة وراء جبال عمان الضيقة جعلت قسما كبيرا من السكان يفضلون حياة البداوة وينتشرون في تلك السهول » .

قال : « وبلاد عمان تشتهر بأنها موطن أجمل الهجن وأسرعها ركضا ، وتدعى هذه الهجن بالعثمانيات ، وهي تصدر منا لسائر أقطار جزيرة العرب » ، قال : « وفي بلاد عمان أقنية كثيرة تحب الأرض لجرى مياه الينابيع العذبة الى المدن ، وأهم مدنها الداخلية الرستاق ونزوة » ، قال : « والساحل يقع على خليج عمان أمام سلسلة الجبل الأخضر سهل ساحلى يدعى الباطنة وهو خصب القربة يمتد نحو ٢٤٠ كيلو مترا » ، قلت بل أكثر من ألف كيلو متر شمالى مسقط ، ومتوسط عرضه ٤٧ كيلو مترا ، وهو مملوء ببيارات النخيل وبساتين الفاكهة التى تعتمد عليها عدة مدن في معيشتها ، أهمها صحار وصحم والسويق ، قال : « وينخفض ساحل عمان في خليج البصرة فيطغى البحر على

البر ليلا بواسطة المد ، وتتكون هناك سبخات ملحية تعيش من استخراج ملحها قري كثيرة ، قال : « وقد دعى هذا الساحل بساحل القرصنة أى اللصة ، قال لأن سكانه كانوا قديما يحترمون صناعة القرصنة فى البحر ، أى هم يتلصصون » ، قال : « أما اليوم فيشتغل معظمهم بالغوص على اللؤلؤ الذى يستفيد منه العمانيون كما يستفيد منه أهل البحرين والقطيف والكويت » .

قال : « وأهم مدن هذا الساحل الشارقة التى سماها هو شرجه ودبى وأبو ظبى ، قال وتقع جزر كثيرة معظمها تقع على خليج عمان وترتفع وراءها تلال عالية فيها أبراج عالية ، وقلاع حصينة ، ويحيط بالمدينة سور عال وخارجه عدة بيوت وبعض حدائق لا تكفى محاصيلها حاجة المدينة من الخضر والفواكه ، وهى من أشد مدن العالم حرارة وتمتد تجارتها الى الهند وشرقى أفريقية ، وتصدر التمر والملح والأسماك ، وهى عاصمة بلاد عمان ، ثم قال : « صور تقع بين رأس الحد ومسقط ويشتهل معظم سكانها بالملاحة بين الهند والبصرة ، وتصل سفنهم البحر والقطر المصرى ، وهى مدينة قديمة يرجح أنها موطن الفينيقيين الأولين » ، فتراه يذكر مساحة عمان من الشحر الى قطر ، وأنها كبلاد اليمن ، وهى فى الحقيقة من بلاد اليمن كما سوف نسمعه فى كلام ابن خلدون الى مضيق هرمز ولم سندم ، ويقابل حدود ايران فى البحر العماني الفاصل بين القطرين ، ووصف الجبل الأخضر وأنه أعمر جهات عمان ، ولا لوم عليه لأنه وصف غريب لا اطلاع له على الحقائق لكننا ننقل عن الغير فى تعريف عمان لغرض له بالمقام المام ، ووصف عمان بأنها موطن الهجن الجميلة كما وصفها أيضا بذلك غيره ، والحقيقة أن الذين جاعوا عمان وعلموا عنها فوق ما كانوا يسمعون أجمعوا فى أوصافهم وقرروا فى جغرافياتهم كل شئ صالح فى عمان ، ولو قلناه نحن لقال قائل انهم يمدحون بلادهم ، والواقع يشهد على ما نقول ، وسوف نقول ان شاء الله بعد ما نفرغ

من نقل ما قيل ونحقق الحقائق ، فإن أهل مكة أدرى بشعابها ووصف
سهل الباطنة وعد منه صغار ، كما سماها صغار بالهاء بدل
الحاء المهملة . وصحح وسمها سهام بالسین المهملة بدل الصاد والهاء
بدل الحاء المهملة والسويق وقلب قافها كافا ولا لوم على غريب ،
فانه أخذ ذلك بالنقل عن مثله .

ووصف مسقط بشدة الحر ، وعثمان كلها غالبا تغلب عليها الحرارة
في الصيف ، كما قال واصفوها جاهلية واسلاما ، من أن صيدها عتيده
وحرها شديد ، وكانت عمان بأسرها كذلك ، وإن كان بعضه أحر من
بعض كمسقط ، وذلك لأنها تحيط بها الجبال مكتظة بها من جميع
الجهات ، فلا يخلص اليها الهواء لعسر طريقه اليها ، كأنما يشير
اليها قول أبي الطيب حيث يقول :

إذا أنتها الرياح النكب من بلد
فما تهب بها إلا بترتيب

وذكر صور وهي كما ذكر من العمران القديم وأهلها الأقدمون
هم الذين عمروا صور الشام لما ارتحلوا من عمان وسموها باسمها .
وأهل صور أقوى من يصارع البحر منذ الجاهلية ، وقد عرفوا بذلك
وهم حتى الآن على ذلك ، ومن أشد أهل عمان على مصراع البحر
باتفاق أهل الملاحة فانهم يتغلغلون في أقاصى الهند ، ويجر الهند
معروف بأنه أخبث البحار ، كثير الأمواج كثير الأخطار ، ويسبحون في
البحار الأخرى حتى النيل ، والبحر الأحمر كاد أن يكون موطنهم الخاص ،
وكم هلكوا في هذه الأبحر لكنهم مطبوعون على حب المغامرة البحرية
ويشوقهم اليها ما يجدون من خيرات وما ينالون من أرباح ، فلذلك
يستلذون الأسفار البحرية التي تدر عليهم بالغنى ، فيتنافسون في ذلك
أشد منافسة ، ولا يكثرثون بما يلاقون ، ومن اعتاد أمرا سهل عليه .

وأهم مدن عمان قلعات وصحار الجاهلية خصوصا في الساحل .
وأما مسقط فكانت أهميتها الملحوظة بعد البرتغال ، وأما نزوى
فكانت أهميتها بعد تعيينها مقرا للإمامة ، وسوف ترى الكلام على
ذلك في محلة . أما صور فهي قديمة العمران لها موقعها الطبيعي ومقامها
الاستراتيجي كما يفهم ذلك أهل هذا الصدد ، وأما صحار الآن
فقد لحقت قلعات فسقطت الأهمية منها تصديقا لحديثه عليه الصلاة
والسلام : ما رفع الله شيئا إلا وضعه ، وقد شهرت الآن دبي وأبو ظبي
ورأس الخيمة والشارقة ، وجاءت الآن موجة عارمة لمسقط ترفعها
على متن الأثير تدعمها فيه الثروة البترولية ، ونالت الشهرة معها
مطرح ، فهما العينان الباصرتان في الساحل ، وأما الجبل الأخضر فهو
عرش عمان وحصنها الرفيع ، وعلى الرغم من وجود الطائرات فهو
غاب منيع لا تفتح قفله الا البيضاء والصغراء .

قال عبد القادر زلوم في كتابه الذي ألفه في عمان والامارات
السبع قال : ان عمان جزء من الجزيرة العربية يقع الى الجنوب الشرقي
منها ، ويمتد قسم منه يشكل شبه جزيرة تشبه المثلث ، رأسه الى
الشمال وينطرح به بلاد فارس أى يقرب منها مسافة لامتداده في البحر
حيث رأس أم سندم ، كما أن شبه الجزيرة دعيت بساحل عمان ،
وهي التي تشمل الامارات السبع وجزءا من سلطنة عمان ، أما قاعدة
هذا المثلث فهي ترتكز على خط وهمي ممتد بين قطر وسلطنة عمان ،
وأما باقى القطر العماني فيشمل ساحل الباطنة عمان ، والجبل الأخضر
والمنطقة الجنوبية وتتأخم الأولى (١) بلاد مهرة ، وأما الجبل الأخضر
فياخذ في الانحدار تدريجيا حتى يتلاشى مع كئبان الربع الخالي في
الغرب ، وعلى ذلك يمكن تقسيم القطر العماني في الوقت الحاضر على
هذا الشكل .

(١) قلت : هذا خطأ خيب مسقط وبلاد مهرة بعد بعيد والجبل لا يتلاشى
مع كئبان الربع الخالي ا . ه .

أولا — سهل الباطنة ويقع على خليج عُمان ، وهو سهل ساحلى •

ثانيا — داخلية عمان •

ثالثا — المنطقة الجنوبية •

والحالة الاجتماعية فى القطر العمانى ان أول من سكن قطر عمان فى القديم فرع من العرب البائدة وهم العماليق ، ثم نزل بعد ذلك قبيلة عمان القحطانية التى أعطت اسمها للبلاد فدعيت ببلاد عمان وبالقطر العمانى ، ثم حدث بعد انفجار سد مأرب أن رحلت الأزدي الى عمان ، وهى من كبرى بطون كهلان ، وضربت فى الأرض فسكن قسم منها تلك البلاد فسموا أزدي عمان ، ويظهر أن أول بقعة جذبتهم لسكنى تلك البلاد هى الجبل الأخضر حيث الأرض الخصبة والماء الغزير ، ثم توزعوا من هناك فى سائر القطر أنجادا وسواحل ، وأما باقى البطن من الأزدي فقد تابعوا سيرهم الى بلاد أخرى ومنهم أزدي شنوءة وغيرهم ، وقد تبع أزدي عمان قبائل أخرى عدنانية وقحطانية بعد ذلك ، فسكنت تلك البلاد ، وقد ظهر الاسلام والأزديهم أهل عمان وملوكها ، وقد دخلوا فى الاسلام عندما دخل الناس فى دين الله أفواجا على يد الصحابى عمرو بن العاص ، وفى عهد ملكيهم جيفر وعبد ابنى الجلندى ، وبعد مداورات ومناورات من القائد العربى الداہية ، وبين الملكين المذكورين ، وكان هو أول وال مسلم لتلك البلاد •

وكانت تعرف عمان فى عهده عليه الصلاة والسلام باسم الغبراء ، والغبراء ، فلما بلغه اسلامهم قال : « رحم الله أهل الغبراء آمنوا بى ولم يرونى » وروى ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « إني لأعلم أرضا من أرض العرب يقال لها عمان على شاطئ البحر الحجة منها أفضل » • أو قال خير من حجتين من غيرهما ، كما ذكرت أحاديث أخرى فى فضل عمان والحث على انتجاعها للرزق ، ومعلوم أن رسول الله ﷺ قد توفى والجزيرة العربية تدين بكاملها بالاسلام ، وعلى ذلك

فعُمان هي قطعة من الدولة الإسلامية التي نشأت على يد رسول الله ﷺ .

ويقال إن عُمان قد أخذت حظها من الردة في عهد أبي بكر رضي الله عنه ، ولكنها سرعان ما أعلنت توبتها . قلت : لم تأخذ شيئاً من الردة أبداً ، وإنما وقع سوء تفاهم بين أهل دُبا من شمال عمان والمصدق ، فظن أن القوم قد ارتدوا ، لأن بركان الارتداد من العرب الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم قد انفجر ، فقام المصدق أمرهم على ما يسمع أو يسمع من غيرهم ، فعاجلهم وهم رهن الإشارة الإسلامية ، فقبض عليهم قبضة قادهم بها إلى المدينة ، وأبلغ الخليفة عنهم فسرعان ما تبين للخليفة الغلط من المصدق ، فرد القوم إلى مأمَنهم مكرمين محترمين ، فلقى بذلك الطاعنون في أهل عُمان سبيلاً لتطبيق الردة عليهم ، وهل يصح أن يقال لو فرضنا ارتداد أهل دُبا إنه صحيح ودُبا بلاد من أداني بلاد عمان لا أهمية لها من الوجهة الزعامية ، ولا رئاسة لها ، وإنما النظر يصح أن لو كان ذلك من زعماء عمان وأولياء الأمر فيها ، وهذا أمر قاله أحد المؤرخين بناء على الشبهة التي ذكرناها ، فسرى في أقوال المؤرخين وتداولوه في تواريخهم ونادوا به في عمان ليكون أحدى سبباً لعُمان ولأهل عمان ، والحق هو هذا وسوف ترى بسط ذلك في محله عند الكلام على اسلام أهل عمان إن شاء الله .

ومن مدنها المشهورة ، مسقط ونزوى وصلالة وصحار وسمائل ، وتاريخها ذكر ابن خلدون أنها سميت باسم عمان بن قحطان أول من نزلها من العرب في عهد أخيه يعرب بن قحطان ، ونقل صاحب تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان : « أن قبيلة الأزدي اليمنية التي هاجرت إلى هذا القطر بعد حادثة سيل العرم وتهدم سد مأرب هي التي أطلقت عليها هذا الاسم باسم واد كانوا ينزلون حوله بالقرب من مأرب يدعى عمان » كما تحدث عن وقوع حوادث حربية بين العرب من رجال الأزدي

المهاجرين من اليمن وبين الفرس الذين كانوا يحتلون هذا القطر العربى تغلب العرب فى نهايتها على الفرس وأجلوهم عن البلاد ، ثم لحقت بعمان قبائل عربية من بنى سعد وعبد القيس وتميم وغيرهم ، فقد خضع هذا الجزء من بلاد العرب قبل ذلك لحكومة التابعة فى اليمن الذين امتد سلطانهم على كثير من أقطار الجزيرة العربية كما سبق فى موضعه ، فلما جاء الاسلام كان ملك عمان الى عبد وجيفر ابنى الجلندى الأزدي ، فبعث اليهما رسول الله ﷺ عمرو بن العاص السهمى بكتاب يدعوها فيه الى الاسلام ، وقال فى تحفة الأعيان فى تعريف عمان قال ابن خلدون : « هى من ممالك جزيرة العرب المشتملة على اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وعمان » قال الامام : « يعنى عمان بعض جزيرة العرب المشتملة على هذه البلدان » .

قال : « وهى خامسها اقليم سلطانى منفرد على بحر فارس من غربها مسافة شهر ، شرقيها بحر فارس ، وجنوبيها بحر الهند ، وغربيها بلاد حضرموت ، وشماليهما البحرين كثيرة النخل والفواكه ، وبها مغاص اللؤلؤ سميت بعمان بن قحطان أول من نزل بها بولاية أخيه يعرب بن قحطان ، يعنى أن يعرب ولى عليها أخاه عثمان فسميت باسمه وصارت بعد سيل العرم للأزد ، وجاء الاسلام وملكوها بنو الجلندى » الى أن قال « وهى فى الاقليم الثانى ، وبها مياه وبساتين وأسواق ، وشجرها النخل » الى أن قال : « وقلهاى هى فرضة عمان على بحر فارس ومما يليها الشحر وحجار فى شمالها ، » وأراد بها صحار تحريفا للصاد المهملة بالحاء المهملة الى البحرين أى الأحساء بينهما سبع مراحل ، وهى فى جبال منيعة أى عمان فى جبال منيعة ، فلم تحتاج الى سور ، وسيأتى أن عمان كانت قبل العرب فى يد الفرس ، وأنها صارت اليهم بعد سيل العرم بعد حروب الخ الى أن قال : وانهم أسموها باسم واد كانوا ينزلون حوله ، اذا كانوا فى مأرب ، وأن الفرس كانت تسميها مزون وفى ذلك يقول قائلهم :

إن كسرى سمى عثمان مزوناً
ومزون يا صاح خير بلاد

بلدة ذات مزرع ونخيل
ومراع ومشرب غير صادي

وقال المسعودي في المروج : وسنجد قسبة بلاد عثمان وأراد بها
صحار ، قلت هي صحار بعينها ، وإنما حرف اسمها غلطاً ، وقال
الأندلسي الشريفي : صحار سوق عمان ، سيأتي ذلك عند الكلام على
صحار ، قال : « ومرساها فرسخ في فرسخ » ، أي كانت مرسى عظيمة تكثر
فيه السفن بحيث يصير امتدادها إلى هذه المسافة ، إلى أن قال :
« وبلاد عمان ثلاثون فرسخاً » ، قلت : إن كان أراد طول ساحل عمان
ربما قارب ذلك كما سوف نقف عليه في محله .

قال : ما ولي البحر سهول ورمال ، وما تباعد حزون وجبال ،
وهي مدن أي عديدة ، قال : منها مدينة عمان أي صحار ، لأن لها
الشهرة إذ ذاك » ، قال : وهي حصينة على الساحل ، قلت : كان تحصينها
بأسوار تحيط بها قوية متينة ، قال : « ومن الجانب الآخر مياه
تجري إلى المدينة أي ان صحار كانت تسقيها المياه بالقنى المنجرة إليها
من الأودية التي هي في أعلاها ، وهي التي تعرف عند أهل عمان بالأفلاج
عرفاً شائعاً عاماً إلى آخر ما وصفها به » ، وسيأتي ذلك في محله ان
شاء الله إلى أن قال : « أحوازها مغاص اللؤلؤ » ، لأن أحواز عمان كما
عرفت إلى الأحساء ، وكل هذا الساحل تابع لعمان ، وإن قيل تابع لصحار
غير بعيد ، لأن الشهرة في ذلك العهد لصحار في الساحل الشمالي .

قال في معالم الجزيرة صفحة ٢١ : « ان البراكين في القديم هي
التي كونت الجزيرة على هذا الوضع الحاضر ، إنما هو من عمل

البراكين التي نرى من آثارها الآن الشيء العظيم ، فجميع الحرارة الموجودة في جزيرة العرب ما هي إلا اندفاعات بركانية خلفت لنا الحجارة السوداء النخرة فوق الرمال القديمة فأمسكتها عن التفتت والزوال « الى أن قال : لقد حدثت حركات أرضية فوق الادوار القديمة سببت تكون أخدود البحر الأحمر ، وانقسام القارة العظيمة الى قسمين قسم غربى البحر الأحمر نعرفه الآن بأفريقيا ، وقسم آخر شرقية نعرفه ببلاد العرب ، وقد تكونت عمان والجبل الأخضر بحركات أرضية مماءلة ، قال فان المستر برترام توماس يؤكد في كتابه (العربية السعيدة) أن بلاد عمان كانت في العصر الجيولوجية قسما من بلاد ايران ، قلت : ان كان يعنى أنها قسم من بلاد ايران أى تابعة لها فمسلّم ، لأن الفرس تولوا عمان وألحقوها ببلادهم حتى جعلها أحد ملوكهم منفى لمن أراد نفيه من بلاده ، ومكثوا فيها عهدا طويلا الى أيام نبي الله موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام ، حتى أجلاهم العرب في عهد قريبة من البعثة ، وتم جلاؤهم بمعهد الاسلام في عمان ، وان كان يعنى أن عمان من بلاد ايران وتكون هذا البحر الفاصل بين عمان وايران ففصلهما عن بعضهما بعضا ، فمن الممكن ذلك إلا أننا لم نقف له على صحة ، وعلماء البحار يذكرون أمكنة كانت أبحرا فصارت برا ، وبرا صارا بحرا ، وذلك بعد الطوفان ، ولعل هذه الحوارة التي في بلاد العرب نتيجة تلك البراكين أو الغازات ، وأخص بالحرارة بلاد العرب وعمان من أحرها فلعلها أكثر بلاد العرب غازا ، وبراكين الغازات فيها غزيرة المادة .

وعمان مملكة خالدة من عهد عريق تتولى ممالك فتضمها اليها أحيانا وتتأخر في بعض الأحيان لتبقى على كرسيها بعمان ، وربما غزاها غزاة في بعض الأزمنة فيتلغلغلون في قلبها ويتولون أمرها بشأن

الممالك العامة التي تطمح اليها الأنظار ، وعمان كما قيل عنها كرسى الجزيرة في الشرق كثيرة المعادن المتنوعة .

واعلم أن عمان قديما اسم يشتمل هذه الرقعة التي هي منتهى تسبه الجزيرة الى البحرين الحسا ، فهذه كلها عمان فيدخل فيها العقير وقطر ، ثم تبدل هذا الحال بعد ذلك فانفصل عن اسم عمان ذلك الطرف الغربي المشار اليه ، ثم انفصلت قطر وأعلنت أنها قطر مختص بواحاته وصحاريه ، وبقي الاسم العماني شاملا لأبو ظبي وما يليها تشريفا الى مسقط ، ثم كاد أن ينفصل هذا الى أقطار خصيصه حتى صار الخارج من دبي يقول انه رائج الى عمان وكذلك أهل الساحل على طوله ، فبقي اسم عمان مختصا بالبلاد الداخلية وهكذا ، وهذا من باب المتغير الطارئ لأحوال اقتضاها الحال في عمان ، وبلغنى أن على بن عبد الله آل ثانى لما أطلع على الاسعاف ورأى فيه اسم عمان يشمل قطر استنكر ذلك ، ولو رجع الى أصول التاريخ لم يستنكر ذلك ولايقن أن لعمان الشرف الطويل العريض ، ولم يتبرم من كون قطر قطعة من عمان ، ولو ألقى نظرتة الى كلام ابن المغرب العيوبى حيث يقول فيقصيده اللامية الهائية وهو البيت الثالث والخمسون منها وهو قوله :

وجازت قرى البحرين عيسى وأصبحت

عمانية واستسالتها سواحلها

قال الشراح : « ويعنى بالسواحل سواحل البحرين من عمان » ، أن سواحل البحرين من عمان لو نظر ذلك الأمير الى هذا وأمثاله لما استنكر كون قطر من عمان ولا عبرة بالتقسيم الطارئ على الممالك ، فان ذلك شيء آخر غير ما نحن بصدده ، فقد صارت عمان في القرن العشرين وهو القرن الرابع عشر الهجرى ممالك متعددة ، وأقطار منفصلة تتنافس في الشؤون ، ولا سيما لما صار الساحل المعروف بالمتصالح أو

المحمى كله امارات ، وفي قلب عمان امامة مختصة بجانب منه ، وفي ساحله سلطنة جائمة عليه ، وهكذا صار اسم عمان يتعلق بالقلب الداخلى ، وبهذا البيان نعلم أن عمان اسم شامل لهذه الامارات كلها ، وتقع البريمي في القلب من عمان لا علاقة لها بأى قطر من أقطار الجزيرة العربية ، اللهم إلا إذا كان الحكم للسيف لا للقلم ، فللسيف حكم التغلب والقهر وللقلم حكم التحقيق والعدل الى الحق ، ويرجع العدل الى الحق لا الى التغلب ، ولو كان الحكم للسيف فلعمان أكثر بلاد العرب في الجزيرة الى رأس الرجاء الصالح بشهادة الأجانب من اليهود والنصارى ، وباعتراف العرب في معظم البلاد .

فانظر في حياة الشرق وغيره من كتب التاريخ جاهلية واسلاما تجد التحقيق ، أما عمان الطبيعية فهي ما يشمل ما ذكرناه لا ما يقوله الغير . قال الخضرى في محاضراته إذ يذكر جزيرة العرب قال : « وأسياف البحرين وقطر وعمان » قال في التعليق : « بلاد على ساحل الخليج بين البصرة وعمان » ، قال : « وكانت هي وعمان أيام بنى العباس عملا واحدا » ، أى أن البحرين وقطر وعمان كانت تعتبر بلدا واحدا في ذلك العهد ، وذكر قطر وهي بفتح القاف وفتح الطاء المهمة قرية على سيف الخط بين عمان والعقير وهي أى العقير بجزاء هجر ، وقال في صحرار : « كورة عربية على ساحل بحر الهند بين حضرموت وعمان » ، قال : « وتنتهى الى البحرين » . أى عمان نهايتها البحرين ، قال : « وقصبتها مدينة صحرار » ، قال صاحب جغرافية الشرق الأدنى إذ يذكر الشحر : « تمتد هذه المقاطعة أى مقاطعة الشحر شرق شمالى مهرة وتمتد جزءا من بلاد عمان » ، قال : « وينتشر سكانها في الساحل بين جزائر كوريا موريا وجزيرة مصيرة الخ » ، وعلى كل حال ان الشحر قطعة من عمان ، وان كوريا موريا هما من عمان باتفاق المؤرخين القدماء الذين هم الحجة في تحقيق التاريخ ، أما

الذين يتبعون أهواءهم فلم يكونوا حجة في شيء ما ، والتاريخ العربى والإفرنجى شاهد بما قلناه .

قال بعض الكتّابين : أن عمان هي جزء من جزيرة العرب تمتد من حدود قطر الى حدود حضرموت وغير مضبوط عدد سكانها ولا يوجد بها احصاء رسمى ولا اهتمام لأهلها بذلك . قلت : بل لهم اهتمام عظيم ، فقد روى أن سمّال وهي محله بنزوى بلغ سكانها أربعة عشر ألفا ، ولو لم يكن لهم اهتمام لما علموا ذلك في القرن الثالث عشر الهجرى .

ولا يعرف أول من سكنها على الصحيح ، ذكر بعض المؤرخين أن قبائل العرب البائدة طسم وجديس كانوا بها والعمالقة هم الأخص بها ، قال : « ولا يفهم أنهم انقرضوا أو أخرجهم الفرس منها » . قال : « وكتب أهل التاريخ القديم والحديث كثيرا عنها وعن سكانها » قال : « ولابن خلدون وابن الأثير قدم السبق » أى فى التحدث عن عمان ، قال : « وذكرها غيرهم كالطبرى واليعقوبى والمسالك والممالك » ، قال فيلبى : « ان الأقسام الجنوبية من شبه جزيرة العرب هي الوطن الأصلى للساميين » ، وأراد بهم ذرارى سام بن نوح عليه السلام وقد سبق لنا ذلك .

ذكر العوتبى فى الأنساب وهو أحد رجال العلم فى أوائل أهل عمان .

وفى كلام بعض التميميين يقول :

ألا يا من لصب مستهام

قريح القلب قد مل الزونا

بفتح الميم وضم الزاي المعجمة قال المبرد في معناه المزون عمان
وهو اسم من أسمائها ، قال الكمي :

فأما الأزدي بن سبيد
فأكبره أن أسميها المزون

والمعنى أن اسم المزون اسم لعمان فأكبره أن أطلقه على الأزدي
لا أطلق عليهم اسم بلدهم : وقال جرير :

وأطفأت نيران المزون وأهلها

أ هـ من شرح أبي الحديد على نهج البلاغة في الجزء الرابع صحيفة
١٥٨ أ هـ •

قلت : ولنا في رعاية الأحساب عن العمالة هم بنو عملاق بنو
لاوذ بن سام ابن نوح ، قال السويدي : وهم عظيمة طوال القامات
يضرب بهم المثل في الطول • يقال رجل عملاق ، أي بالغ الطول قامات
العماليق ، وكذلك عظم الجثمان ، تفرقوا في البلاد فكان منهم أهل المشرق
وأهل عمان والبحرين والحجاز » ، قلت : وهذا يدل أن من أول من
سكن عمان العماليق ، قال : وكان منهم ملوك العراق وجبابة الشام
والجزيرة وفراعنة مصر ، ومنهم قبيلة جاشم بجيم بعدها ألف فتشين
فميم ، قال السويدي : هم بنو جاشم بن عملاق كانت مساكنهم يثرب
والبحرين وعمان الخ •

مناخ عُمان

أما مناخ عمان فهو طيب جدا شتاء أو صيفا ، وان وصفت بالحر في الصيف فقد صح أن غيرها من بلاد العرب أحر منها ، (فنجد) أحر من عمان بمسافات وكذلك سائر الجزيرة ، وان كان العراق والشام وباقي بلاد العرب من غير الجزيرة لا حر بها فعمان طيبة الهواء جدا ، أما السموم الحار الذي يهب في الصيف فليس لعمان منه أكثر من غيرها ، بل هواء عمان دائما سحسج بارد أو معتدل ، وكذلك البرد لم يكن بها برد شديد بالنسبة الى باقي بلاد العرب ، فالرياح في الطرف الشرقي من جعلان الى أطراف نزوى والظاهرة طلق نظيف لطيف ، وهواء البريمي كذلك ، أما هواء الباطنة ففيه بعض اللزوجة في وقات غير طويلة المدى ، ثم تذهب لزوجته ويبقى باردا رطبا تعشقه النفوس ، واذا تبرم منه أهل عمان فمعناه لم يتعودوا على هواء البلاد الأخرى ، فالرياح لم تكن زعزا الا نادرا ولا تقف أيضا بتاتا بحيث يسبب توقفها ثقلا على النفوس كبيرا ، وأما هواء الجبل الأخضر في الحر يكون رخيفا طيبا يسلى النفس وينعش القلب وينشط الدم ، ولما في الشتاء بارد جدا بحيث تؤذى برودته لغير المعتود بها لارتفاعه ، فانه يقدر ارتفاعه بأكثر من عشرة آلاف متر عن سطح الأرض بحيث لا يحس الماشي بحر الشمس اذا مشى فيه وقت الحر ولو حافيا ، وفي الشتاء اذا وقعت الأمطار وهبت الريح يجهد الماء .

جبال عُمان

أهم جبال عمان الجبل الأخضر وهو الجبل الخاص ببني ريسام عند الاطلاق ، ثم جبل الكور الخاص ببني هناة ، ثم قنسة وادي السحتن وهو الخاص بأل عبدة بن زهران ، ثم تبقى قطع من الجبال

بعمان لها حكم الجبل الأخضر في بعض الأحوال كجبل صيا في حطاط ، وهو جناح مستطيل بوادي الطائيين وقطعة منه بجعلان تدعى بجبل قهوان ، ثم جناح يمتد من جبل بنى ريام مغربا حتى يعانق جبال الحدان ابن شمس فيستمر سائرا في الغرب حتى يشرف على سفح البريمي . ثم تمتد جبال ليس لها من صفات الجبل الأخضر لا اسما ولا معنى . وبعض هذه الجبال التي ذكرناها ليس لها حكم الجبل الأخضر إلا في اللون أو في العلو أو في البرودة فقط ، أما جبل بنى ريام فهو جنة عمان وجنتها ، وأما جبل الكور ففيه بعض من نوع ما في جبل بنى ريام ، وأما قنة وادي السحتن فهي قطعة من الجبل الأخضر فيها بعض الصفات الملحقه لها بحكم جبل بنى ريام ، ثم بقيت جبال في عمان فخمة ضخمة في ذاتها لكنها تخالف ما ذكرنا في صفاتها ، والجبل الأخضر على الاجمال حصن عمان من العدو الغازي ، وحوض عمان لحفظ مياهها وكرس الأمن في غالب الأحوال ومستشفى المرضى من أمراض عديدة لا علاج لها إلا استنشاق هواه وأكل ثمره ، إذ هو روض من الرياض في فواكه وزهره ولطيف نسيمه وحسن رياه .

رمال عمان

أعلم أن عمان أخذت حظها من الرمال المتناثرة والمتكدسة القارة والمتنقلة ، ففي الباطنة رمال مفروشة عليها معروشة وغير معروشة ، هادئة قارة لها عمقها في الأرض صالحة للغراس على اختلاف أنواعه باجماع أهل الفلاحة ، ولذلك صار إقليم الباطنة عامرا أغلبه مأهولا مملوكا على طول الساحل المتصالح الى حيث ينتهي ، وفي عمان الداخلية رمال متنوعة منها الهادي والمتنقل والمتراكم وغيره من جعلان والدقم ومحوت الى ظفار في الجنوب والى الأحقاف في الغرب الى ظفر ، وبادية الظفرة الى أبو ظبي ودبي في الجانب الشمالي .

مراعى عمان

اعلم أن مراعى عمان كثيرة متنوعة لا يحصىها قلم كانت مهما كان ومهما صح له من فراغ وخصوصا أيام توالى الأمطار فإنها تصير كلها سهلا وجبلا روضة خضراء ودوحة زهراء وجنة بهجة ، الا أن أمطارها قليلة غالبا .

حيوانات عمان

اعلم أن عمان بها كل الحيوانات الأهلية من الابل التى يضرب بها المثل فى حسنها وجمالها وفى ركضها وأحمالها باتفاق خبراء العرب الذين لهم الخبرة والتجارب ، وقد شاع هذا عند المؤرخين قديما وحديثا ، وقضت به التجربة والمادة أيضا ، وقد صح أيضا أن لبن الحيوانات العمانية أصح الألبان ولحما أطيب اللحوم بحيث لا يمتري فى هذا أحد ، وأما البقر فى عمان فكالابل بغير مدافع ألبانها ولحومها على حد سواء فالسمن العماني لا مثيل فى العالم باجماع أهل الأقاليم ، وإن قال بعضهم ان سمنهم قليل فيتمكثون من تصفيته ، فالحق أنه أطيب الأسمان ان لم يغش ، لأن المراعى العمانية أطيب المراعى ، فلذلك يكون اللبن والسمن أطيب الألبان والأسماك واللحوم كذلك ، فان طيب المرعى مؤثر فى الراعى وهذا لا يدفعه أحد إلا مكابرة .

وأما الغنم بعمان فهي كالابل والبقر فى طيب الألبان والأسمان واللحوم ، وأنواع الغنم فى عمان كلها موجودة ولها نهاية الجودة ، بل ربما قال بعض الخبراء الذين لهم الدارية الكاملة ، ان حيوانات الداخل تفوق حيوانات الساحل ، وحيوانات الجبال تفوق حيوانات الأودية ، والسيوح بعظم الأجسام وطيب الألبان والأسمان واللحوم

حتى بالغ بعضهم فقال بالفرق في الأرواث لدى الأسمدة ، وذلك غير بعيد أيضا •

وأما الخيل فخيول عمان تفوق على خيل باقى بلاد العرب ، لأنها تطعم القوت والتمر العماني ، وذلك هو الذى يكسبها التفوق فى ركضها والحسن فى هيئتها وجمالها ، ثم تليها خيل البحرين فخيول نجد كذلك •

وأما حمير عمان فهى أنواع منها حمير الجبل الأخضر كالبيغال لا تختلف عنها فى شىء أبدا ولا تصلح فى الجبل غيرها وباقى الحمير عديدة الأنواع •

وأما الحيوانات الوحشية

ففى عمان الوعل والظباء بكثرة الا أن السيارات الآن فرقت بها شعر بخر ، ويوجد بها الثعالب والأرانب ، ومن الحيوانات الضارية بعمان الذئاب والضباع ، أما الأسود والنمور والفهود فلا توجد بها أصلا إذ لم نجد لها ذكرا فى التاريخ القديم والحديث ، وتوجد بها الحيات المتوسطة الحجم والصغيرة الحجم أيضا أما الحيات الكبار التى تذكر فى البلاد الأخرى فلا توجد بعمان أصلا •

وأما بحر عمان

فهو بحر الخير ومخزن الأرزاق لأنه كثير الأسماك الطيبة اللذيذة صغارا وكبارا ونوعا بسميه أهل عمان العمومة ، وآخر يطلقون عليه ما دام طريا اسم البزبة بتشديد الزاء المهملة والياء المثناة من تحت ، وإذا جف سموه قاشعا بقاف مفتوحة فشين مثلثة فعين مهملة ،

ومن هذه الأنواع يصدر الى الخارج كميات كبيرة تعود على الأهالي
بائتمان وافرة ومبالغ مهمة ، كما تكلم على هذه الأنواع كثيرون
من المؤرخين ، وفي بحر عمان من أنواع السمك ما لا يوجد في غيره كثرة
وطعما .

وفيه مغاص اللؤلؤ الذي هو أكبر الذخائر في العالم ، ولا يوجد في
غير بحر عمان من ذلك ، وان وجد فشيء غير كبير الأهمية ، ومازال بحر
عمان هادئا مطمئنا قليل الأخطار كثير الخيرات عظيم البركات ، وعند
أهل عمان يرجع ذلك لدعائه عليه الصلاة والسلام حين استدعاه الصحابي
الكريم مازن بن غضوبة السعدي السمائي وقد شهد ذلك وعسى أن
نذكره في محله ان شاء الله .

أودية عمان

لقد ذكرنا في مقدمتنا لتاريخ عمان بعضا من أودية عمان ونذكر
هنا بعض منها وأهمها في الداخلية وادي القرى ، وقد ذكرنا مبشدها
ومنتهاها ، وهو واد كثير المزارع طويل المدى فيه قرى متعددة وأفلاج
مبعثرة ومزارع متناثرة على طول خطه .

وقريب منه وادي عندام المنحدر من رؤوس العق والجرداء ،
ويمر الى أن ينتهي في الرمل الجنوبي من عمان ، مأهول مسكون قراه
وفلواته إذ هو كثير الفلوات واسع الغابات ذو ريف جميل لا يخفى
على من مشى فيه .

ووادى حلفين بجاء مهمة مفتوحة بعدها لام ساكنة ففاء فمثناسة
تحفية فنون ينحدر من الجبل الأخضر من سفحه الشرقي ليمتد الى الرمل
الجنوبي ويسقط في الرمل كثير البلدان والسكان .

ووادى سمائل النازل من الجبل الأخضر بعض شعابه الغربية ،
ثم يلتقى بشعاب أخرى عديدة كثير البلدان المحتوية على عشرات الآلاف
من الرجال دون النساء والولدان ، لا يزال خصبة مستمرا الى أن ينزل في
رمال الباطنة بالسيب ، يحتوى على أمهات القرى في عمان •

ووادى بنى خالد في الجانب الشرقى واد متسع مأهول كثير
السكان متسع البلدان ، واقع في شرق عمان ، من أكبر الأودية العمانية
التي لها أهميتها •

ووادى الطائيين واد عظيم له شعاب واسعة وبه قرى وبلدان متعددة
القبائل كثيرة المحد •

ووادى وما يشتمل على قرى لبنى شهيم وغيرهم من سائر
القبائل وبه بلدان واسعة بالنسبة الى تلك القرى الجبلية •

ووادى المعاول المشتمل على تلك الديار الفيحاء ذات الحقائق
الجميلة ، وفي رأسه نخل وهي من أمهات القرى في هذا الوادى المنحدر
من سفوح الجبل الأخضر المعروف أعلاه بوادى مسطل بميم مضمومة
وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة فوقية وآخره لام ، وهذا الوادى من أكبر
الأودية وأكثرها عمراناً •

ووادى الأبيض المعروف من أعلاه بوادى بنى خروص لاشتماله على
بلدان بنى خروص وفي آخره قرية الأبيض المأهولة ببني صبح •

ووادى الرستاق أعمر الأودية العمانية وأكثرها أرزاقا على الاطلاق .
لأن في أعلاه قرى لبنى عوف وفي وسطه الى آخره قرى الرستاق المتعددة •

ذات الحوائق الغناء ، والبساتين الزهراء ، والخياض الخضراء أو على الاطلاق هو وادى الخيرات ، وادى الأرزاق كثير القبائل واسع الفضائل •

ووادى بنى غافر من الأودية المتسعة التى لها أهميتها فى عمان مأهول بقبائل عديدة تحت اسم بنى غافر فيه بلدان رائعة حسنة يبتهج بها القلب •

ووادى الجهاور كذلك من الأودية المأهولة العامرة بقبائله العريقة •

ووادى بنى عمر من الأودية الهامة المعروفة المتعددة البلدان والقرى والمزارع الذى لا يزال عامرا كسائر أودية عمان ذو أهمية قبائلية وأمتة التى تعيش فيه عيشة الأحرار •

ووادى الجزى المنحدر من جبال واحة البريمي المنصب فى النواحي الصحارية عامر بسكانه المتعددين من كتود ومقابيل وغيرهم من القبائل ، ويشتمل على بلدان معروفة لا تخفى على أحد لأنه طريق البريمي الى صحر الى الشمالية فى الغرب والى مسقط فى الشرق •

ووادى القور آخر الأودية فى الجهة الشمالية معروف عند الكل من مواطنين وأجانب ، وسكانه كذلك لا يخفى مقامهم وبلدانهم معروفة لا تحتاج الى ذكر ، وعلى كل حال ان هذه الأودية التى ذكرناها هى أمهات الأودية فى عمان ، والا فقد بقيت أودية كثيرة مأهولة عامرة لم نذكرها لصغر بلدانها وقلة قاطناتها ، لكن مجموعها يسد فراغا هاما فى عمان الداخلية ، ولا يخفى اننا لم نذكر البلدان الواقعة فى هذه الأودية بأسمائها فضلا عن أممها وقبائلها ، ذلك شئ يطول وربما كان عسيرا ، فان مساحة عثمان تقدر بمساحة بريطانيا وكلها مأهولة مسكونة بقبائل متعددة •

ولا يخفى أن الوضع العماني ينقسم الى قسمين ، والقاسم له
الجبل الأخضر ، فانه صار سنام البعير وغاربه ، فأما الجانب الشمالى
منه من جوزه رأس الحد فى الشرق الى رأس أم سندم فى الغرب ،
فهو منخفض جدا نهايته البحر ، فانه يسير فى انحدار بحيث يغلب
على القياس حتى يتصل بالبحر انحداراً ملموساً ، فتتروى أمطاره تنقضى
الى البحر انقضاء باهراً بحيث يحسبها الراى انفجار براكين هائلة
لا صادلها ولا راد .

أما القسم الجنوبى بخلاف هذا فانه يتنازل تدريجياً الى أن
ينتهى فى الرمل كما قلنا ، ثم ان الله جلت قدرته جعل قيعان الأودية
المنصبة الى الشمال كلها صخراً يمنع بقاء الماء فى قيعانها ، بل
سرعان ما يسيل الى البحر ، وبالعكس الأودية الأخرى ، ثم ان الجبال
الحالة فى الوسط العمانى هى الكفيلة بتقسيم مياه الأمطار على هذا
الوضع الذى ذكرناه .

الولايات بعثان

اعلم أن عمان تشتمل على أكثر من أربعين ولاية فى الوقت الحالى ،
والمراد بالولاية منطقة يحكمها والٍ وقاضٍ أو أحدهما ينفذان فيها
حكمهما بشرع الله ، ويحكمان على القوى والضعيف ، ويستمدان قوتهما
من الحاكم الأعلى ، ولهما جنود مدنيون يقومون بتنفيذ الأوامر ، وأرزاقهم
جميعها إما من السلطنة العليا أو من خراج نفس الولاية على حسب
الاتفاق بينهم ، على هدى القوانين الإسلامية عن السلف الصالح كما
هو معروف عندهم أشبه بأيام الخلفاء الراشدين .

العواصم بعثمان

عواصم عثمان الساحلية :

أولها : مسقط — قال الحموي : « مدينة من نواحي عمان في آخر حدودها مما يلي اليمن على ساحل البحر » . قلت هذه صفة لم تنطبق على مسقط ، ولكنها وصف غريب يصف الشيء على غير صفته ، فهي على ساحل البحر مما يقابل فارس أو على الأقل مما يلي مكران ، فأين مسقط من اليمن بل هي عاصمة عمان من البحر في الجانب الشرقي الشمالي ، فهي مدينة من مهام المدن على البحر العربي الفارسي علا شأنها وعظم مكانها منذ القرن الحادي عشر للهجرة ، حين حل بها البرتغاليون وبنوها حصنا لهم بل حصونا وسوروا من الجبال بأسوار مكينة حين صار ملك عمان بأيدي الطغاة من آل نبهان ، واستمر بها الحال أيام اليعاربة الأجلاء الذين يفتخرون بهم الدين وتبتهج بهم الدنيا ، ثم اتخذها آل بوسعيد عاصمتهم الوحيدة وهكذا تطور وقتها حتى الآن ، ولكه في أرضه وبلاده نظرات والحمد لله .

والثانية : مطرح — وهي العاصمة الراقية لا تبعد عن مسقط فوق نصف ساعة على الماشى وعلى السيارة الآن عشر دقائق أو دونها ، وهي مدينة تجارية أقام صرحها الحالي البترول وأنعش روحها السلطان الحالي قابوس بن سعيد المفدى ، فقام بعنايته شرفها الجديد ، فهي مصب التجارة العمانية على اختلاف أنواعها وهي في الثغر الباسم في وجه القادم الى مسقط ، وهي محاطة بجبال منيعة كمسقط المار ذكرها وبها الرصيف الذي أقامه بها السلطان قابوس .

ثم الثالثة : صور — وهي العاصمة الثالثة ، لها المقام الرموز في العواصم الساحلية العمانية من فواح عديدة ، فهي بالجنبة عزيزة منيعة ، وبعمان قلعة رفيعة وبالسultan العُماني كورة وثيقة ، تمون عمان الشرقية وترمى بأبطاها في المغامرات في وجه الطليعة ، في أفق مكشوف وفضاء معروف ، لها منظر بديع في البلاد العمانية ، لا تباريها فيه بلدة من البلاد العمانية الساحلية مهما كانت ، إلا أن أهلها فاقدون الحضارة ولهم في سبر البحر زائد المهارة ، وبها في الأعلى منها حدائق غناء ناشئة على مياه عذبة لا يتصل بها البحر ، بها مزارع للخضراوات لا تزال وافية بحاجياتها ، إلا أنها قائمة على الزجر لا على الأنهار ، والآن يسر الله الآلات العصرية التي تقرب من الأنهار لتيسير مؤنتها وبذلك تصبح البلاد متقدمة جدا .

ثم صحار في الجانب الغربي : صحار — العاصمة الرابعة ، قال بأقوت الحموى ، في الجزء الثالث ، في حرف الصاد بالضم أى بضم الصاد المهملة ، وآخره راء مهملة ، قال : وصحار قصبة عمان مما يلي الجبل ، وتوام قصبتهما مما يلي الساحل ، قلت : هذا غلط فاحش ، ان لم يكن قلباً مطبعياً ، فان الأمر بالعكس ، فصحار على البحر ، وقد أكل البحر منها أذرعاً بل أبوعا . وتوام اسم للبريمي ، والبريمي في عنق عمان ، وهي إحدى عواصم عمان وأكبر مقاطعاتها في الداخل ، قال الحموى : « وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه . مبنية بالآجر والساج » ، أى لكون الحجر بعيداً منها في الجبال العالية . والمرتفعات النائية ، قال الحموى : « كبيرة أى صحار . مدينة كبيرة » . قال : « ليس في تلك النواحي مثلها ، سميت بصحار بن أرام بن سام بن نوح عليه السلام ، وهو أخو رباب وطسم وجديس . قال اللغويون : انها تلى الجبل ، قلت ليس هذا مما يختص به اللغويون بل هذا مما لكل ذى علم بالاطلاع عليه أن يقوله فلا مزية للغويين فيه يختصون بها ، ثم قال البشاري : صحار قصبة

عمان ليس على بحر الصين بلد أجل مثله عامر أهل حسن طيب نزه
ذو يسار وتجار وفواكه ، أجل من زبيد وصنعاء وأسواق عجيبة وبلدة
ظريفة ممتدة على البحر دورهم من الآجر والساج شاهقة نفيسة ، قال :
والجامع على الساحل له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق ، قال
ولهم آبار عذبة وقناة حلوة أى فلج بحسب العرف العُماني ، قال :
وهم في سعة من كل شيء قال : « وهو دهليز الصين وخزانة الشرق
والعراق ومنوثة اليمن » ، قال : « والمصلى وسط النخيل ومسجد صحرار
على نصف فرسخ أى في وسط البلاد والمسافة لنتهى صحرار نصف فرسخ
من الشرق الى الغرب أو من الجبل الى البحر أو من الكل » ، وجميع
ذلك غير بعيد من الحق ، فإن صحرار كما وصفها انها دهليز الشرق ،
وان أهلها في سعة من كل شيء وهذا ما ليس عليه من مزيد ، وانها
خزانة الشرق كناية عن كثرة الأموال والأرزاق بها ، إذ كانت تصب
اليها أموال عظيمة ، قال الحموي وهو يذكر محل مسجدتها : « وثمت
بركت ناقة رسول الله ﷺ » ، قلت : لم نعرف هذه الناقة متى بركت
هناك ، ولعلها في عهد عمرو بن العاص أيام جاء الاسلام أهل عمان ،
وكان الركوب على النوق وان مركوبته هي ناقة رسول الله ﷺ ، أى
أحدى نوقه ﷺ ، قال : « ومحراب الجامع مكوكب يدور ، فتارة تراه
أصفر وتارة تراه أحمر وأخرى أخضر وهكذا » ، قلت : ان المحاريب في
المساجد أول من أحدثها عمر بن عبد العزيز الأموي أيام تولى المدينة قبل
خلافته تعيينا لموضع الامام من الجماعة في الصلاة ، قال الحموي : « ولا
أدرى كيف كان بروك الناقة وكأنه أخذ ذلك نقلا عن غيره » ، ولعل حقيقته
ما ذكرت لك قال : « وفتحها المسلمون في أيام أبى بكر الصديق رضى
الله عنه في سنة اثنتى عشرة صلحا » . قلت : وهذا من الخطأ
الفاحش الذى يقع فيه المؤرخون ، ومنه يتضح خطأ ما قالوه في

ردة أهل دبا ، بل ردة أهل عمان ، لقد صبح واشتهر عند أهل العلم بالسيرة والتاريخ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل عمرو بن العاص السهمي القرشي إلى جيفر وعبد ابنى الجندى ملكي عمان في اسلام أهل عمان ، وذلك في سنة ثمان للهجرة ، والقضية عند أهل التاريخ أشهر من نار على علم فسبحان من له الكمال وحده .

قال الحموي وإليها ينسب أبو علي محمد بن زوزان الصحاري العماني الشاعر ، وكان قد نكب فخرج إلى بغداد فقال يتشوق ببلدته من قصيدته :

لما لله دهرًا شردتني صروفه
عن الأهل حتى صرت مغتربًا فردًا
ألا أيها الركب اليمانيون بلغوا
تحية نائي لدار لقيتموها رشدا
إذا ما حللتم في صحار فألمسوا
بمسجد بشار وجوزا به قصدا
إلى سوق أصحاب الطعام فإنه
يقابلكم بآبان لم يوثقا شدا
ولم يرددا من دون صاحب حاجة
ولا مرتج فضلا ولا أمل رفدا
فموجوا إلى دارى هناك فسلموا
على والدي زوزان وقيتم جهدا
وقولوا له إن الليالي أو هنت
تصاريقها رفدي وقد كان مشتدا

(م ه — عمان عبر التاريخ ج ١)

وغيب عنى كل ما قد عهدته
سوى الخلق المرضى والمذهب الأهدا
وليس يضر السيف إخلاق غمده
إذا لم يفل الدهل من نصله حدا

وهذا ليس من محل ذكر العواصم بل من محل ذكر أعيان عمان
من علماء وثبغاء وخطباء وشعراء ، ولكن ذكرناه استطراداً كالتعريف
بصغار •

واعلم أن العواصم الساحلية هي المنظور اليها من الوجة الاستراتيجية،
فإنها هي ثغور القطر وهي أبوابه فمهما تكون قوة الأبواب وحصانة
الثغور تكون قوة القطر ، فإذا كانت الأبواب خشبية أكلتها الأرضة أو
النسار ، وإذا كانت حديدية فيحسب قوة حديدتها وضخامته وضعفه
ودقته ، والقوة في الكون هي الممدة فيه واليهما المنتهى •

والثغور هي أسوار البلاد وهي حصون الأقطار وهذا ما
لا يمتري فيه أهل النوى •

أما العواصم الداخلية فهي عبارة عن مواطن الحكام الذين
يحكمون البلاد وأهم العواصم الداخلية : نزوى إذ هي مقر الامامة
وعرش العدالة وكرسى الشريعة منذ عهد غير يسير ، وأهل عمان
بطبيعة مقضى مذهبهم غير وادعين الى الزخرفة المصرية ، ولا واكبين
اليها لأسباب أملتهم على هذه الحال لا تخفى على عباقرة الرجال ،
ففزوى عرش عمان الداخلية على كل حال •

الحلقة الثانية

في الأمم التي قطنت عمان

أعلم أن عمان كغيرها من بلاد الله التي هي موطن الانسان ، وبالأخص فسان جزيرة العرب هي قلب المعمورة بالنسبة الى الوضع الطبيعي ، ولذلك فإن الله جعلها مقر أجل النبوات العامة منذ أوجد الله الأمم البشرية في الأرض ، وبالأخص أيضا الأمم السامية ، وقد فرضنا على تاريخنا هذا ذكر الأمم التي قطنت عمان من سائر الأمم التي مرت بها الأزمان ، حتى يقف القارئ على تحقيق الأمم التي قطنت الوطن ، ومرحت فيه قبله عهدا من الزمن غير يسير ، وما كان لها فيه العيش وما أبدعت فيه من المصانع ، وما كان لها ، وعلى الأقل يكون محلا للاعتبار وعظة بمن سبق . ولذلك أمر الله عز وجل بالاعتبار في الكون وما احتوى عليه من بدائع وغرائب ، وعلى ذلك يعلم القارئ عما يحسن السكوت له .

فاعلم أن من أمم عمان في القديم السومريين وهم أول من أخرج النحاس ، أول ما أخرج للعالم أخرجوه من عمان ، وكانوا يسمون عمان أرض ماجان ، وذلك لأربعة آلاف سنة قبل الميلاد أو يزيد عليها ، وأن الكلدانيين أيضا من الأمم التي قطنت عمان كما يقول المؤرخ البريطاني برترام توماس والمؤرخ بليني الكلاسيكي الذي كان في القرن الأول للميلاد ، وكانوا يسمون عمان إيليتا ، وجاء الفرس ثم جاء قوم عاد فسكنوا عمان حتى أجلاهم منها عمان بن قحطان لما تولى عمان من قبل أخيه يعرب بن قحطان ، وكانت منازلهم بالرمل المعروف برمل الأحقاف وهو من عمان بغير خلاف .

وان الفينقيين سكنوا عمان وكانت صور بلادهم فارثطوا عنها جلاء الى الشام ، وبنوا فيها مدينتهم المعروفة بصور الشام ، بدلا من

صورهم في عمان ، لكن لم أعرف الذى أجلاهم ، ولعله عمان بن قحطان ، قال في المنتخب وكان مالك بن حمير قد ملك عمان ، ثم ابنه قضاعة ، ثم ابنه الحاف ثم ابنه مالك ، ثم حاربهم السكسك الحميرى فأخرجهم من عمان .

قال بعض المؤرخين القدماء : «أما الآشوريون فقد استولوا على عمان وذلك زمن ملكهم تفلت فلاس الآشورى ، ثم حل محلهم البابليون الآخريون فازدادت عمان بهم قوة وازدهارا ، ونشطت تجارتها إذ كانت الامبراطورية البابلية الثانية ذات اعتناء بعمان ، وأخذت فيها ردحا من الزمن ، وذلك في القرن السابع قبل الميلاد ، ثم جاء كورش أحد ملوك الفرس ، فاجتاح البابلية اجتياحا من عمان ، واستطاع أن يحقق أحلامه في السيطرة على الخليج العربى وموانئه المزدهرة على ساحل عمان ، وأزال البابليين من عمان كليا ، وحل محلهم الفرس » .

فيتبين من هذه الأقوال أن أول من حل بعمان السومريون وهم أول من أخرج النحاس قبل أن يكون له وجود ، فصنعوا منه المزهرات وهم الذين سموا عمان بلاد ماجان ، أى بلاد النحاس ، وذلك قبيل الميلاد بأربعة آلاف سنة ، وهذا يدل أنهم توطئوا عمان وتمكنوا من نواصى الأعمال فيها حتى أذن الله بزوالهم منها .

ثم جاء الكلدانيون فنزلوا عمان وقطنوا بها أعواما غير يسيرة وهم الذين سموا عمان ابليتا .

ثم جاءت الفرس الأولى فنزلت عمان وتولوا زمام الأمر فيها أعواما لا تقبل عن سبعة قرون ، ثم أراد الله زوالهم منها بعد ما مرحوا فيها تلك القرون المشار اليها ، وزاحمت فيها قوم عاد إذ أفاضوا عليها من الجزيرة العربية موجات متوالية مزدهمة ، فكانت الأحقاف مركز

زعامتهم ومحل العتاة منهم ، كما أشار القرآن الى ذلك ، وكان لقوم عاد في عمان النقض والابرام ، ولهم العسولة والطولة ، حتى لما تعاظم بغيتهم وبالفحوا في تحكيم عواطفهم وعتوا عتوا كبيرا في أرض الله ، فأراد الله الذي بيده كل شيء الانتقام منهم أرسل عليهم نقيمتهم ودوخهم سخطه كما قص الله عنهم في كتابه الكريم .

ثم جاء عثمان بن سباق الفنجديهي أحد الملوك ، فتولى عثمان وطرده منها بقايا قوم عاد وعاش فيها هو وأرهابه ردحا من الزمن ، ثم جاء عثمان بن قحطان واليا على عثمان من قبل أخيه يعرب بن قحطان ، وقد علمت أن أول من سكن عمان ، عمان يفتان بن ابراهيم ، وقيل عثمان بن ابراهيم ، وقيل عثمان بن سبأ بن يفتان بن ابراهيم أول من بناها ، وهذا هو الأقرب الى الصواب ، قال في المنتخب صحيفه ٩١ : « وصار أولاد نصر بن الأزدي في أرض فارس وجوا بن شجر ، وهي عشيرة الجلندي ابن كركر » ، قلت : عشيرة الجلندي بن كركر معولة ابن شمس أ ه . وقيل هو من أولاد مالك بن فهم ثم عاش العرب القحطانيون في عمان ردحا من الزمن ، وعثمان إمارة مستقلة لها أهميتها في كل عهد حتى الآن .

قال الخضرى في محاضراته :

« عطف عمران بن عمرو مفارقا لقومه نحو عثمان ، وقد انقرض من بها من طسم وجديس فنزلها واستوطنتها هو وبنوه وهم أزد عثمان ، فهذا يدل أن طسم وجديس كانوا هم أهل عثمان أى قبل الأزد ، ولم يذكر من أجدادهم منها ، أما الفرس وهم آخر الأمم بعثمان فقد أجدادهم مالك ابن فهم ، وذلك يدل أن الفرس أجدوا الأزد من عثمان حتى جاء مالك ابن فهم ، وهم العريقون بها حتى أجدادهم مالك المذكور من عثمان .

وتلك الأيام تداولها بين الناس ، فتبين أن الأمم التي قطنت

عثمان قبل القحطانيين أكثر من عشر أمم على الأقل ، فمنهم السومريون ،
ثم الكلدانيون ، ثم العاديون ، ثم الفينيقيون ، ثم الآشوريون ، ثم البابليون
ثم الفارسيون الأولون ، ثم الفنجديهيون ، ثم القحطانيون ، ثم السبائيون ،
ثم الطسميون ثم الجديسون ، ثم الأرديون الأولون ، ثم الفرس الأخيرون .
ثم الأزدي الأخيرون ، وكان ملك الفنجديهيين عثمان ابن سباق •

والسبائيون آل سبا بن يفتان بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة
والسلام ، وأما الأزدي الأولون فهم آل عمران بن عمرو ، ثم
الفارسيون الأخيرون المرازبة وأعوانهم ، ثم الأزدي الأخيرون وهم مالك بن
فهم وأتباعه ، ويدل على أن الأزدي تولوا عثمان مرتين قرل مالك بن فهم
لجنوده ، عند ملاقاتهم للمرازبة في حال حربهم ، إذ قال لهم مالك بن
فهم من جملة ما يحرصهم به :

« حاموا عن أحسابكم ، وذبوا عن مآثر آبائكم » • فقوله : عن
مآثر آبائكم يدل أن لأبائهم بعثمان مآثر ، فهو يحرصهم على الذب
عنها ، وما هي تلك المآثر هي كون آبائهم كانوا ملوك عثمان قبل
هؤلاء المرازبة ، والمعنى إذا كنتم معشر المرازبة تعدون عثمان ملككم
فنحن كذلك ، فاما أن تقاسمونا فيها بناء على أنكم كنتم بها كما كنا
نحن بها ، وإما أن نتقاتل بدعوى أنا كلنا ندعيها ، ولعل هذا كان
أول ما اقتضاه نظر مالك بن فهم في زحفة عليها ، وهذا الذي ذكرناه
منصوص في كلام مالك بن فهم •

وكان مالك بن فهم بعثمان في أيام نبي الله موسى بن عمران عليه
الصلاة والسلام ، وهو الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا ، وذلك دأبه
إذا أراد التنقل من بلد إلى بلد آخر ، أمر بأخذ السفن المسارة ببصر
عثمان ، وكانت قلعات عاصمة عثمان في أيامه ، وكان أكثر نزوله بها
لحصانتها من الغزاة ، فأنهها بلاد جبلية ضيقة على الغازي يشق عليه

دخول عثمان منها ، وكانت تثرى الأمم على الساحل كالغنم وهم
مسلوبوا سفنهم لا يدرون أين يتوجهون ، وهذا شأن الملوك إلا ما
شاء الله خصوصا في الجاهلية .

وكان مالك من هذا الطراز ، وكانت قلعات حصنة السباحي ،
قال فيها ياقوت الحموي : « مدينة على ساحل البحر إليها ترفأ أكثر
سفن الهند » قلت : ومنها يصطاد مالك السفن المارة على البحر
العثماني إذ ترسو بها ، قال : « وهي الآن غرضة تلك البلاد ، وأمثل
أعمال عثمان عامرة آهلة ، وهي من أقدم العواصم إذا اشتهر نزول
مالك بن فهم بها وتحصنه فيها » . وأما ياقوت فيظنها جديدة العمران ،
وليس الأمر كما ظن .

وفي مروج الذهب للمسعودي : أن مالكا سار من اليمن مع ولد
جفنة بن عمرو بن عامر مزيقيا فمسار بنوجفنة نحو الشام وانفصل
مالك نحو العراق ، فملك على مضر بن نزار اثنتي عشرة سنة ، فدل ذلك
أن العراق إذ ذاك مضرية ، فلما نزل بها مالك كان ذلك وفق شقاق
القوم فيما بينهم ، فملكوا مالك بن فهم عليهم ، دفعا للشقاق بينهم ،
قال : ثم ملك بعده ابنه جزيمة فامتد ملك جزيمة الى مشارف الشام
الى الروم نحو الفرات ، وكانت داره بالموضع المعروف بالمضيرة بين
بلاد الخسانوقة وقرقيسيا ، قال وأقسام جزيمة ملكا في زمن ملوك
الطوائف خمسا وتسعين سنة ، وفي ملك أردشير بابك وسابور الجنود
ابن أردشير ثلاثا وعشرين سنة ، فكان ملكه ثمانية عشر سنة ومائة
سنة .

وذكر العوتبي في الأنساب عن الكلبي : « أن أول من لحق بعمان
من الأزد مسالك بن فهم بن غانم بن حوس بن عدنان بن عبد الله بن
زهران بن كعب بن الحارث بن عبد الله بن نصر بن الأزد » ، قلت : نعم

إن أول من لحق بعثمان من الأزد الأخير هو مالك المذكور ، لأن بلاد العرب قد عرفت نزول من نزل بها من الأزد الراحلين من اليمن ، وعرفت أن مالكا انفصل الى العراق وأقام بها في جوار مضر ، فملكوه عليهم حين أبرأ أن يملكهم واحد منهم لعتوهم على بعضهم بعضا ، ثم لم ير مالك المقام مع قوم ملكوه على أنفسهم ، فكانت المنسة لهم عليه بذلك ، وليس بملك من ملك لأن الملك إذا لم يكن ملكه عن قوة له على من ملك ، فإن ملكه عارية مستردة ، فلذلك حوّل مالك بن فهم عزيمته الى عثمان ليناطح الفرس فيها ويتملك ما يتملك منها بقوته ، وعثمان سبق الأزد فيها ثم أنجلوا عنها فعاد إليها مالك ليعيد ملكها له إن استطاع ، ويعيش فيها عيشة الأحرار •

وقال بعضهم : إن الدولة المعينية وهم من عمالقة العراق ، وقيل هم من الآراميين امتد سلطانهم الى عمان ، ثم جاء الحموريانيون بعدهم ثم السبأيون الذين هم آل سبأ بن حمير القحطاني ، فكوّنوا دولة الحميريين ، ثم تلاهم الفينيقيون ، ثم الأكاديون ، ثم الكلدانيون أيضا وهم من أهالي الجزيرة العربية •

قال في معالم الجزيرة إن سلطانهم امتد على الجزيرة العربية بأجمعها الى خليج فارس والبحر الأبيض المتوسط ، قال : وأما دولته فقبل الميلاد بثمانية قرون ، قال وأما التبابعة فقبل الميلاد بتسعمائة سنة ، قال ويشترط في التبابعة أن يكون الملك ضامما اليه مع اليمن حضرموت والشحر وإلا فلا ، يقال له تبع ، قال : وتبتدى مدتهم بسنة خمس وسبعين ومائتين بعد الميلاد ، قلت : وهذا يخالف ما قاله أولا إن التبابعة قبل الميلاد بتسعمائة سنة ، قال ومدة ملوك حمير تبلغ أكثر من ألفى سنة ، قال والآشوريون منسوبون الى آشور كما أن الفينيقيين منسوبون الى فنيق ، والحقيقة أن التحقيق للمدة التي عاشتها هذه الأمم

وتحقيق ملكهم يعسر على أهل هذه المهود ، فإن التدوين لم يكن موجودا خصوصا مع العرب ، وأن الذى يقال إما من أحاديث النبوات وأخبارها ، وإما من أقوال أهل الكتاب والتخطيط فيه غير مستنكر •

وخراب سد مأرب قيل فى القرن الثالث للميلاد ، وقيل فى الخامس وقيل فى السادس ، ومنه يعلم خروج مالك بن فهم الى عثمان ، وكم كانت مدته ، وعلماء التاريخ ليس هم الذين يدونون الوقائع أو يكتبون الحوادث ونحوها ، وإنما هم الذين يستنتجون الأمور من مقدماتها ، ويفهمون الأحوال من سير الأعمال ، ويستخرجون أحكام القضايا من وقائعها وهكذا •

وفى التاريخ العثمانى أمور هامة وقعت فى العهود التى مرت على الوطن فى حقها وباطلها سوف ترى ذلك فى هذا التاريخ إن شاء الله •

وهذه دوى فى زهوها وجمالها أصبحت طافحة بالأجانب يمتلكون نواصى الأموال ويقبضون على خيرات البلاد ويتغلغلون فى الأحوال الخاصة فضلا عن العامة • اللهم انك تعلم ما نقول قبل أن نقول ، فأحفظ لنا ديننا من الأديان الباطلة ، واحفظ وطننا من أعدائنا إنك كريم رحيم •

الحلقة الثالثة

في نزول مالك بن فهم بعثمان وحروبه للفرس الى إنتهاء

أمرهم

قال الامام السالمى رحمه الله ، وسمعت من يدعى المعرفة بذلك يقول : إن ذلك كان قبل الاسلام بألفى عام ، وذلك يقتضى سبقه على عهد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بقرون ، وإذا كان هذا قبل الاسلام بألفى عام ، وقد علمت أن عمران بن عامر نزل عثمان قبل مالك بن فهم بمدة طويلة ، وكان قد سبقه بها أيضا عثمان بن قحطان . فكان بين عثمان بن قحطان وعمران بن عامر قرون متطاولة ، وبين عمران بن عامر ومالك بن فهم أيضا كذلك ، فغير مستنكر إذا قبل بين ذلك وبين الاسلام ألفى عام ، فيكون القحطانيون تولوا عثمان ثلاث مرات ، وهذا قريب من الصحة بحسب استقراء التاريخ ، ولما قضى الله على مأرب بالخراب وقضى على أهلها بالانتقال والذهاب ، وأن يتفرقوا في نواحي الأرض لحكمة أرادها الله عز وجل ، وقضى بها في محكم الكتاب ، أرسل الله على مأرب سبل العرم ، فأجتاج السد الذى بناه سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، فهلكت البلاد وتفرقت العباد ، وخرجت الرواد ترتاد لهم البلاد ، فكان بعضهم خرج الى مكة وبعضهم الى المدينة ، وبعضهم الى الشام ، وبعضهم الى السراة ثم الى عثمان .

كان مالك بن فهم على ما يظهر آخر من خرج منهم الى عثمان ، لأن قرناءه الأجلاء الذين سبق لهم العلم الأكيد بخراب السد ، ورأوا الآيات الدالة على ذلك كما شعر من أمر كاهنتهم طريفة خرجوا الى البلاد ، وتوطنوا فيها آهلين ، وعاشوا عهدا طويلا ، ولعل مالكا كان يفضل المقام ببلاده مهما كان إمكان ذلك حتى إذا تحقق الأمر

ورأى ضرورة الخروج ، خرج ولا بد أن يكون له سابق علم بعُثمان من حيث إن أعياص الأزد وعباها لها الذين قطنوا عُثمان في تلك المهود المشار إليها هم من قومه وبني جلدته ، فلذلك على ما يظهر اختار عُثمان ، لا سيما أن عمران وآله حلوا بالشام ، قال في المنتخب إذ يذكر تفرق الأزد منهم : سار إلى السراة ومنهم من سار إلى مصر ، ومنهم من سار إلى العراق . ومنهم من سار إلى عُثمان ، قال : فأما من سكن عُثمان من الأزد فيحمد ، والحدان ، ومالك يعني بن فهم ، قال : ومن الأزد الحجر ولهب ونارة وعائذ وبارق وسوام وحارثة وسنجار ، على عُثمان إلى آخره ، فدل ذلك أن قبيلة من الأزد تدعى عُثمان سكنت في جملة من سكنها من الأزد ، فلعل اسمها أطلق على عُثمان ، فشاع ذلك على القطر كله ساحليا وداخليا ، أما يحمد فهو بن حمى الأزد ، وأما الحدان فهو بن شمس فرع أزدي ، وأما مالك فهو معروف ، وأما الحجر فليس من الأزد ، وأما لهب ونارة وعائذ وبارق يبق منهم بعُثمان فيما علمنا ، ولعلمهم دخلوا في القبائل الأخرى ، وكذلك سوام وحارثة لم نعرف عنهم شيئا ، وكذلك سنجار ، وجاء في تحفة الأعيان أن سنجار قصبة عُثمان والمراد بها صغار والله أعلم بما قاله صاحب المنتخب . وكذلك على وعُثمان أما إن كان أراد بهم بنسو على فموجودون بعُثمان ، أما بنو عُثمان فلا .

قال الإمام السالمى نقلا عن المروج للمسعودى : « إن مالك سار من اليمن مع ولد جفنة بن عمر بن عامر مزيقيا ، فسار بنو جفنة نحو الشام وانفصل مالك نحو العراق كما سبق ، وبقي عند المصريين بالعراق ملكا مكرما محترما معظما ، إلا أنه كان مملكا ولم يكن ملكا ، كما هي العادة عند الملوك ، واستمر به الحال عهدا غير يسير » .

وقال أبو حاتم السجستاني عن أبي عبيدة عن أبي اليعقظان : « أن سبب خروج مالك بن فهم عن قومه بعد تفرقهم في البلاد حين أخرجهم

سيل العرم من جنتى مأرب ونزلوا بالسراة ، أن راعيا لملك بن فهم خرج بنغم وكان في طريقهم كلبة ، وفي رواية ثانية ففيها كلب عقور لغلام من دوس ، فشدد الكلب على راعى مالك ، فرماه الراعى بسهم فقتله فتعرض صاحب الكلب لراعى مالك ، فخرج من السراة هو ومن أطاعه من قومه ، وذلك لأن دوسا من أعياص مالك الأقربين اليه ، فخشى الفتنة بينهم ، فسمى ذاك النجد الكلبة من ذلك اليوم ، فخرج مالك يريد عثمان فيمن أطاعه من ولده وقومه وعشيرته من الأزد ، ومن أطاعه واتبعه من أحياء قضاة وسار متوجها الى عثمان ، وقد اعتزل عنهم من قبل ذلك ولده جذيمة الأبرش بمن صاحبه الى العراق من سائر أبطال الأزد » .

قال أبو المنذر بن هشام بن محمد بن السائب الكلبى : أخبرنى وشرقى ابن القطامى ، قال : « لما خرج مالك بن فهم من السراة يريد عثمان وتوسط للطريق ، حنت إبله الى مراعيها ، وأقبلت تلتفت نحو السراة وتردد الحنين ، والابل دأبها ذلك لأنها تألف المواطن وتستوطن الأماكن فوق سائر الحيوان ، وعند ذا أهانت حفيظة مالك فأنشد شعرا له في ذلك لم نذكره » ، قال : « سار من فوره يريد عثمان ، فجعل لا يمر بقبيلة من قبائل العرب من معد وغيرهم من قبائل اليمن إلا سالوه ووادعوه لنعته وكثرة عشيرته » ، ودل ذلك أن المسير كان على الإبل عن طريق البر ، وانظر من أين يدخل مالك عثمان ، قال : ثم سار في مسيرة ذلك حتى أخذ على برهوت وهو واد بحضرموت ، فلبث فيه ريثما يستريح فوجه قصده الى عثمان فبلغه أن بعثان الفرس وهم أهلها وساكنوها ولا بد أن تقع بينه وإياهم منازعات ، فاستعرض رجاله فاذا هم زهاء ستة آلاف فارس وراجل ، فرأى أنهم كتائب تغنى عند الحاجة عن كثير من الجيوش لأسباب لا تخفى على الفطن ، فأقبل بهم يريد عثمان على الرضا والسخط ، وقد جعل على مقدمته هراسة ابن مالك ويقال فراهيد بن مالك ، وكان هذان النجيبان عنده من أنجب أولاده فجعلهما

في ألفى فارس من صناديد الأزد وفرسانها ثم سار يؤم عثمان حتى
انصب إلى الشحر فتخلفت عنه هناك مهرة بن حيدان بن عمرو ابن
الحاف بن قضاة بن مالك بن حمير ، قال الكلبي : كان أول من خرج
من العرب من تهامة مالك بن فهم الأزدى ، وعمرو وأبنا فهم بن قيم
الله بن أسد بن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن الحاف ابن قضاة بن مالك
بن حمير ، فنزلت الشحر ، وتقدم مالك بن فهم في قبائل الأزد
ومن معه من أحياء قضاة إلى أرض عثمان ، فوجد بعثمان الفرس من
جهة الملك دار ابن دارا بن بهمن اسفنديار ، وهم يومئذ أهلها وسكانها ،
والمتقدم عليهم المرزبان عامل ملك فارس ، فعند ذلك أنزل مالك بن فهم
من كان معه من الحشم والعيال والنساء والأثقال إلى جانب قلعات ،
قلت : يتبين من هذا أنه جاء عثمان من طريق البحر إذ لا سبيل إلى
عثمان من هذه الجهة على الخيل والإبل ، وكنت أحسب أنه جاء من
طريق الشحر فدخل عثمان من تلك الناحية الصالحة للدخول بالرواحل
العادية إذ ذاك ، أما من طريق قلعات فيلزم أنه تحمل بخيله وإبله في
السفن إلى قلعات ، قال : « ليكون أمتع لهم وترك عندهم من الخيل
والرجل من يمنعوهم » ، أي ترك لهم حامية تمنعهم من العدو إذا
هاجمهم ، قلت لعله وجه الثقل والمائلة في السفن على طريق قلعات
وهو الواضح .

مالك بن فهم يروم التغلغل في داخلية عُمان

لما نزل مالك بقلهات ترك الثقل هناك للمنعة التي تصون الحرم ،
لأن قلّهات كورة منيعة بالجبال ، وعند الحرم حامية كافية ، فان الفرس
في صحار وما إليها من أعمال ، والى أن يبلغ خبر نزوله صحار
ويتحقق مقصده فقد تمكن من تركيز دعائم إمارته ، وضرب معسكره
بعُثمان •

قال : « ثم سار هو ببقية صاكره وصناديد رجاله ، وقد جعل
على مقدمته ابنه هناة في ألفى فارس حتى دخل ناحية الجوف ، وهي
قلب عُثمان فتغلغل فيها على عزيمة ثابتة وجأش لا يتزعزع ، رضى
الفرس بقراره أم لم يَرْضُوا » ، قال : فعسكر بالصحراء ، وأرسل
الى الفرس يطلب منهم النزول في قطر من عُثمان ، أى يريد منهم أن
يخصصوه بجانب يستقر فيه فلا يضايقهم فيما عداه ، ولا يضايقوهم
وكان المرزبان هو منهم بمنزلة الرئيس الملك فيهم فطلب منهم أن يسمحوا
له بذلك ويمكنوه من الماء والكلا ، فيبقى بصفة لاجئ بعُثمان حتى
يرى لنفسه ما يصلح فيقيم معهم أو يرحل عنهم •

الفرس يعتقدون مؤتمرهم في ذلك

لما وصل اليهم علم نزول مالك بعثمان ، وأنه يطلب منهم النزول والاستقرار بعثمان على حال المسألة والمواذعة والاطمئنان ، لذلك أطلوا المقال فيما بينهم واثتمروا وتشاوروا ، وبعد التمهيد للخطب أجمع رأيهم على عدم قبول ما طلب مالك ، وألا يمكنوه وهو عربى صميم . كما أنه ملك عظيم فهم يخشون من وجوده بعثمان الاستيلاء عليها وصارحوه قائلين لا نصب أن ينزل هذا العربى معنا فيضيق علينا أرضنا وبلادنا لا سيما وأن الملك دارا بن دارا ربما لا يرضى منهم وجود مالك بن فهم بعثمان ، وسورة الملك وغيره الملوك على الممالك لا تسمح بمثل هذا الحال لمثل هؤلاء الأقيال ، وقالوا لا حاجة لنا في قربه وجواره ، فلما وصل جوابهم الى مالك بعدم الرضا بمقامه في عثمان كشف عن حقيقة ما انطوى عليه ، وأنه لا بد له من المقام في قطر من عثمان ، وأن يواسوه في الماء والمرعى قائلا : (إن تركتمونى طوعا نزلت من عثمان وحمدتكم ، وإن أبيتم أقمتم على كرهكم ، وإن قاتلتمونى قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم قتلت المقاتلة وسبيت الذرية ولم أترك أحدا ينزل عثمان أبدا) . قال : « فأبى الفرس أن تتركه طوعا وجعلت تستعد لحربه وقتاله » .

مالك بن فهم يتأهب لمصادمة الفرس بعُثمان

قال ثم ان مالك لما تحقق قيام الفرس عليه وأنهم غير تاركيه ، وتحقق ذلك بعد ما كان يظنه أثبت دعائم استقراره وقرر في نفسه عدم الخروج مهما كانت الحال ، ولا بد من الصراع بينه وبين القوم ، رتب أعماله ونظم رجاله ونفّض غبار الأمن وتحمسُ الأسد في غاباتها ، ولم ينظر الى الفرس إلا نظرة النهم للاكل وقرر أن يحتسيهم احتسًا ، السم ، فاما شفاء وإما قضاء ، وعلى العز يحيا العربى أو يموت ، وكان معسكر مالك بن فهم وقومه بواحة منح في قلب عُثمان ، وهو الذى حفر بها الفلج المعروف بفلج مالك ، والفرس إذا ذاك بالساحل من عُثمان ومعسكرهم بصُحار عاصمة عُثمان وخزانة الشرق ، ولما رأت الفرس لابد لها من حرب مالك بن فهم أو يزول من عُثمان ، قامت في عدها وعديدها وضربت أبواقها وناذت لحشدها ، وضربت طبولها وجاءت في جيشها الضخم الكامل في تعبئته الشديدة الشكيمة في صرامته حنقا على العربى المحتل قلب عُثمان ، وصال المرزبان وجال وأمر أن ينفخ في البوق الذى يؤذن فيه للحرب ، وركب هو في جنوده وعساكره وخرج من صحار في عسكر جم ، فيقال : إن عسكره كان أربعين ألفا ، وقيل ثلاثين ألفا وخرج معه الفيلة ، وكان الفيل الواحد في الحرب يعد عن ألف رجل ، وتوجه لإخراج مالك من عُثمان ، وكان مالك بن فهم في جوف عُثمان اسما ومعنى ، فخرج المرزبان اليه فمعسكر بصحراء سلوت بالقرب من الجبل الأخضر ، فبلغ مالك بن فهم سيد الأزدي بعُثمان فركب ومن معه جميعا وكانوا في زهاء ستة آلاف فارس ورجال ، وعلى مقدمته البطسل المقدام هناة بن مالك في ألفى فارس من صناديد الأزدي وفرسانها ، فأقبل في تلك الهيئة حتى أتى صحراء سلوت فمعسكر بازاء عسكر المرزبان فمكثوا

يومهم ذلك والروع ملء القلوب ، والشنشنة التعصية تشتد بين الفريقين والنصر من الله ، ولم يقع بينهم تلك اليوم حرب ، ثم بات الفريقان بأوامره ، وكان هناة بن مالك على الميمنة وفراheid بن مالك على الميسرة ، إلى جيش عدوه قليل العدد ، إلا أنه قوى المزائم ، فكتبوا كتابهم وجهزوا جهاز الحرب ، فأوقف مالك بن فهم رجاله موافقهم وعهد إليهم بأوامره ، وكان هناة بن مالك على الميمنة وفراheid بن مالك على الميسرة ، وأكرم بمليك يكون أحد أولاده على ميمنته في الحرب ، وثاني أولاده على ميسرته ، ويكون هو قلب الجيش في أهل النجدة والشدة من أصحابه ، وبات المرزبان أيضا يعي جيشه ويرتبه على نظامه في ذلك الوقت ، ولما أصبحوا في اليوم الثاني وتواقفوا للقتال وتأهب كل واحد من الفريقين لقتال عدوه ، قام مالك بن فهم فظاهر بين درعين ولبس عليهما غلالة حمراء ، ولبس على رأسه قطعة حديد تكون وقاية من ضرب السيوف وطعن السهام والرماح ، وغطى عليها بعمامة صفراء وركب جوادا له أبلق ، ثم ركب معه أولاده على تلك التعبئة ، وقد تقنعوا بالدروع والجواشن ، وكذلك فعل أبطال الأزدي الذين معه والبيض على رؤوسهم ، فلا يرى المناظر إلا حدق العيون تلمع كالنجوم .

فلما تواقفوا للحرب خطب مالك بن فهم رجاله خطبة الحرب ودعاهم دعوة القتال ، وحررضهم تحريض المستميت وجعل يطوف عليهم راية راية وكتيبة كتيبة ، ويقول في خطبته : يا معشر الأزدي أهل النجدة والحفاظ حاموا عن أحسابكم وذبوا عن مآثر آبائكم ، وقاتلوا عدوكم وناصرحوا ملككم وسلطانكم ، فانكم إن انكسرتم وهزمتم اتبعتمكم العجم في كافة جنودها فاخطفوكم بين كل حجر ومدر ، وبأد عنكم ملككم وزال عنكم عزكم وسلطانكم ، فوطنوا أنفسكم على الحرب وعليكم بالصبر والحفاظ ، فان هذا اليوم له ما بعده أ ه خطبة مالك بن فهم لرجال الصناديد ، وجعل يحررضهم ويناصحهم ويأمرهم بالصبر والجلد ويدور عليهم راية راية وكتيبة كتيبة حتى استفرغ جميع كتابه وعساكره .

المرزبان يبتدىء بفتح الحرب

رأى المرزبان الهيئة العربية حوله مستعدة لقتاله وكان هوجاء من صُحَّار لذلك فزحف بعسكره وجميع قواده وجعل الفيلة أمامه وأقبل نحو مالك ابن فهم وأصحابه ونادى أصحابه بالحملة عليهم قائلاً لهم : يا معشر فرسان الأزد احمِلوا معي فدأكم أبى وأمى على هذه الفيلة فاكتنفوها بأسننكم وسيوفكم ، أى فأنها قوتهم التى يعولون عليها ، وجنتهم التى يتسترون بها ، ثم حمل مالك بن فهم وحملت أبطاله معه حملة عربية مملوءة حماساً وشدة ، وراموا الفيلة بالرماح والسهام ثم أردفوها بالسيوف ، فولت الفيلة راجعة بجملتها على عسكر المرزبان ، فوطئت منهم خلقاً كثيراً ، ثم حمل مالك فى كافة رجاله الصناديد وأصحابه الأبطال على المرزبان وأصحابه ، فانتقضت تعبئة المرزبان وجالوا جولة ، ثم بانَّت العجم ورجعت الى بعضها بعض ، وأقبلت فى حدها وحديدها ، وصاح المرزبان فى أصحابه وكافة جنوده ، وأمرهم بالحملة فحملوا والتقى الجميع واختلط الضرب واشتد القتال ، فلا يسمع إلا صليل الحديد ووقع السيوف ، واقتتلوا يومهم أشد ما يكون من القتال ، وثبت بعضهم لبعض الى أن حال بينهم ظلام الليل فأنصرفوا ، وقد انتصف بعضهم من بعضهم وعرفوا موقفهم الراهن ، وعظمت بينهم المحنة ، فإن كل فريق يقول إن غلبنا غلبنا ، وإن غلبنا لنفعلن فى العدو ما يشفى غيظنا ، وقد أكل السيف شرارة الرجال من الفريقين ، إلا من الفرس أكثر عدداً والعرب أقوى جلدًا ، ثم أعادوا الحرب فى اليوم الثانى على ذلك النظام ، فكثرت فى الفرس القتل وقويت جرأة العرب على القتال ، وما زالوا كذلك حتى حجز الليل بينهم فكان الليل لدفن الأموات وعلاج الجرحى ، وفى اليوم الثالث كذلك أو أشد ، فكان القتل أخذاً مأخذه من الرجال ، والسيوف يضحك فى أكف الأبطال ، والأسنة لها الطعنة النجلاء فى شعور الأفيال ، والحرب نار تلتهم كل ما تلتحق بلا جدال ،

فلما رأوا الحالة على هذا المثال خرج أربعة رجال من المرازبة والأساورة ممن كان يعد الرجل منهم عن رجل حتى دنوا من مالك بن فهم سيد الأزد ، وزعيم هذه الحرب ، فقالوا له هلم إلينا أيها العربي لننصفك من أنفسنا ويبادرك منا رجل رجل ، فلم ير مالك إلا إجابتهم ولم يظن بنفسه رهبة منهم ، إذ كان جائسه ثابتا ونفسه أبيه ، وقد تجرد لهذا الأمر ووقع فيه فلا مناص ولا خلاص منه إلا بأحد الوجهين ، فتقدم سيد الأزد وقلبه جنته ، وخرج له واحد من أولئك الأربعة الأبطال وتطاردا ساعة ، فما كان إلا دقائق حتى اختطفه مالك بالسيف على غرة ، فأرداه قتيلا . قال : ثم خرج له الثاني فعطف عليه مالك ومعه نجدة الملوك وحمية العرب ، فلم يتمالك أن قضى عليه بطعنة طعنه إياها خر بها صريعا على الأرض ، ثم خرج له الثالث فكان مالك بن فهم أسدا فاغرا فاه ليلتهم ما يلاقى ، وكان الفارس الثانى ضرب مالكاً على رأسه فلم تصنع ضربه شيئا ، ثم لما ضرب مالك الفارس الثالث وكان عليه الدرع والبيضة ، ضربه مالك ضربة فلقت البيضة وانتهت إلى رأس الفارسى ، وضربه أيضا ضربة على عاتقه ، وكانت عليه الدرع فأبان العاتق والدرع نصفين حتى انتهى سيف مالك بن فهم إلى زج دابة الفارسى ، فرمى به في الأرض قطعتين فلما نظر الفارسى الرابع ما فعل مالك بأصحابه اندهش ، فهاله الأمر فأحجم عن ملاقاته مالك بن فهم ، وعلم أنه إن خرج فهو لا محالة مقتول : فكاعت نفسه القتال وولى راجعا ، إلى أصحابه ، فدخل فيهم ثم انصرف مالك إلى موقفه ونفسه في نشاط بالظفر ، وفي قوة بالنصر ، وفرحت الأزد بذلك ورأت أنها منتصرة على العجم ، فإن النصر يسبب النصر ، وإن المنتصر لا يزل يأمل النصر فيزيد في نشاطه ويعظم من اغتباطه ، فلما رأى المرازبان ما صنع مالك في قواده الثلاثة دخلته الحمية والغضب ، وخرج من بين أصحابه وقال لا خير في الحياة بعدهم ، ثم نادى مالكاً قائلاً له : أيها العربي اخرج إلى أن كنت تحاول ملكا ، فأينا ظفر بصاحبه كان له ما يحاول ، ولا نعرض أصحابنا للهلاك ، وكان أنصف مالكاً فيما

دعاه له ، وقد أثار ذلك الغيظ ، وفضل الفارسي العاتى الموت على الحياة
فى سبيل العز والشرف ، ولعله يرى من نفسه سطوة على مالك لم يهتد
لها أولئك ، وإذا بمالك ذلك البطل المقدام يزحف الى قرينه المرزبان
البطل الغضبان على قتل من قتل فى ذلك الميدان ، فخرج اليه مالك برباطة
جأش وشدة قلب ، فتجاولا مليا والناس تنظر اليهما حيث هما زعيما
تلك الحرب وقائدا وغاها ، وقد قبض الجمعان أعنة خيلهما ينتظرون
ماذا يفعل الزعيما ، وبقية القوم من الطرفين واقفون ينتظرون ماذا
يكون وما وراهما ، فصال المرزبان على مالك صولة الأسد الباسل ،
فراغ عنه الماهر المحنك بلبان الحرب روغان الثعلب ، ثم عطف عليه عطفة
فلق بها رأس المرزبان من مفرقه بضربة قطعت البيضة وأبانت الرأس
فخر ميتا على الأرض ، وحملت الأزد على الفرس حملة أدارت رحى
الحرب ولها زفير ، فحملت أبطال الفرس على مالك وأصحابه فاقتتلوا
قتالا شديدا من ظهر النهار الى العصر ، وأكل السيف فرسان الرجال
وصدقتهم الأزد ضربا وطعنا فولوا منهزمين حتى انتهوا الى معسكرهم ،
وقد قتل منهم خلق كثير وكثر الجراح فى عامتهم •

الفرس تطلب من مالك بن فهم الهدنة

بعد هذه الحرب استشعرت الفرس العجز عن حرب مالك بن فهم ، ورآوا طالع نحسهم يرتفع في السماء كل آن ، وإقبسال الأزد في استقبال ، وأيقنوا بالغلبة وماذا يكون عليهم غدا ، فلعل رجال مالك تقضى عليهم نهائيسا ، فعند ذلك أرسلوا الى مالك يطلبون منه أن يمن عليهم بأرواحهم ويجيبهم الى الهدنة والصلح ، وأن كف عنهم الحرب ويؤجلهم سنة كاملة ليستظفروا على حمل أهلهم من عثمان ، وأن يخرجوا منها بغير حرب ولا قتال ، وأعطوا على ذلك العهد والجزية على المواعدة ، فأجابهم مالك على ما طلبوه منه ووافقهم على ما سألوه ، فتحملوا من سلوت الى صُحار مقر زعامتهم وما حولها من البلدان المنتشرين فيها ، فبقوا في تلك الأطراف الساحلية على المهادنة ببيهم ، وأعطاهم عهدا على ذلك وميثاقا أنه لا يعارضهم بشيء إلا أن يبدعوه بحرب وقتال ، مكف مالك عنهم الحرب وأقرهم في عثمان ما سألوه ، فبقوا في حال أمن مسالمين للعرب ملازمين الساحل ، وكانت الأزد ملوكا في الداخلية سهولها وجبالها ، وإليهم أمر زعامتها ، وقد اندقت عصا الفرس وأنهار صرحهم .

مالك بن فهم يلقي نظرة الى قلعات

قد قدمنا أن مالكا خلف بقلعات النساء والأطفال ، وترك معهم حاميه مانعة ، فبعد انتهاء حرب الفرس زحف الى قلعات ليؤيد زعامته فيها ، وهي الكورة المنيعه والفرضة الرفيعة ، التي لها الشأن إذ ذاك في ساحل عثمان ، لا لتقائها الوارد من الهند الى عثمان ، والوافد من بحر العرب الى الخليج العثماني قبل شحار ، وأغلب محطات التجارة العثمانية من هذه الوجهة هنا ، وربما كانت أقرب لاستطلاع الأحوال الفارسية ، لأن طرق المواصلات البحرية لا تزال تؤدي اليها ، فانتقل اليها ريثما يتمهد أمره وتستقر دعائمه ويتوطد ملكه ، ولم يدخل بذراعيه داخلية عثمان لعلمه أن العدو لا بد أن يرى منه ما يكره ، ويقصد العدو بيضة القوم فتكون الذراري في مأمن من الحوادث المتوقعة ، وهذا من بديع سياسته ، ولما رأى أن الدائرة تدور على الفرس ، وخرجوا من قلب عثمان مدحورين ، هب الى قلعات والملوك سياسات بقدر ما هم فيه .

قال الامام السالمى : « وانحاز مالك بن فهم الى جانب قلعات ، ثم لم يزل على باله أمرهم ، فكان يستعد لما أقبل من أيامه ، فانه لا يجرى ماذا يكون عليه من القوم أو من غيرهم . وصرف الدهر غير مأمونة ، وقد تمرس مالك بقتال المعجم ، وشاع الواقع في أحياء العرب ، فزاد ذلك من إكبار مالك وإجلاله في القلوب ، وعلت هيئته الهامات ، وصار لا يأمل إلا حربا ولا يهوى إلا طعنا وضربا ، وفي أثناء مهادنة مالك بن فهم للمعجم قاموا يطمسون الأنهار الكبيرة ، لأنهم يعلمون أنهم لا قرار لهم بعثمان إلا ريثما يرتحلون منها في تلك المدة ، لأن المراسلات والابلاغات في تلك المهود بالراجل أو الراكب النساقة أو الفرس ، وفي كل شيء حكمة إلهية ، ولكل زمان أحوال ومناسبات

وقتية ، وهكذا ولم تكن الهدنة بين مالك ابن فهم والعجم تقتناول إلا إعلان الحرب بينهم ، ووفاء العرب معروف عند الكل ، وغدر العجم لا شك فيه لا سيما وهم يفارقون البلاد مرغمين على الخروج منها ، فلا يتركون شيئاً يستطيعونه إلا فعلوه .

وقد أشعروا الملك بما وقع عليهم من مالك بن فهم ، وذكروا له من قتل منهم من أبطالهم ومرازبتهم وأساورتهم ، وذكروا له ما حل بهم من الهوان ، وأن مالك بن فهم يحكم عليهم بالجلاء من عثمان ، فهم في هدنة منه ليرتحلوا من البلاد لا ليقرؤا فيها ، وكان ملكهم دارا بن دارا ملكا عنيدا ، فاستشاط غضبا لقدم مالك بن فهم على عثمان ، ومن معه من صناديد العرب وقتله المرزبان في جل قواده وعسكره ، وجميع ما كان بينهم وما قابلوه به من الحرب وما صار عليهم من الغلب ، وما حل بهم من الوهن والضعف ، ويطلبون منه الاذن بالجلاء من عثمان بأهلهم وذرائعهم الى فارس لاستشعارهم العجز عن الحرب .

الملك يجهز قواته لحرب العرب في عُمان

لما وصل الخبر الى الملك دارا ، وصح معه ما وقع على قومه من القتل وما فعله بن فهم فيهم ، وما أصابهم من الهوان ، غضب غضبا شديدا ، وداخله القلق وحميت حفيظته ، وثار به سورة الملك على العرب ، ولكن كان من يئس الطالع للملك أن العجم لم يبلغوا الملك من أول مرة عن قدوم مالك بن فهم وعن ما طلب منهم من النزول بعثمان على الرضا والسخط ، وإنما ظنوا أنهم قادرون على اخراجه وطرده من البلاد ، فخانهم الظن وكان ذلك خيرا للملك ، ولو أبلغوه لقاد القوات ووالى الغزوات ، فلا يزال مالك بن فهم منه في أزمات ، ولكن كما قيل إذا أراد الله أمرا هيا له أسبابا .

وهنا أخذت الملك الحمية لن قتل من أصحابه وقواده ، فعند ذلك دعا بقائده من قواته المرازبة العظماء عنده ، وأمره بالمسير الى عُمان وعقد له على ثلاثة آلاف من رجاله الشجعان المجريين ، وقدمه على المرازبة والأسارة ، سيره ومددا لأصحابه المذكورين بعثمان الذين نكبهم مالك بن فهم وحرّض عليهم المناصرة والمؤازرة ، وعهد إليهم حرب العرب وإخراجهم من عُمان ، وكل هذا ولا علم للملك بن فهم بشيء منه ، فلما وصلوا سيرهم الى عُمان ، وكل هذا ولا علم للملك بن فهم بشيء منه ، فلما وصلوا صُحار واجتمعوا بأصحابهم ، وأخذوا يتشاورون فيما بينهم ويتأهبون للحرب ، حتى انقضى أجل الهدنة ، فبلغ مالك بن فهم خبرهم واهتم لهم اهتماما كبيرا ، وجعل يستطلع الأخبار عنهم ، فتحقق وصول المدد إليهم فاهجت نفسه الأبية لما سمع وثار به سورة العرب .

مالك بن فهم يتأهب لمصادمة المعجم مرة أخرى

لما تحقق مالك نزول المدد المذكور ، ووصله شحار ، وأنهم قاصدون حربه ، كان من مقتضى سياسته أن يظهر التجلد ويهتر للقاء ، وألا يبرأ منه وهنا أو ضعفا أو استكانة ، فلذلك كتب إليهم يهددهم قائلاً : إنى وفيت لكم بما كان بينى وبينكم من العهد وتأكيد الأجل ، وأنتم بعد حثول بعثان ، وبلغنى أنه أتاكم مدد من قتل الملك ، وأنكم تستعدون لحربى وقتالى ، فالآن إما أن تخرجوا من عثمان طوعاً وإلا زحفت عليكم بخيلى ورجلى ووطأت ساحتكم وقتلت مقاتلتكم وسبيت الذرارى وغنمت الأموال ، بهذا صارحهم غير وان ولا وكلر ، وهو من إذا قال فعل .

فلما وصلهم رسوله هالهم أمره وعظم في أعينهم خطره ، وضاق عليهم ما هم فيه وأكبروا الأمر إذ جربوه بالأمس ، وأنه لا يقول إلا ويفعل ، مع قلة عسكره وكثرتهم بالنسبة إليه ، وقوتهم المتغلغلة بعثمان ، وبذلك وبما صار عليهم منه سابقاً من القتل تحمسوا وتجردوا لقتاله لا سيما وقد أرسلوا لذلك ، ولم يسمعهم إلا مصادمته ، فردوا عليه أقبح رد وأغلظوا له في المقال ، فلما رأى منهم ذلك الحال زحف عليهم كما قال ، ومعه عزمه القوى وصبره العظيم ، إذ يباشر الحرب بنفسه ويلقى الأبطال قبل رجاله ، فخرج إليهم بخيله ورجاله ، حتى أتى أملاكهم التى تجمعوا فيها ، ووضعوا قواتهم عليها ، فقامت الفرس للقاء البطل العربى والملك الأزدي الذى عرفته بالأمس وعرفها ، فجاءوا بالفيلة أمامهم لأنها أعظم قواتهم وهى من أعظم القوات إذ ذاك ، فان الفيل الواحد يقوم مقام جيش ، وكان الفرس أعدوها لذلك ، وليس للعرب منها إلا قلوبهم وسواعدهم والنصر من الله ينصر من يشاء .

فلما تقارب الزحفان ، وتلاقى العسكران ، قام مالك بن فهم

يتفقد أصحابه راية راية ، وكتيبة كتيبة ، ويحرضهم ويلقى اليهم تعاليمه كما هي عادته السابقة ، وتركهم يهتزون للقضاء العدو الذي جاءوا له ، وكان هناة على اليمين ، وفراheid على اليسرة ، وهما الجناحان وبهما يطير الجيش وهما قوته الموقفية وأركانه الحربية ، ونزل الشيخ في القلب مع الأبطال المجريين ، والتقوا هم والفرس لقضاء رائعا ، فلاقنتلوا قتالا شديدا ، ودارت رحى الحرب كأشد ما يكون مليا من النهار ، ثم انكشفت المعجم زالت عن مواضعها ، وخلفت في موضع الحرب فيلها العظيم ، فقام اليه هناة بن مالك ، وضربه ضربة كادت تقتضى عليه ، ثم لحقه فراheid الصنديد ، فحرق رجليه فخرج يدوس الرجال ويطأ الأبطال وله صياح ، وكان ذلك مما يهزم المعجم ويزعزعهم عن أمانهم ويردهم على ورائهم ، وبلغت في عضدهم لا سيما وأن الانهزامات لا زالت تتوالى عليهم مرة بعد أخرى ، ويزيد نشاط العرب لقتالهم ، ثم إن المعجم ثابوا وتراجعوا وهم أبطال لا تتكر وليوث حرب •

الحرب تشتد بين مالك بن فهم والفرس لتنتهى

لما رأَت الفرس فى هذه المعركة لوائح التقهقر ، وأن مالكا لا بد أن ينفذ فيهم ما صرح به لهم من أنه يقتل المقاتلة ويسبى الذرية ، أعلنوا لرجالهم الهجوم على مالك بغير مبالاة ، وأن يصبروا لحرب مالك صبر المستميت ورأوا أن يحملوا على الأزدي حملة رجل واحد بحيث لا يبقى منهم أحد فى موقفه ، فامسا النصر على مالك وإمسا الانهزام النهائى ، فزحفوا اليهم بغير مبالاة فجالت الأزدي جولتها ونادت فى رجالها البواسل ، وناداهما مالك الهمام قائلا : يا معشر الأزدي اقصدوا الى لوائهم فاكشفوه ، فان لهذا اليوم ما بعده ، وتهاووا عليهم من كل وجه يوحمل الشيخ حملته الملوكية فهوى على المعجم كالنجم المنقض للرجم ، فسرعان ما انكشف لواء القوم واختلط الطعن والتحم القتال ، وعظم النزال ، وارتفع الغبار ، وثار العجاج حتى حجب عين الشمس ، فلا تسمع إلا وقع السيوف وصليل الحديد وغمجمة الأبطال ، وتراموا بالسهام فتقصدت ، وتجاللوا بالسيوف فتكسرت ، وتطاعنوا بالرماح فتحطمت ، وصبروا صبرا جميلا ، وكثر الجراح والقتل فى الفريقين ، فبدرت بوادر الهزيمة للفرس الأشداء ، ولم يروا لهم قوة تقابل العرب غدا إذا زحفوا عليهم ، ففكروا فى المصير ، ورأوا الهزيمة أو الموت النهائى ، وهما أمران أحلاهما مر ، ثم فضلوا الهزيمة فولوا منهزمين على وجوههم ، فأتبعهم فرسان الأزدي الأبطال المنتصرون بنشوة النصر يقتلون ويأسرون من لحقوا ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وأسروا كذلك ، والحظ فى صالحهم يمشى .

وفى ذلك الأثناء كان المقدر أن التقى فراهيد بن مالك بن فهم بأسفنديار ابن المرزبان ، وكان من أعظم قواد الجيش الفارسى ، فطعنه فراهيد طعنة أراد به قتيلا ثم جلله بالسيف ليستأصله ، فهلك تماما

في تلك الخطفة التي اختطفه بها ، ثم سارت فرسان الأزدي في أثر المعجم
وهم منهزمون ، فظفروا يقتلونهم ويأسرون وينهبون الأموال غنيمة طيلة
يومهم ذلك ، حتى حال بينهم الليل فحجزهم عن بعضهم بعضا ، ولم يفلت
منهم إلا من ستره الليل . قال الامام : فتحمل من بقى منهم من تحت
ليله هاربا مستخفيا يتدارك النجاة ، ويستبقى الحياة ، حيث لم تنفع
الحرب وما كانت يوما في صالح الفرس طول تلك المعارك ، وركبوا في
السفن وعبروا الى أرض فارس ، واستولى مالك بن فهم ومن معه
على سوادهم ، واستباحهم وغنم أموالهم ، وسجن من الأسرى خلقا
كثيرا ، فمكثوا في السجون زمنا طويلا ، ثم أطلقهم ومن عليهم بأرواحهم ،
وكساهم ووصلهم وزودهم وحملهم في السفن الى أرض فارس ، واستولى
على عثمان كلها وملكها وما يليها من أعمالها على الخليج العثماني ،
وسار فيها سيرة جميلة ، وبذلك انتهى جلاء الفرس من عثمان فلم يبق
فيها إلا مواطن تحت سلطان مالك المالك سيد الأزدي في عثمان وزعيمهم
المقدام ، وبذلك شاعت له أخبار في أحياء العرب ، وأصبحت أحاديثه
الهورجة السامريين وأحدوثة المؤرخين ، فتنادت العرب يمنها وزارها
للحاق بالملك الفاتح لعثمان ، وإن بعثمان الخيرات المتنوعة والحياة
العربية العزيزة ، فما مضى وقت طويل إلا ورايات العرب تتوالى
على عثمان ، ولم يكن ليهدا روع مالك بن فهم خوفا من المعجم ، وقد
علم ما وقع بينه وإياهم ، وتوتر الحال الى أقصى حد ، ولم يزل مالك
ابن فهم يلاحظ الحركة الفارسية بدقة ، ومازال مستعدا للقاء القوم
غير مطمئن من جانبهم لما سبق بينه وإياهم وهم من عرفت ، وقد خرجوا
من ملك عثمان بين أسير وقتيل وجريح ، والى يظهر من استقراء
التواريخ أن المعجم لم يعودوا لحرب مالك بن فهم ، ولعل ذلك لأجل
أحوال داخلية عندهم ، فكان دارا بن دارا قد مات في ذلك الأثناء ،
لذلك تأخرت حركات المعجم عن عثمان ، وتولى الملك ولد دارا بن دارا ،
ولم يتحرك لحرب عثمان ، فانه كان جبارا ظالما عاتيا بالغا في العتو
أقصى المبالغ ، ثم كان قتله على يدى سليمة بن مالك بن فهم في خبر عجيب

ذكره المؤرخون ، وأشار الى القضية الامام السالى رحمه الله فى تحفة الأعيان إذ قال :

وكن الملك إذ ذاك على أرض كرمان ، ولد دارا بن دارا ، وكان الكلام فى قضية سليمة إذ قتل هذا الملك المذكور ، قال : « وكان ملكا جبارا كثير العسف والظلم لأهل مملكته وقومه إلخ » فدارا بن دارا ابن بهمن هو الذى أرسل الإعانة للمرازمة الذين قاتلوا مالك بن فهم فى عثمان ، هذا الملك الذى قتله سليمة بن مالك بن فهم ابن ذلك الملك ، فإنه على أثر خروج عثمان من يده الى يد مالك بن فهم قضى الله عليه ، وتولى الملك بعده ابنه ، وسليمة بن مالك بن فهم ، فهما فى عهد واحد ، فدل ذلك على ما قلناه وهو واضح فإن مالك بن فهم ودارا بن دارا تعاصرا وسليمة وولد دارا المشار اليه ، كذلك فإن الفرس عادوا الى عثمان بعدة وشدة .

وقال الامام السالى رحمه الله فى تحفة الأعيان صحيفة ٤٧ من الجزء الأول : « ثم لم يزل الملك فى أولاد مالك بن فهم ولم يرجع أحد من الفرس الى عمان حتى انتضى ملك ولد مالك بن فهم ، وصار ملك عثمان الى آل الجلندى ابن المستكبر ، وهو من معولة بن شمس ، وصار مالك فارس الى آل ساسان وهم رهط الأكاسرة فتهاذنوا هم وآل الجلندى بعثمان على أن يجعلوا فيها أربعة آلاف من الأساورة والمرازمة مع عامل يكون له بها عند ملوك الأزدي ، فكانت الفرس فى السواحل وشطوط البحر ، والأزدي ملوك فى سائر البلاد والأمور كلها منوطة بهم ، فهذا يدل أن الأمور تراجعت ووقعت فيها اتفاقيات تقتضى السماح للفرس بالمقام فى الساحل ، وهم قدر أربعة آلاف كصفة حامية لهم ، ولعله كانت لهم رعايا أو بقيت لهم بقايا ، فراجعوا فيها واقتضت الأنظار فى ذلك الوقت السماح لهم بالحلول بعثمان لتهدأ الأمور وتخف نصرة الشيطان ، فكان الساحل لهم وأدخل للعرب ، وكان أمر العرب هو النافذ

في البلاد ، وإن الخراج إذ ذاك في الساحل لا في الداخل ، وإنما المنع في البلاد لأهل الداخل ، إلا أن الفرس يفضلون الوجود بالساحل لذلك ، ولإمكان اتصالهم بقومهم ، فإن بين الساحل وبلاد فارس القرب المعروف ، فإن نيران ساحل مكران تتراعى من الساحل العُماني ، فبقى الفرس المذكورين هنا حتى جاء الاسلام فأجلاهم ملوك بنى الجلندي من عُمان إذ لم يقبلوا الدخول في الاسلام ، فارتطوا كليا من عُمان .

قال الامام السالمى رحمه الله : « وكان مالك بن فهم ملكا عظيما ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم على منازلهم وعددهم يهابونه ويخافون بأسه فيفتخرون به ويتعززون بمنعته ، وكانت له جرأة وإقدام ما لم يكن لغيره من الملوك ، وكان ينزل ما بين عمان الى ناحية اليمن » . قلت : ولم لا تهابه قبائل اليمن وغيرهم وقد علمت ما صار بينه والفرس من التعارك في عُمان حتى أجلاهم منها راغمين مدحورين بعد قتال عنيف ، ومالك لا يزال وسط المعمة وتتساقط القتلى بين يديه ، ولم لا يخافون بأسه وهذا حاله وقد عرفت جرأته واقدامه ونزوله ما بين عمان واليمن كان للاستطلاع على أحوال البلاد لما تحقق انكسار العصا الفارسية ، ولعله أيضا وافق حسن الخط بموت الملك دارا كما أشرنا اليه سابقا ، فكان مالك بن فهم يتجول في النواحي العُمانية ، ويتفقد أحوال الوطن .

قال الامام : وأكثر نزوله بشاطيء قلعات من شط عُمان ، وينتقل منها الى غيرها ، أى كان اتخذ قلعات محل أمنه وعاصمة مملكته . قال : وكان في ناحية من نواحيه أى من بلاد عُمان قد نزل ملك من ملوك الأزد يقال له مالك بن زهير من ولده عبد الله بن الأزد ، ولكنه لم يحقق الناحية التى نزلها ولا ممن هو من قبائل الأزد ، ولا على أى كيفية كان نزوله . قال : « وكاد يكون مثل مالك بن فهم في العزة والمنعة والقدرة ، فخشى مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد ، وأن يطمع أحدهما في ملك الآخر فتقع بينهما الحرب ، وهذا يدل أنه كان للملك بن زهير قسم

من ملك عثمان ، ولكنه لم يسبق له ذكر في حروب الفرس ، ولعله كان نزل على بعض العواصم العثمانية ، فرأف مالك بن فهم الأعضاء والتغافل عنه ليكون له عوناً وعضداً اذا تحركت الفرس عليه ، فانه في قلق من القوم ، ولذلك لم يعارضه ، وكان من التفكير بمكان ، فوسع المجال للملك ابن زهير » •

قال الامام : « فخطب مالك بن فهم لينتبه الحزام بنت مالك بن زهير قطعا لشافة التحاسد والتباغض بينهما » •

اعمال مالك بن فهم بعد إنتهاء الحرب

لما رأى مالك بن فهم انهيار صرح المعجم في عُثمان . وإنكسار شوكتهم رجع الى شؤونه الداخلية ليؤيدها بسياسته الحكيمة وآرائه السديدة، وألقى نظراته الى ما حول عُثمان من الممالك ، وما يتبعها من البلدان ، وظل يتردد على الأطراف لأنها الأبواب ، وكان ينزل في النواحي المختصة ويقيم في الأمكنة المنظور اليها ، وهو الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا ، فكان ملكا عظيما في العرب .

قال الامام ، في صحيفة ٣٥ : « وكان ينزل قلعات من تسط عُثمان . وينتقل من هناك الى ناحية أخرى » أى كان ذلك عادته ، وقد علمت أمر قلعات في عمان إذ ذاك وفتح للعرب دار الهجرة الى عمان ليطمئن بهم وتقوى شوكته بقومه فسرعان ما هاجرت العرب الى عُثمان زرافات ووحدانا ، يمانية ونزارية ، حتى ملأوا عُثمان فامتد سلطان مالك في عُثمان حتى ضم إليها البحرين وأطراف العراق ، فكان الملك الكبير العظيم السلطان ، بين ملوك الجزيرة العربية كما أشار الى ذلك الامام السالمى رحمه الله حيث قال : « وسبب ذلك أن مالكا لما ملك عُثمان وأطراف العراق وما حول عُثمان ، فدل ذلك أن مالكا ملك أطراف العراق وما حول عُثمان كالبحرين وأعمالها ، وكان ينتقل في النواحي العثمانية متقندا شؤونها ومتطلعا أحوالها ، ومراقبا سير الأعمال في الجزيرة ، ولم يكن له معارض أو مزاحم ، ولم يذكر التاريخ عن مالك بن فهم شيئا من الأعمال في عُثمان ، بل السلطان الوحيد والأمر النافذ للملك بن فهم الذى لا يتغير دمه عند ملاقات الأبطال ، وقد طال عمر مالك بن فهم في الملك ، فقد ملك عُثمان وما حولها سبعين سنة ، ولم ينازعه في ملكه منازع من العرب أو من المعجم ، وملك على مضر عشرين سنة ، وعاش مائة وعشرين سنة ، وكانت وفاته نتيجة الكيد الأخوى الأشبه بكيد إخوة يوسف ، وذلك

أن مالك بن فهم تزوج بنت مالك بن زهير كما قدمنا ، واشترط على مالك بن فهم أن يكون الملك في ذريتها فوافقه مالك بن فهم ، ولا بد أن يكون ذلك مؤثرا في قلوب أولاد مالك بن فهم خصوصا إذا جاءت برجال يتولون الملك بالوراثة عن بقية إخوتهم ، فكان من القضاء والقدر أن جاءت الحزام بولد سموه سليمة مبالغة له في السلامة ، وكان ولدا تلوح عليه مخائل النجابة ، وأحبه مالك بن فهم حبا بالغيا ، فقال إخوته هذا ما كننا نتوقمه ، وإن سليمة لا شك أنه سيكون الملك علينا تبعا للشرط الذي شرطه والد أمه مالك بن زهير ، فتآمروا عليه أن يكيدوه بمكيدة تسقطه من كرسي محبة الوالد الذي له الشفقة التامة عليه ، والعطف البالغ له حد الغاية ، وكان مالك بن فهم وضع الحرس الداخلي الذي يسميه العصريون حرس الشرف على كواهل أولاده إذ لا يطمئن بغيرهم مهما كانوا ، وكان لكل أحد منهم نوبة ، فقالوا لو الدهم : أيها الملك إن ابنك سليمة لا يقوم بواجبه في الحرس ، وإنه ينام فنخشى عليك من قبل نوبة سليمة ، وكان القصد من ذلك أن ينكسر خاطر الملك عن سليمة فيطرده أو يرفضه ولا يقبل منه في الأعمال الخاصة شيئا فينتج ذلك سقوط سليمة من عرش الملك ، وكان بلغ من حب مالك لولده سليمة أنه كان يعلمه الرمي بالسهم إلى أن أتقنسه ، وكان ذلك هو القوة في الحرب في ذلك العهد ، وكان يحرس إخوته فنسب إليه إخوته ضعف الهمة وثقل العجز ، وأنه إذا جن الليل يعتزل عن فرسان قومه ويتشاغل بالنوم والغفول عما يلزمه ، فلا تكن لك فيه كفاية ولا غنى ، وجعلوا يوهنون أمره عند أبيه وينسبونونه إلى العجز والتقصير ، فقال لهم مالك : إنكم كذلك وما أحد منكم إلا وهو قائم بما عليه ، وأما قولكم في ابني أبي سليمة فليس هو كذلك ، وإن ظني فيه كطمي به ، قال : « ولم تزل الإخوة

يحسد بعضهم بعضا لا يثار الآباء بعضا دون بعض ، فانصرفوا من عنده أجمعين راجعين بغير ما كانوا يأملون » .

قال الامام : « ثم مالك دخله الشك » قلت : لم يكن شكاً ولكنه رعاية وهذا شيء من واجب كل أمير ألا يكون الأمير غير ناظر في الأحوال ، فان ذلك من قبيل الإهمال الذى لا ينبغى ، قال : « فأسر مالك كلامهم ذلك في نفسه الى أن كانت الليلة التى كانت فيها نوبة سليمة ولده . فخرج سليمة في فرسان للحرس كعادتهم ، ثم اعتزل عنهم سليمة في المكان الذى يكمن فيه ، وما كان لسليمة علم بذلك التآمر الذى تآمر به الإخوة من شأنه ، ولم يكن منه قصور ولا تقصير فيما سبق ، فكمن سليمة في مكمنه المعتاد بالقرب من دار أبيه ، فبينما هو كذلك إذ أقبل مالك من قصره في جوف الظلام مختفياً من حيث لا يعلم به أحد ليحقق مقال الأولاد في أخيه ، فتوجه قاصدا للموضع الذى فيه سليمة ليرى ما هو عليه من الحال ، فكان من قدر الله الذى لا محال عنه أن لحقت سليمة سنة في تلك اللحظة التى ساق الله لها مالكا لتكون سببا لحرقه ، فأغفا سليمة على ظهر فرسه وهذا طبعاً يعترى الانسان ، وكان سليمة قد تتكبد كنانته وفي يده قوسه وهو على ذلك الحال ، فأحست الفرس شخص ، مالك وقد ألهم الله الخيل من الحس وجعل لها من البصر ما لم يجعله لغيرها ، وكان مالك بعيداً فصهلت الفرس عند ذلك لتعطى راكبها انذاراً بما أحست به ، فانتبه سليمة ذلك البطل الشاب الجديد في حركاته كلها ، القوى على أداء أعماله كما يلزم مذعورا من سهيل الفرس ، إذ من عادة الخيل ألا تصلح إلا لأمر تراه ، فنظر سليمة الى فرسه وهي ناصبة أذنيها الى الشخص الذى أحسسته ، وكان ذلك

إخبارا منها لصاحبها ، ففوق سليمة سهمه في كبد قوسه ويمه نحو
الشخص الذى تشير اليه الفرس ولا علم له أنه أبوه ، ولم يعلم ما
بمالك من الاهتمام في ذلك الوقت ، فسمع مالك صوت السهم حين
يجذبه سليمة موجهة له نحو أبيه الملك ، فصاح به : « لا ترم أنا
أبوك » فبينما هو يقول أنا أبوك ، وقد أطلق السهم مطلقا في طيرانه
نحو الشخص المرمى فقال سليمة عند ذلك بصوت المتلوم على ما فرط
« السهم ملك قصده » أى لا حيلة لى على رده ، فأصاب السهم مالكا
في قلبه فخر صريعا ، وأرسلها سليمة مثلا ، وعند ذلك أنشد مالك تلك
القصيدة التى جعلها تاريخا لحياته . وعبر فيها عن مهام أعماله .
وفيهما يقول نحو سليمة ابنه .

أعلمه الرماية كل يوم
فلما أشد ساعده رمانى

والمعنى أنى كنت أعلمه الرماية ليرمى عنى الأعداء ، فلما أشد
وقوى كان راميا إياى ، وفيه تأنيب لسليمة ولعله يظنه عرف الشخص
حين رماه أو أنى ناديته لا ترم فلم يكن منه إلا الرمى ، ومن أين
لسليمة العلم أنه أبوه ، ولما سمع نداء مالك لم يكن للسهم بمالك ، والقدر
حاكم على الانسان ولا بد من وقوعه ، ولكل شئ غاية ينتهى إليها ،
وليس الجريمة على سليمة فان ذلك واجبة ، ولكنهما نتيجة الكيد
الأخوى كما قلنا ، وحب الرئاسة والتنافس فيها يقتضيان مثل
هذه الأحوال ، ولكن لم نعلم وقوع هذا الحادث في أى موضع من
عثمان ، لأن التاريخ العثمانى قد شاع بعدم النشر وتطاول الأيام
عليه .

ولا شك أن خبر مقتل مالك كبير له أهميته الملكية ولا بد أن يكون له ذكر في السير ، إلا أن السير العثمانية ذهبت بجور السلطان في عثمان ، وطول الزمان المسار على عثمان منذ ذلك العهد ، وليتنا أدركناه فإنه من مهمات التاريخ ولعله في قلوات والله أعظم .

أولاد مالك بن فهم وأعمالهم بعد أبيهم

اعلم أن أولاد مالك بن فهم كانوا خمسة عشر رجلا ، أولهم التويبي وبه يكنى مالك ، ولكنه لم يذكر عنه التاريخ شيئا ، ولعله مات قبل وقوع حرب الفرس ومالك ، أو أنه انزل الى مكان آخر فلم يعرف خبره وقضايا العرب عديدة .

وأما جذيمة بن مالك : ويقال له الأبرش والوضاح لوضح كان به ، فعدلوا عن الأبرش الى الضاح ، كان ملكا عظيما طال عهده ، وامتد سلطانه من مشارف الشام الى الفرات من جهة الروم ، وكان ينزل بين الخانوقة وقرقيسيا بموضع يقال له المضيرة ، وعاش أيام ملوك الطوائف خمسا وتسعين سنة ، وعاصر من ملوك الفرس أردشير بن بابك ، وولده سابرو والجنود ، ومضى له في عهدهما ثلاث وعشرون سنة ، فكان جملة ملكة ثمان سنين مائة سنة ، وقتلته الزباء في خبر شهير عند أهل التاريخ والسير .

وأما جماز بن مالك بن فهم : وكان اسمه زياد فلقب جمازا كان تملك على طوائف من معد بن عدنان وطوائف من اليمن ، ولكن لم يذكروا أين كان ملكه ، بل ذكروا أنه هو الذي ذكره الله في القرآن بقوله عز وجل : (قال لصاحبه وهو يحاوره) الى قوله : (وهى خاوية على عروشها) الآيات ، وعاش في الملك عشرين ومائة سنة ، وكان جبارا عنيدا عاتيا ظالما كافرا يضرب به المثل في الكفر والظلم والجبروت ، فيقال : أجبر من جماز ، وأكفر من جماز ، وأظلم من جماز ، قال الامام : « وقيل لم يملك العرب قط ملك كان أعظم كبيرا ولا أقتل لمعد منه ، ذكروا من جبره وظلمه قطرة من بحر ، ويقال كان ملكه من بلاد العالية الى جانب أيلة من الشام » ، قال الامام : « فصار كفره في الناس يضرب به المثل ،

وقهره على معد بالغ فوق الحد ، ولم تستطع معد أن تخرج من سلطانه
ولا أن تكلمه في شيء من الشئون ، ولا يقبل معديا يقابله مهما كان ،
وإن قابله أساء اليه غاية الاساءة وعامله بأسوأ المعاملة بحيث لا يبقى
شيئا من سمىء المعاملات إلا عامله به فالوسم يشينه والشين يزيد شينا
وهكذا دأبه معهم بغير مبالغة .

وأما هناعه بن مالك بن فهم : فكان أعقل أولاد مالك بن فهم كلهم ،
وأثبتهم في الأزمات وأعزهم نفسا ، وأكثرهم شأنا في عثمان ، وحسبك
أنسه ما زال ميمنة أبيه في تلك الحروب الفارسية العصبية ، وكان مثالا
للزمامة السلطانية في وقته ، وهو الذي ملك عثمان بعد أبيه وأحسن الى
الرعية وساسها سياسة الحكيم الماهر ، فلم تقم عليه قائمة ولم ينكر
عليه منكر ولا تنازل عن شبر من الأملاك العثمانية حتى مضت أيامه على
ذلك ، وهو الذي كان عزز ملك أخيه سليمة بن مالك في أرض فارس حتى
ثبتت دعائمه وقوى سلطانه ، واستقر ملكه وسكنت ثائرة الفرس عليه ،
واستمر ملكه فيهم عهدا طويلا حتى مات هناك على عزته وشرفه .

وأما سليمة بن مالك بن فهم : فقد خرج الى أرض فارس بعد
قتله لأبيه كما عرفت القضية بأسبابها فتخوف من معن بن مالك ، فنزل
جائشك وهي المعروفة بجائش ، ثم توغل في أرض كرمان لاجئا في أيام ولد
دارا ابن دارا بن بهمن ، راجيا منهم الإيواء الجميل اللائق به حيث كان
قاتل أبيه مالك بن فهم عدو الفرس ، فيتقرب بذلك اليهم ويمدون له
المدد الذي يؤيده في حياته حيث قضى على عدوهم أبيه ، فبقى في كرمان
حتى ساعده الحظ وسارت الأقدار في صالحه ، حتى تملك عليهم إذ
قتل ملكهم الطاغية بجوره عليهم في حديث ما زال من طرف الأخبار
الملوكية ، وتولى الملك في ذلك القطر بمعونة أعيان البلاد حتى عاش فيهم
هماما ممنعا الى أن حسدوه ، فقالوا : الى متى يملكنا هذا العربى ،

وهموا بمنافاته ، وهناك استصرخ أخاه هناة بن مالك ملك عثمان ،
فلبى نداءه وأرسل اليه من صناديد الأزد مقاديم الرجال ، حتى نزلوا
أرض كرمان ، فاهتزت لهم أرجاؤها ، وقام لغزولهم دهش الفرس ، فبدل
أن يزيلوا سليمة عن الكرسي أصبح سليمة يهددهم في عقر دارهم قاهرا
عليهم ، وقد طردهم أبوه من عثمان ودقهم دق العصف ، فصار سليمة
يطأ على أنوفهم سلطانا عليهم حتى مات هناك بأرض كرمان ، وكان له
عشرة أولاد وهم نجب الأسفاهية ، لكنهم اختلفوا فيما بينهم من بعده
فوجد العد باختلافهم السبيل الى زوالهم عن الملك .

قال الامام : « ومنهم الجلندی بن كركر أى من ذراريهم » ، قال :
« وقد ملك عثمان من ولده للصفاق وتسلسل من ذراريه ملوك » ، قلت :
لم أدر متى كان ملك الصفاق ولكن لا يستغرب ذلك ، فان أخبار العرب في
الجاهلية مشهورة الغموض باجماع أهل العلم والأدب ، وخصوصا في
عثمان فان الأمية في العرب شهد بها القرآن ، فلا يستغرب إذا ذهبت
عنا أخبارهم ، ولعله تملك في الآونة الأخيرة وهي الأيام التي زال فيها
الملك عنهم الى بنى الجلندی ، فانه وقع بينهم خلاف وشقاق ، وتلاشت
الأمر ولكل شيء غاية ينتهي إليها .

قال الامام : « وجمهور بنى سليمة بأرض فارس وكرمان أكثر
منهم بعثمان ، ولكنهم اندمجوا فيهم فلا يستطاع إخراجهم ، والذين
جاءوا عثمان من ذراري سليمة أقليتهم فقتلوا فيها » .

وأما فراهيد بن مالك بن فهم : كان معدودا من أشجع أولاد مالك
ابن فهم فكان ميسرة أبيه في حروبه الفارسية ، وقد شهرت شجاته وعرف
مقامه ، وعاش أيام أبيه وهو سهم ثاقب ، ولا بدع فان أباه من عرفت
وقد عقب ذراري عديدة ، ومن أشهرها آل فراهيد الخليل بن أحمد في
الاسلام أكبر العلماء الأعلام وأجل الفقهاء الكرام .

وأما ثعلبة بن مالك بن فهم : فهو الذى اعتزل إخوته حين اختلفوا فى سليمة ، ورأى أخاه معنأ يتألب على قتل سليمة بعد ما حسدوه عند أبيه ، فكان قتله على يديه ، فخرج ثعلبة لا الى أخواله التتوخيين إذ كانت أمه تتوخية فاندمج فيهم ، ثم سارت تتوخ بأجمعها الى جذيمة الوضاح ، وهو إذ ذاك ملك الحيرة فخرارى ثعلبة بن مالك فيهم بالشام والجزيرة الى اليوم .

وأما معن بن مالك بن فهم : فإنه أشد الناس على السليمة فلم ترضيه دية ولا قبل عذر سليمة ولا خضع لقتال إخوته ، فكان يتحين للفرصة لسليمة فيأخذه مالك على غرة فيفتك به ، ولكنه لم يظفر به حتى ارتحل سليمة من عثمان الى فارس من أجله .

وأما عمرو بن مالك بن فهم : فلم تكن له أخيار بعثمان ، وكذلك أولاد الحارث بن مالك بن فهم ، ومن ذراريه الشحوح المعروفون فى شمال عثمان ، ويقال إنهم لقبوا بالشحوح حين شحوا بالصدقة أيام أبى بكر رحمه الله ، وهم من أولاد الحارث بن مالك بن فهم على صحيح النسب عن أهل عثمان ، ولهم لهجة ينفردون بها دون غيرهم ولهم لغة يختصون بها فيما بينهم ويتفاهمون بها وهم على ذلك منذ ذلك العهد القديم الى الآن بالفسبة الى جيرانهم .

الحلقة الرابعة

في بدء الإسلام بعُمان إلى إنقضاء أيام الخلفاء الأربعة

لا يخفى أن بدء إسلام أهل عُمان كان يسبق الصحابي الوجيه مازن ابن غضوبة بن سبيعة بن شماسه بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر ابن حطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الخوث بن طى ، وكان من أهل سمائل ، قدم على رسول الله ﷺ عند أول ظهور الاسلام بعُمان ، وأسلم ودعا له النبي ﷺ والأهل عُمان بخير ، وكان من خبره أنه كان يسدر صنما له في الجاهلية في سمائل يقال له ناجر ، تعظمه بنو خطامة وبنو الصامت من طى ، قال مازن : فعثرنا يوما عند الصنم عتيرة ، فسمعت صوتاً من الصنم يقول : يا مازن اسمع تسر ، أى يسرك ما تسمع ، ظهر خير وبطن شر ، بعث نبي من مضر يدين الله الأكبر ، فدع نحيتنا من حجر تسلم من حر سقر ، وهو اسم من أسماء النار أعادنا الله منها :

قال مازن : ففزعت لذلك فعثرنا بعد أيام عتيرة أخرى فسمعت صوتاً من الصنم يقول : أقبل إلى أقبل تسمع مالا يجهل ، هذا نبي مرسل ، جاء بحق منزل ، آمن به كى تعدل عن حرئار تشعل وقودها بالجنبدل « فقلت : إن هذا الخير يراد بى وإنه لمعجب ، أى مثل هذا الحديث عجب يظهر من الصنم ، وهو يؤنب عليه ويعظ ، قيل فبينما نحن كذلك أى نتحدث عن هذا الحال الذى سمعناه من الصنم ، وأنه لا شك أن له نبأ إذا قدم علينا رجل من أهل الحجاز ، فقلنا له : ما وراك ؟ فقال : ظهر رجل من العرب يقال له أحمد ، يقول لمن أتاه أجيبوا داعى الله ، فقلت : هذا نبأ ما سمعت من الصنم ، فقمتم إلى الصنم فكسرت ، وركبت راجلتى فقدمت على رسول الله ﷺ وأسلمت ، وفى العقبى : أن القاسم قال : « ظهر رجل يقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه : أجيبوا داعى الله ، فليست بمتكبر ولا جبار ، ولا مختال أدعوكم إلى الله وترك عبادة الأوثان ، وأبشركم

بجنة عرضها السموات والأرض وأستنقذكم من نار لظى لا يطفأ لهيبها
ولا ينعم من سكنها » ، قال مازن : فقلت هذا والله نبأ ما سمعته من
الصنم ، فوثبت إليه وكسرتة جذاداً أى قطعاً ، وركبت راحلتى حتى
قدمت على رسول الله ﷺ ، فسألته عما بعث له فشرح لى الاسلام
ونور الله قلبى للهدى فأسلمت وقلت :

كسرت ناجراً أجداداً وكان لنا
رباً لطيف به ضلاً بتفلال
بالحاتسمى هداناً من ضلالتنا
ولم يكن دينه منى على بال

أى ما كنت أحتسب لدينه ولا أتوقعه حتى من الله به على فهدانى
له وهذا من الحظوظ السماوية المخزونة لأهلها ، قال :

يا راكباً بلغن عمراً وإخوته
أنى لمن قال ربي ناجر قالى

قال العتبي : قوله : بلغن عمراً يريد بنى الصامت واسمه عمرو بن
غنم بن مالك بن سعد بن نبهان بن الغوث بن طى ، وقوله : وإخوته
وفى رواية وإخوتها يريد بنى خطامة بن سعد بن نبهان بن الغوث
ابن طى ، قال مازن : « فقلت يا رسول الله صلى الله عليك وسلم وآلك :
ادع الله تعالى لأهل عثمان » . فقال : « اللهم اهدهم ولثبهم » أى
أرزقهم الهداية والثواب ، أو من الإثابة وهى الرجوع أى أرزقهم الرجوع
الى الحق والمراد به الاسلام ، قال مازن : فقلت : « زدنى يا رسول الله » .
فقال : اللهم أرزقهم العفاف أى الصيانة ، والكفاف ، أى الاستغناء ، والرضا
بما قدرت لهم ، أى بحسب تقديرك لا بحسب قدرتك ، فإن قدرة الله

يمجز عنها الكون كله • قال مازن : قلت : « يا رسول الله البحر ينضح بجانبنا » أى قريبا منا ، أى إن بلدنا قريبة من البحر والمراد بها عثمان ، فادع الله فى ميرتنا وخفنا وظلفنا ، والمراد بالميرة الطمام ، وبالخف الإبل والبقر ، وبالظلف الغنم ونحوها • فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « اللهم وسع عليهم فى ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم » ، قلت : زدنى • فقال : « اللهم لا تسلط عليهم عدوا من غيرهم » ، فكان بحر عثمان أكثرهم الأبحر خيراً على الإطلاق • قال رسول الله ﷺ : « قل يا مازن آمين ، فإن آمين يستجاب عنده الدعاء » • أى إن قول آمين سبب لاستجابة الدعاء عند الله كما صح فى روايات تناقلها أئمة العلم وأطالوا المقال فى شرح هذه الكلمة الوجيزة ، فينبغى أن يقال عقب كل دعاء يدعو به المسلم له أو لغيره ، وهى خاتم رب العالمين • قال مازن : « فقلت آمين » • ومعناها استجب على الصحيح فهى اسم فعل •

مازن يشكو حاله لرسول الله

كان من حسن حظ مازن رحمه الله أن شكا الى رسول الله ﷺ لما علم صدق النبوة وتحقق خالص الإيمان، ورسوخ الاسلام في قلبه ، فقال يا رسول الله : إني مولع بالطرب وبشرب الخمر ، لجوج بالنساء وقد نفد أكثر مالي في هذا ، فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويهب لي ولداً تقربه عني ويأتينا بالحياة ، فقال النبي ﷺ : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، والحرام الحلال ، وبالعهد أى الزنى عفة الفرج ، وبالخمر رياء لا إثم فيه ، وآتهم بالحياة وهب له ولداً صالحاً تقربه عنه » ، قال مازن : فأذهب الله تعالى عني ما كنت أجد من الطرب والنشيط لتلك الأسباب ، وحججت حججاً ، وحفظت شطر القرآن ، وتزوجت أربع عقائل من العرب ، ورزقت ولداً سميت به حيان باسم أبويه الرابع والسادس ، وأخصبت عثمان في تلك السنة وما بعدها ، وأقبل عليهم الخف وكثر صيد البحر ، وظهرت الأرباح في التجارات ، وأمن عدد من أهل عثمان ، فدل ذلك أن مازن المذكور قام بنشر الاسلام فيمن أطاعه ، ووفق الله ناساً للاسلام بواسطة مازن المذكور وأسلموا ، وظهرت بعثمان من دعائه ﷺ لهم بركات عظيمة ، وعمت عثمان كلها حيث قال رسول الله ﷺ : « اللهم اهدهم ، فأهل عثمان أكثر أهل الجزيرة العربية هدى وأصدقهم إيماناً » ، والدليل عليه أن أكثر العرب ارتدوا ونفذوا الاسلام غير أهل عثمان ، فإنهم ثبتوا على إيمانهم ولم يغيروا شيئاً ولم يبدلوا أمراً من أمر منذ ذلك العهد ، قال الامام : ولمازن في ذلك شعر حيث يقول :

إليك رسول الله خبت مطيتي

تجوب الغياثي من عثمان الى العرج

والعرج موضع بقرب المدينة المنورة والمراد به نفس المدينة

قال :

لتشفع لى يا خير من وطىء الثرى
فيغفر لى ربى فأرجع بالفالج
والمراد بالفالج النصر أى فأرجع منصوراً بالإسلام • قال :
إلى معشر جانبى فى الله دينهم
فلا دينهم دينى ولا شرجهم شرجى

ومعنى جانبى خالفت ، والمراد بالشرح المخالفة أى يقال ليس من
شرجه أى شكله وطبقته • قال :

وكيت امرأ باللهو والخمر مولماً
شبابى الى أن آذن الجسم بالنهج

يذكر فى هذا البيت ما ذكره لرسول الله ﷺ عند إسلامه ،
فأبدله الله بذلك الخير الذى لا يناله إلا من وفقه الله ، فتبدلت حال مازن
الى أطيب الأحوال ، فكانه يعرب عن شكره ويصرح بذكر الخير الذى
وفقه الله له وأعانه عليه ، فبذل أن يكون ربه ناجراً ، ربه الله عز وجل ،
وأبدله بالطرب قراءة القرآن ، وحفظه شطره فكان ذلك من حسن الحظ
للشيخ السعدى رحمه الله • قال مازن :

فبدلنى بالخمر أمناً وخشية
وبالعمر إحصاناً فحمن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى
فله ما صومى والله ما حجبى

هذا من الشكر بمكان وذكر النعمة شكر (وأما بنعمة ربك
فمحدث) •

قال : فلما كان في العام القابل الذي وفدت فيه على رسول
الله ﷺ وآله ، هذا يدل أن ما رُنا عاد على الرسول ﷺ في السنة
الثانية ، فقص عليه عن حال أهل عمان ، فقلت : يا المبارك بن المباركين
الطيب ابن الطيبين ، قد هدى الله قوماً من أهل عمان ومن عليهم
بدينك ، وقد أخصبت عمان خصباً هنيئاً ، وكثرت الأرباح والصيد بها ،
فقال عليه الصلاة والسلام • « ديني دين الاسلام سيزيد الله أهل
عمان خصباً وصيداً ، فطوبى لمن آمن بي ورآني ، وطوبى ثم طوبى لمن
لمن لى ولم يرني ولم ير من رآني ، وأن الله سيزيد أهل عمان
إسلاماً » ، أي سينتشر الاسلام حتى يعم أهل عمان كلهم فكان
الأمر كذلك •

وجاء في خبر الفرس الذين بقوا بعثمان الى أن جاء الاسلام
وانتشر في الجزيرة العربية ، وكتب رسول الله ﷺ الى ملك الفرس وهو
كسرى أبرويز بن كسرى أنوشروان يدعوهم الى اسلام ، فمزق كتاب
النبي ﷺ ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم
مزق شمله كل ممزق » ، فلم يفلح كسرى بعد دعوة النبي ﷺ وآله
وسلم ، فسلط الله عليه ابنه فقتله ، وابنته هذا هو شيويه ، ثم إن
شيويه هذا اهتم بأمر النبي ﷺ وخاف على نفسه ، فكتب الى عامله
بعثمان واسمه باذان ، ويقال الفستحان وهو المرزبان القائم عنهم
بعثمان ، ولقبه المرزبان بحسب عرف العجم ، يقول له في كتابه :
أن أبعت من قبلك رجلاً عربياً فارسياً أي يعبر بالفارسية عن العربية
يحسنهما معاً ، صدوقاً ، أي يمكن أن نعتد على مقالته ، ويكون قد
قرأ الكتب ، أي له علم بخير ما يأتي من النبوات ، وأرسله الى الحجاز

يتعرف خبر هذا النبي العربي الذي يشيع خبره الآن في العالم ، فبعث باذان ويقال الفستحان رجلاً من طاحية يقال له كعب به برشنة الطاحي ، وكان قد تنصر وقرأ الكتب ، أي كتب النصرانية ، فقدم كعب المذكور المدينة وأتى النبي ﷺ فكلّمه فرأى فيه الصفات التي يجدها في الكتب ، فعرف أنه نبي مرسل فعرض عليه النبي ﷺ الاسلام ، فأسلم كعب ثم رجع الى عثمان فكان الصحابي الثاني بعثمان ، قال فأتى باذان فأخبره أن النبي ﷺ نبي مرسل ، فقال هذا أمر أريد أن أشفاه فيه الملك ، واستخلف على أصحابه الذين بعثمان رجلاً من قومه يقال له مسكان ، خرج باذان الى الملك كسرى بفارس ليشافهه فيما هو بصدد من أمر هذا النبي الوارد ذكره على مسامع العالم ، ثم إن رسول الله ﷺ كتب الى أهل عثمان ، أي يدعوهم للإسلام ، وكان الملك بعثمان في ذلك العهد الجلندي بن المتسكير ، وأرسل إليه رسول الله يدعو للإسلام هو ومن معه من أهل عثمان ، فأجاب الداعي وأرسل الى الفرس الذين بعثمان ، وكانوا مجوساً فدعاهم الى التدين بهذا الدين والإجابة الى دعوة محمد ﷺ فأبوا ، فأخرجهم الجلندي قهراً وصغراً من عثمان ، أي أرغهم على الخروج من عثمان حيث لم يقبلوا الدخول في الدين ، ولم يروا بداً من الخروج ، حيث إن العرب أقوى منهم بعثمان ، وإليهم أمرها .

قال الامام ، وقال آخرون : « إن النبي ﷺ وآله وسلم كتب الى أهل عثمان يدعوهم الى الاسلام ، وعلى أهل الريف منهم عبد وجيفر ابنا الجلندي ، وكان أبوهما قد مات في ذلك العصر » ، قلت : من الجائر أن يكون الجندي هو المدعو أولاً وقد أجاب الداعي ، ثم إنه مات فكتب ﷺ الى عبد وجيفر أو أن الجلندي كما هو المشهور أنه لقب لكل من ملك عثمان في الجاهلية ، كما قيل لكل من ملك اليمن تبع ، ولكل من ملك مصر فرعون ، ولكل من ملك على الروم قيصر ، ولكل من ملك على الفرس كسرى وهكذا .

قال فكان في كتابه ﷺ الى أهل عثمان : « فأقروا بشهادة أولا إله إلا الله وأنى محمد رسول الله ، وأدوا الزكاة ، وأعمروا المساجد وإلا غزوتكم » ، ولم يذكر في هذه الرواية الصلاة ، ولعلها كانت مفهومة ، ونص على الزكاة لأنها مالية وشح النفوس بالمال معروف ، ويدل لما قلناه أمره بعمران المساجد ، فإنها لا تكون إلا للصلاة ، قال وعن الواقدي بإسناد : « أن النبی ﷺ كتب الى جيفر وعبد ابنى الجلندی الأزدی بعثمان ، وبعث عمرو بن العاص بن وائل السهمی بكتابه إليهما ، وكان كتابه صحيفة أقل من الشبر فيها نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابنى الجلندی ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإنى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فإنى رسول الله الى الناس كافة ، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالاسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقررا بالاسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلى تطلأ ساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما » .

وكان الكاتب لهذا أبى بن كعب ، وهو ﷺ الملقب عليه ، وطسوى الصحيفة وختمها بخاتمه المبارك ، وكان نقش الخاتم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفي هذه الرواية التصريح منه ﷺ بالرسالة الى كافة الناس كما في القرآن ، وأن الإنذار من جملة ما أرسل به ﷺ ، وأن نفس الإقرار بالاسلام يجعل المقر مسلما يولى الأمور ويتولى في الدين ، وأن الامتناع من الإقرار بالاسلام يبيح قتال الممتنع مهما كان وفيه التصريح بأن الاسلام لا يحايب ولا يداهن ولا سياسة له غير ما يقتضيه الحق ، فمن أقر بالاسلام حرم دمه وماله ، ويقاقل على البغى من غير أن يستحل ماله ما لم يصرح بموجب الكفر ، أما ما كان من خصال الكفر بالتأويل فلا يبيح مال امرئ مسلم ولا سببه أبدا خلافا لمن رأى ذلك ، وقد تواعد رسول الله ﷺ جيفر وعبد بزوال ملكهما إن لم يسلما ،

وأن خيل المسلمين لا بد وأن تتقاتل من أبى ، وقد قاتلت العرب وغيرهم ممن
أصر على كفره .

قال الامام رحمه الله : فقدم عمرو بن العاص بكتاب النبى ﷺ
الى عبد وجيفر ابنى الجلفدى بعثمان ، فكان أول موضع دخله من صحار
دستجرد وهى مدينة ينتها العجم فى صحار فى حال مهادنتهم الجلفدى ،
فنزل بها عمرو بن العاص وقت الظهر ، وبعث الى بنى الجلفدى وهم
ببادية عثمان ، ولعلمهم فى الداخل كما هو المعروف من أن العرب فى
الداخل والعجم فى الساحل ، قال : « فكان أول من لقيه عبد بن
الجلفدى وكان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقاً ، فأوصل عمراً الى أخيه
جيفر بن الجلفدى بكتاب النبى ﷺ ، فدفعه اليه مختوماً ففحص ختامة
وقراه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته » .

ملك عثمان جيفر يعقد مؤتمراً للنظر في الدعوة النبوية

لما عرف جيفر جلال الأمر وهاله الحادث ولا يدري منتهى المصير فيه ، أرجأ الأمر واستدعى بأهل مشورته • قال الامام : ثم التفت الى عمرو فقال له : إن هذا الأمر الذي تدعو له ليس بصغير ، أو هذا الأمر الذي يدعو له أى النبی ﷺ بالمثناة التحتية ، وقوله من جهة صاحبك يدل أن الخطاب لعمر بن العاص ، وأنه هو الداعي ، قال جيفر وأنا أعيد فكرى فيه وأعلمك ، وأنه استحضرت جماعة الأزدي ودارت بينهم الآراء والأنظار ، ثم حاج الأمر الى طلب كعب بن برشة للاستفسار عما رأى من أمر النبی ﷺ وللتأكد منه فأرسلوا له فسألوه عن أمر النبی ﷺ ، فقال كعب : الرجل نبي مرسل ، وقد عرفت صفته وسيظهر على العرب والعجم ، فأجاب جيفر الى الاسلام بعد ما تحقق الأمر ، فأسلم هو وأخوه في ساعة واحدة ، ثم بعث جيفر الى وجوه عشائره فبايعهم لحمد ﷺ ، قلت : هكذا ينبغي من أهل المناصب إذا عرفوا الحق أذعنوا له وناصروه ووازره ، وكانوا له أعيانا وعيونا ، فأدخلهم أى جيفر في دينه ، وألزمهم تسليم الصدقة ، وأمر عمرو بن العاص بقبضها على الجهر التي أمره بها النبی ﷺ ، ثم بعث الى دبی وما يليها الى آخر عثمان أى في الأطراف الشمالية الساحلية ، قال : فما ورد رسول جيفر على أحد إلا وأسلم وأجاب دعوته إلا الفرس الذين كانوا في ذلك العهد بعثمان ، واجتمعت الأزدي الى جيفر بن الجلندي ، وقالوا : لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم ، وأجمعوا على إخراج مسكان ومن معه من الفرس الباقين في دستجرد ، فدعا جيفر بالمرازبة والأساورة فأعلن

لهم بأنه بعث منّا في العرب نبي ، فاختاروا منّا إحدى حالتين إما أن تسلموا أي كما أسلمنا ، وتدخلوا فيما دخلنا فيه ، وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم ، فأبوا أن يسلموا وقالوا لسنا نخرج • قلت : هذا لسوء حظهم وقد مارسوا العرب في عثمان منذ عهد مالك فهم وأصحابه ، ولم تنزل الدوائر تدور عليهم والهزائم تتوالى عليهم ، ولو دخلوا في الدين لأحبهم العرب بولكان لهم في عثمان مقام ثابت الدعائم ، لكن أراد لارتحالهم من عثمان كلياً ، وعيدما تحقق إصرارهم على مجوسيتهم وعلى عدم الخروج من عثمان بسهولة ، اجتمعت الأزد على إجلائهم ، ولم يروا بدأ من قتالهم ، فزحفوا عليهم بعزائم الإيمان ، وكانوا قبل والكل على حال شرك والنصر للعرب فكيف بهم الآن والعرب على الإيمان ، فتقاتلوا قتالاً تسديداً ، وقتل السكان الذي أبى الإيمان ، وأصر على عبادة النيران ، وقتل من أصحاب مسكان كثير وكذلك قواد جيشه وضباطه ، وبقيت منهم بقية تحصنت في حصنهم بدستجرد ، فزحف عليهم وقد استبسلوا وصار النصر حليفهم ، ونشوة الانتصار كادت أن تطير بهم ، فضايقوهم بالحصار أشد ما يكون ، فلما طال بهم الحصار ، ورأوا أن لا مناص لهم من الخضوع لأمر العرب طلبوا الصلح أو قبل طلبوا الإذن لينجوا بأنفسهم فوافقهم العرب على الخروج من عثمان بتاتاً على أن يتركوا كل صفراء وبيضاء وحلقة وكراع ويحملوهم بأهاليهم وحاشيتهم في سفينة حتى يقطعوا إلى أرض فارس ، فأجابوهم إلى ذلك وخرجوا من عثمان كلياً ، وذلك آخر عهدهم بها إلا أن الأيام لا زال تغريهم على العودة إلى عثمان ، فلم يكن لهم طلع سعيد يستقرون به في عثمان ، فكلما جاءوا غزاة قضى عليهم طالع نحسهم ، وسوف ترى منهم في غزواتهم لعثمان العجب والدمار لا يزال حليفهم ، والأمر لله •

قال الامام رحمه الله : وفي السيرة الطلبية أن عمرو بن العاص
قال: خرجت حتى انتهيت الى عُمان فعمدت الى عبد ، وكان أحلم الرجلين
أى أليتهما جانباً وأسهلهما خلقاً ، فقلت : إني رسول رسول الله ﷺ
إليك وإلى أخيك ، فقال أخى هو المقدم على بالسن والملك ، أى هو أكبر
منى سناً وهو الملك ، ولنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك .

النقاش يدور بين عبد وعمرو

لما تحقق عبد بن الجلفدى صحة الأمر الذى جاء له عمرو بن العاص ، فتح له باب النقاش ، ليعرف الغاية من هذا الطلب ، ويجرى غاية المصير فيه ، فقال : « وما تدعو إليه ، أى ، أى شئ تريد ، وما هو الذى تطلبه بصفتك رسولا ؟ » قال عمرو : « قلت أدعوك الى الله وحده وتخلع ما عبد من دونه ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أى أدعوك أولاً الى معرفة الله وتوحيده ، وأنه لا شريك له ، وترفض سائر المعبودات من دون الله عز وجل ، ثم تعترف برسالة محمد ﷺ . فقال : أى عبد لعمرو بن العاص : إنك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك ، يعنى العاص بن وائل ، فإن لنسا فيه قدوة ، والمعنى أنك من أكابر قريش ، لأن أباك من لا يجهل شرفه وشهرته في قومه ، وأهل الشرف لا يليق بهم إلا قول الصدق الذى لا يخل بشرفهم ، ولا يقدر في مناصبهم ، وكأنه استكبر الأمر فإن العاص وأمثاله هم عتاة قريش ، فانه لابد أن يكون حجة لنسا في هذا الأمر الذى جئت له ، قال ، أى عمرو بن العاص : قلت مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ ، وودت له لو آمن وصدق به لكان خيراً له ، وقد كنت على دينه وعلى مثل رأيه حتى هدانى الله للإسلام ، قال عبد : فمتى تبعته أى قبل موت أبيك أم بعده ، فقال عمرو : قريباً أى أتبعته من قريب ، قال فسألنى أين كان إسلامى فقلت عند النجاشى ، وأخبرته أن النجاشى قد أسلم ، قال فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت : أقروه واتبعوه ، قال أى عبد : والأساقفة أى رؤساء النصرانية والرهبان قلت : نعم . أى كذلك ، وهنا استكبر الأمر واتهمه فيه ، فقال أى عبد : انظر يا عمرو أى فيما تقول ، إنه ليس خصلة في رجل أمضح له .

أى أكثر فضيحة من كذب ، أى أن هذا الأمر الذى تخبرنى به كبيراً ولا يثنأتى بالهويثا وبالخصوص عند النصارى لا سيما وهم أعداء العرب ، قال عمرو : قلت وما كذبت وما نستحله فى ديننا . ثم قال أى عبد ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشى أى هو تحت سيطرة هرقل ، وهرقل ملك عظيم ، والنجاشى من أخص أهل طاعته . قال عمرو : قلت له بلى أى علم بذلك فقال بأى شئ علمت ذلك يا عمرو ؟ قلت : كان يخرج له النجاشى رضى الله عنه خراجاً ، فلما أسلم النجاشى وصدق بمحمد ﷺ ، قال لا والله لو سألتى درهماً واحداً ما أعطيته أى لأن العطاء يكون عوناً له ، ولا تصح إعانة الكافر فيما يتقوى به على المسلمين ، قال فبلغ ذلك هرقل قوله ، فقال له أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً ، وهذا على عادتهم إذ يرون عمالهم عبيداً لهم ، قال فقال : هرقل رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ما أصنع به ؟ وحرية الأديان فى الشريعة الأولى معروفة ، أشبار إليهما القرآن بقوله . (لا إكراه فى الدين) الآية فى أمثالها . قال هرقل : « والله لولا الضن بملكى لصنعت كما صنع » . ومعنى قوله لولا الضن بملكى أى لولا أن نفسى لا تسمح أن أتخطى عن هذا الملك الذى فى يدي لأسلمت كما أسلم النجاشى ، قلت : وقد جاء ذكر إسلام هرقل فى روايات شهيرة . فقال عبد لعمرو : أنظر ما تقول يا عمرو وهو يتهمة . فقال عمرو : قلت والله قد صدقتك ، أى قلت لك الصدق والواقع ، قال عبد : فأخبرنى ما الذى يأمر به وينهى عنه ، قال قلت : يأمر بطاعة الله عز وجل ، وينهى عن معصيته . قلت لما فرغ عبد من البحث عن أحوال هؤلاء الملوك وسمع ما سمع من قبولهم الإسلام وخضوعهم لأوامره واعتناقهم له ، التفت الى استفسار ما يأمر به هذا النبى وما ينهى عنه ، وهل

هو مما يقبله العقل ويصوب له أم يرى في أوامر إضطراباً ؟ (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) •

وما أغزر عقل هذا البطل الأزدي ما أدراه بموارد الأمور ومصادرها ، قال : ويأمر بصلة الرحم وبالبر وينهى عن الظلم والعدوان ، وعن الزنى وشرب الخمر ، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب ، قلت : وهذه الأوامر والنواهي في هذه الكلمات الوجيزة هي عمود الاسلام وجوهره ، فان الأمر بطاعة الله عز وجل والنهي عن معصيته جماع كل خير وصرف عن كل شر ، وكذلك الأمر بالبر فهو اسم جامع لأنواع الطاعات ، وقوله : وينهى عن الظلم ، وهو اسم لكل شر قليلاً كان أو كثيراً ، فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، وكذلك العدوان ، فان كل ما خرج عن كون طاعة وخيراً فهو عدوان سواء كان قولاً أو فعلاً أو نحو ذلك ، ثم صرح أيضاً بالنهي عن الزنى وشرب الخمر وعن عبادة الأوثان والأوثان ، أى التماثيل ، وكذلك الصليبان ، ففي هذه الأوامر جماع روح الاسلام وجوهره ، ولا ريب فان رسول الله ﷺ أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصاراً ، فلماذا خرجت أوامره بمثل هذه العبارات فتلقاها أصحابها منه فخرجوا بها الى سائر الأمم دنساً وهداة مبشرين عنه ومبشرين ومنذرين •

فلما سمع عبد بن الجندى هذه الأوامر سرته واستحسنها ، وبطريقه الحال إن الحق مقبول وله في القلوب تأثير ولو جاء على لسان كافر ، فلذلك قال عبد : ما أحسن هذا الذي يدعو اليه ، كما شهد به أيضاً هرقل في حديثه مع أبي سفيان • قال عبد : لو كان أخى يطاوعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ﷺ ، أى لكان من الواجب أن نفد عليه ﷺ في مقره

فنصدق به ونواجهه ، فيكون ذلك لنا أكبر شأنا وأعلى قدراً عند الله ، ولا نكتفى بالإيمان به من بعيد ، على لسان رسوله عمرو بن العاص ، والله در عبد لذلك السيد الطويل النظر ، الصحيح الفكر ، والله در الأخلاق إنها لدليل على حقائق أهلها • قال عبد : « ولكن أخى لا يتابعنى » وفى رواية « لكن أخى أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً » أى تابعاً • قال : قلت إنه إن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه ، أى لا غرض له ﷺ فى الأمور الدنيوية ، ويعلم عمرو بن العاص وهو رسوله ﷺ أن كل ما يرمى اليه النبى ﷺ طاعة الله عز وجل ، وإذا لم يخضع للإسلام فلن يتركه ﷺ على ملكه وهو مصر على كفره ، فإن حجة الله على الأمة أنبياءها على ملوكها ، وملوكها على رعييتها ، وبأصرار الملوك تستباح حرم الملوك كما فى أحاديث شهيرة عنه ﷺ ، وبالاتقياد للحق من الزعماء يكتفى عن الباقيين كما دل عليه قول عمرو نفسه ، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها فى فقيرهم ، أى أن الله عز وعلا فرض النفقة على الأغنياء للفقراء ، فكانت منه تعالى وصلة رابطة بين المسلمين ، وموفرة على الفقراء أحوالهم ، ومسعدة لهم من أهل الأموال • قال عبد : إن هذا الخلق حسن • قلت كيف لا يكون حسناً وهو سياسة حكيم السموات والأرض ، خالق الحكمة ومنظم الأمة سبحانه وتعالى ، ما أعظم شأنه ، وما أعلى ميزاته •

قال عبد : وما الصدقة أى ما صفتها وما حكمها ؟ قال عمرو ، فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ على أمته من الصدقات فى الأموال ، أى على اختلاف أنواعها • قال : ولما ذكرت المواشى • قال عبد : يا عمرو ويأخذ من سوائم مواشينا التى قرعى فى الشجر وترد المياه ، أى رأى ذلك مستغرباً عنده وغفل عما عداها من نوعها ، لأنه كان يعلم ضرائب

الملوك على أهوال العباد على غير هذا النمط ، وإنما هي قوانين تسنها الملوك على الأمة بمقتضى الهوى ، قال عمرو : فقلت نعم أى يأخذ ذلك الذى استكرته وليس بمستكر ، والله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . فقال أى عبد : والله ما أرى قوماً فى بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا ، أى يروونه عظيماً أن يتصرف أحد فى أموالهم كهذا التصرف ، فينزع منه قسماً لأجنبى .

قال عمرو بن العاص : فبقيت أتردد على باب جيفر وقد أوصل اليه أخوه خبرى ثم إنه دعانى فدخلت عليه ، فأخذ أعوانه بضبعى أى عضدى ، قال : دعوه . فأرسلت أى أطلقونى ، قال فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعونى لأجلس ، وأظهروا له عتواً ، قال : فنظرت اليه أى فى ذلك الحال ، ففقال : تكلم بحاجتك ، قال : فدفعت اليه كتاباً مختوماً ، ففرض ختامه فقرأه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه اليه كتاباً مختوماً ، ففرض ختامه فقرأه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه الى أخيه فقرأه أى عبد ، ثم أدار النقاش جيفر من نوع نقاش أخيه عبد قائل : ألا تخبرنى عن قریش كيف صنعت ، أى وهم أشد مراساً وأطول يداً ولساناً ، وأخص به من غيرهم ؟ قال عمرو : فقلت اتبعوه إما راغب فى الدين ، وإما راهب مقهور بالسيف ، وإنه لجواب مدهش جامع لمقتضى المقام ، وهكذا ينبغى أن تكون رسل الزعماء والأكابر . قال جيفر « ومن معه » أى الرسول ﷺ . قال عمرو : قلت الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره ، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا فى ضلال مبين ، أى أن الاسلام مال اليه الناس بطبيعة حاله الجذابة الفعالة فى العقول السليمة ، انقيادها الى عزها وشرفها الذى جابها به الاسلام . وصارحها به سيد الأنعام ، قال عمرو : فما أعلم أحداً بقى غيرك فى هذه

الخرجة ، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك
قال الامام : أى جماعتك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ، ولا تدخل
عليك الخيل والرجال ، أى فانك لا شك تتأهب لحرب المسلمين للذين
دوخوا الأكاسرة والقيصرة ، ولست بأقوى منهم .

ولما سمع هذه الكلمات من عمرو بن العاص ذلك الداهية ، هزته
وزلزلت من كيانه ، ولعم أن الحرب ما بينه وإياها إلا رجوع عمرو بن
العاص ، فقال لعمرو : « دعنى يومى هذا وارجع الى غدا » . قال :
فلما كان الغد أتته قأبى أن يأذن لى فرجعت الى أخيه فأخبرته
أنى لم أصل اليه ، فأوصلنى اليه ، فقال إنى فكرت فيما دعوتنى
اليه ، فاذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى وهو لا تبلغ
خيله الى هاهنا ، وإن بلغت خيله ألفت أى وجدت قتالا ليس كقتال
من لاقى » . قال عمرو : « قلت وأنا خارج غدا » . قال فلما أيقن
بمخرجى خلى به أخوه فأصبح فأرسل الى فأجاب الى الاسلام هو
وأخوه ، وصدقاً وخلياً بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكان
لى عوناً على من خالفنى » .

وانظر الى جرأة عمرو بن العاص حيث يقول لجيفر لما قال
فكرت فيما دعوتنى اليه ، فاذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً
ما فى يدى ، وهو لا تبلغ خيله الى هاهنا ، وإن بلغت خيله ألفت
قتالاً ليس كقتال من لاقى قال له إن لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك
الخيل وتبيد خضراءك ، أى رجالك وهذا من الجرأة بمكان حيث
يقولها ملك فى عرش ملكه ، وبين أرهاطه وجنوده ، ولكن مقام الاسلام
عظيم ، والرسول فى الحقيقة عين المرسل وقد انتخب الرسول ﷺ
ذلك الداهية المعروف بأرطبون العرب .

وفي الحقيقة أن عبد بن الجندى كان داعية الرسول ﷺ الى الاسلام ، حيث أسلم جيفر بالأفكار الطيبة من عبد ، وفي النص الإلهي يقول من ثمارهم تعرفونهم ، وقد جاء في بعض الروايات : أن عبداً قال لأخيه جيفر : أطعه فان كان الرجل صادقاً فيما يدعى كنت ممن أطاع ولك بذلك الشرف ، وإن كان كاذباً فقد أطاعته العرب إلخ ، وهذا من التفكير الصحيح الذى لا يهتدى اليه إلا الموفق من الناس ، فلما أسلم جيفر وعبد أسلم أهل عمان حالاً ، وفشا الاسلام مصداقاً لقوله ﷺ : الناس في دين ملوكهم . ولهذا كان الرسول ﷺ ، يتحمل جرائم الأمة على الزعماء ، لأن لهم الطاعة عليهم طبعاً ، ويدل حديث عمرو بن العاص مع ملكى عمان أن الأمة إذا أسلمت وجبت عليها الزكاة حالاً ، فلا ينتظر بها الحول منذ وقع الاسلام ، بل يتعين الوجوب وهو اضح ، وكان جيفر وعبد عوناً لعمر بن العاص على الناس ، فبلغ بهما الأرب الذى أراده رسول الله ﷺ وهو إنتقاذ الأمة من هوة الكفر الموجب للمخلود في النار والعياذ بالله منها .

ولما فشا الاسلام في عمان وعم الدانى والقاصى فيها وصار عمرو بن العاص حاكم البلاد ، ونفذت أوامره الاسلامية بمعونة ذينك الملكين الكريمين اللذين كانا عوناً لعمر بن العاص على نشر الدعوة ، وبث روح الاسلام ، وأقام عمرو بين القوم معزراً مكرماً حتى هم بالرجوع الى المدينة ، وتحفز للخروج ، وإذا بالمنية تقضى على سيد الأولين والآخرين .

قال الامام رحمه الله : « بعد أن مكث عمرو بن العاص في عمان عاملاً عليها لرسول الله ﷺ وأهلها له طائعون ولقوله سامعون الى أن بلغته وفاة رسول الله ﷺ فعزم على الرجوع الى المدينة » .

عمرو بن العاص أمير عثمان يخرج الى المدينة معبراً عن انقياد أهل عثمان للإسلام

لقد قضى عمرو بن العاص تلك الثلاثة الأعوام في عثمان ، أمراً
بالمعروف ناهياً عن المنكر ، باثناً أوامر الاسلام ، معلماً للناس أمور
دينهم ثم رأى الرجوع الى المدينة للتعبير عن جهته الوحيدة ومؤيداً
الى ولى الأمر الواجبات المحمولة على عاتقه ، فعزم على الخروج راجعاً
الى المدينة عاصمة الاسلام وبيضة الدين .

فقام لصحبته السيد الهمام عبد بن الجندى لسان الملك ، وعون
ابن العاص رسول الرسول ﷺ ، مؤدياً للواجب ومعزراً للأمير القرشى
السهمى لسان الاسلام في عثمان ، ومظهراً لاسلام أهل عثمان ، وانتخب
معه من أعيان قومه الرجال الفطاحل ، مثل جعفر بن جشم العتكى ، وأبى
صفرة سارف بن ظالم من كبراء رجال الأزدي في عثمان ، ومن المنظور
إليهم في ذلك الأوان ، وأن الرجل من أجلة العثمانيين كما عبرنا عنه .

في رعاية الأحساب ، مع جملة من أعيان عثمان ذكرهم التاريخ
العثمانى وغيره كما سوف تسمع عنهم ، واصطحب معه الخفراء من
الأزد وعبد القيس يأمن بهم في طريقه عملاً بالقضايا العربية إذ ذلك .
ومر على المنذر بن ساوى حاكم البحرين في هجر ، ومر على بنى حنيغة
فأخذ منهم أيضاً خفراء حتى نزل أرض بنى عامر ، فنزل على قرة
ابن هبيرة القشيري ، وقيل خرج قرة بن هبيرة مع عمرو في مائة رجل من
قومه خفراء له ، قال : وأقبل عمرو بن العاص يلقي الناس مرتدين أى

عن الاسلام حتى أتى ذا القصة ، فلقبته عيينة بن حصن خارجاً من المدينة ، وذلك حين قدم على أبى بكر ، ويقول : إن جعلت لنا شيئاً كفيئناك ما وراطك يا عيينة من ولى الناس أمورهم ، قال أبا بكر : فقال عمرو : الله أكبر . قال عيينة : « يا عمرو استويننا نحن وأنتم ، فقال عمرو كذبت يا ابن الأخابث من مضر ، قال : وسار عيينة فجعل يقول لمن لقيه من الناس احبسوا عليكم أموالكم ، قالوا : فأنت ما تصنع . قال : لا يدفع اليه رجل من فزارة عناقاً واحدة ، ولحق منبذ ذلك بطليحة الاسدى ، فكان معه ، قال : ولما فرغ خالد أى ابن الوليد من بيعة بنى عامر صال على عيينة بن حصن المذكور صولة الأسد الباسل ، فأوثقه كتاباً وأوثق معه قرّة بن هبيرة القشيري ، وبعث بهما الى أبى بكر رضى الله عنه .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : فقدم بهما الى المدينة في وثاق ، فنظرت الى عيينة مجموعة يده الى عنقه بحبل ينخسه غلمان المدينة بالجريد ، ويضربونه ويقولون : أى عدو الله أكفرت بالله بعد إيمانك ، فيقول : والله ما كنت آمنت بالله . قال : فلم يعاقب أبو بكر رضى الله عنه قرّة وعفا عنه ، قال : وكتب له أماناً وكتب لعيينة أماناً وقبل منه ، قلت : إنما كان ذلك سياسة من أبى بكر رحمه الله بهؤلاء المؤلفّة قلوبهم ، ولهم في النفاق حظ وافر لكى تهدأ العرب ويسكن روعها ، فإن عهدهم بجاهليتهم قريب والشيطان يراوهم ويغاديهم وبكفره يناديهم . قال : وفي كامل ابن الأثير مات رسول الله ﷺ وعمرو بعثمان ، قال : فأقبل حتى انتهى الى البحرين فوجد المنذر بن ساوى في الموت ، ثم خرج عنه الى بلاد بنى عامر فنزل بقرّة بن هبيرة ، وقرّة يقدم رجلاً ويؤخر أخرى ، أى في الارتداد ، وقد لعب به الشيطان ليرديه .

قال : ومعه عسكر من بنى عامر ، قال فذبح له وأكرم مثواه ، فلما أراد الرحلة خلا به قرّة ، وقال : يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة ، أى وهى ضريبة الملوك ، ويعنى بها الزكاة فهو يعتقدونها من ذلك النوع . قال : فان أعفيتموها من أخذ أموالها فسقسم لكم وتطيع ، وإن أبيتم فلا تجتمع عليكم ، فقال له عمرو : أكفرت يا قرّة تخوفنا بالعرب ، فوالله لأوطئن عليك الخيل فى حفش أمك ، والمراد به البيت المسترذل بسكوته ، وكان ذلك تهديداً من الداهية القرشى السهمى الذى قبضه الله لتركيز دعائم الاسلام كسائر إخوانه المخلصين فى مساعيهم ، وفى ذلك تأييد للدين وتدعيم قواعد المسلمين ، قال : وقدم على المسلمين بالمدينة وأخبرهم فطافوا به يسألونه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا الى المدينة قال : فتفرقوا وتحلقوا طلقا ، وأقبل عمر يريد التسليم على عمرو بن العاص ، فمر على حلقه فيها على وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد ، قال : فلما دنا منهم عمر سكتوا ، فقال أى عمر : فيم أنتم ؟ فلم يجيبوه ، فقال لهم : إنكم تقولون ما أخوفنا على قريش من قتل وأسر واستئصال معدود على قريش ، لأن الرسول منهم وهو الأمر وهو الفاعل، وقريش قومه وهم معه ، وكان ذلك يترأى له بألميته المخصوص بها من الله لذلك لما قال لهم هذا المقال ، قالوا كلهم : صدقت ، قال عمر : لاتخافوهم أنا والله منكم على العرب أخوف منى باطله من العرب عليكم ، والله لو تدخلون معاشر قريش جحراً لدخلته العرب فى آثاركم ، قلت ذلك لما علمه من الرسول ﷺ ، إذ يقول الناس : تبع لقريش مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم ، وقوله : لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم رجلان ، أو قال ما بقى فيهم رجلان أو كما قال : عليه الصلاة والسلام ، وقد رسخ فى ذهن الفاروق تحقيق

الحقائق التي علمها من الشارح رحمه الله ، وما أدركه بالمعينة النيرة الوقادة
رحمه الله وغفر له .

وبذلك المقال السياسي أيضاً أسكن حفيظة القوم وهذا روعهم
وبشرهم بمستقبلهم الحسن ، قال عمر : فاتقوا الله فيهم أي في العرب ،
قال : ومضى عمر فلما قدم بكرة بن هبيرة على أبي بكر أسيراً استشهد بعمر
على إسلامه ، فأحضر أبو بكر عمراً فسأله فأخبره بقول قرّة الى أن
وصلا الى ذكر الزكاة ، فقال قرّة : مهلاً يا عمرو ، فقال : كلا والله
لأخبرنه بجميعه ، فعفا عنه أبو بكر وقبل إسلامه ، وقوله : لما وصلا
الى ذكر الزكاة قال قرّة : مهلاً يا عمرو أي لا تخبره فان ذلك بيت
الفصيد ، وقوله : كلا والله لأخبرنه بجميعه كان ذلك واجب الأمانة
الدينية في الاسلام ، وكان من سياسة أبي بكر رضي الله عنه تآلف
الامة ليهدأ روعها وتسكن ثائرتها ويصطك حجر الاسلام على بعضه
بعض .

والرجال سياسات كما للأوقات كذلك ، قال الامام وذكر ابن الأثير
في كامله أيضاً في قدوم عمرو على معاوية بعد قتل عثمان قال : وكان
قد علم الذي يكون فعله عليه لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد بعثه الى عثمان ،
فسمع من خبر هناك شيئاً عرف مصداقه ، فسأله عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
ومن يكون بعده ، فأخبره بأبي بكر وأن مدته قصيرة ، ثم يلي بعده رجل
من قومه مثله تطول مدته ويقتل غيلة ، ثم يلي بعده رجل من قومه تطول
مدته ويقتل عن ملا . قال ذلك أشر ، ثم يلي بعده رجل من قومه ينتشر
الناس عليه ، ويكون على رأسه حرب شديدة ، يقتل قبل أن يجتمع الناس

عليه ، ثم يلى بعده أمير الأرض المقدسة فيطول ملكه ، وتجتمع عليه
أهل تلك الفرقة ثم يموت .

وكان الرجل الذى تطول مدته ويقتل غيلة هو عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ، والمراد بالرجل الذى تطول مدته ويقتل عن ملا هو
عثمان ، إذ اجتمع عليه المسلمون من فواح عديدة وحصروه فى بيته مدة
حتى قتل ، والمراد بالرجل الذى تكون على رأسه حرب شديدة ، ثم يقتل
قبل أن يجتمع الناس عليه هو على بن أبى طالب ، والمراد بالرجل الذى
يكون أمير الأرض المقدسة ويطول ملكه معاوية بن أبى سفيان ، وقد
قال ابن الأثير بهذا فى كتابه الكامل متلقياً له بالنقل عن لهم العلم
به ، والمعنى لذلك مال عمرو بن العاص الى موطاة معاوية بن أبى سفيان ،
إذ رأى القضايا جاءت مقترى كما قيل له ، فكانت طبق ما قيل له .

ولا شك أن مثل عمرو بن العاص الداهية الوحيد فى قومه يرى
القضايا رأى العين ، كما قيل له عنها لا يرضى أن يكون فيها ذنباً ،
بل يرضى أن يكون فيها رأساً وهامة ، وقد نلقى عمرو بن العاص هذا
الأمر من يهودى من يهود صحر ، كما أشار اليه ابن الأثير .

قال الامام السالمى رحمه الله وهو يذكر إسلام أهل عثمان فى
(تحفة الأعيان) ، وفى تاريخ الخميس : كان عمرو بن العاص عاملاً
للنبي ﷺ على عثمان ، فجاءه يوماً يهودى من يهود عثمان ، فقال له
أرأيتك إن سألتك عن شيء أخشى على منك ؟ قال : قال لا . قال اليهودى :
أنشدك بالله من أرسلك إلينا ؟ قال : اللهم رسول الله . قال اليهودى :
آله انك لتعلم أنه رسول الله ؟ قال عمرو : اللهم نعم . فقال اليهودى :

لأن كان حقاً ما تقول لقد مات اليوم ، فلما رأى عمرو ذلك جمع أصحابه وحواشييه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي فيه ما قال : ثم خرج بخفراء من الأزد وعبد القيس يأمن بهم في طريقه ، قال ففاجأه ذلك عند المنذر بن ساوى ، فسار حتى قدم أرض بنى حنيفة ، فأخذ منهم خفراء حتى جاء أرض بنى عامر ، فنزل على قرية بن هبيرة القثيري ، وذكر الحديث الذي قدمناه : ومفاده أن عمرو بن العاص تلقى من ذلك اليهودي الذي حدثه بصحار عن وفاة النبي ﷺ معلومات هامة ، فسار في حياته على ضوءها فراها لا تزال تأتي كما قال له ذلك اليهودي ، فلذلك تحين الفرصة وعمل بمقتضى ما صح معه ، وكان الأمر جلياً نصب عينيه : وغير بعيد أن يصح ما قاله ذلك اليهودي ، لأن اليهود أتاهم الله التوراة وفيها ذكر الرسول ﷺ صريحاً ، وذكر قومه وما يكون بينهم وما يقع لهم من النصر على من عاداهم والظفر لمن خاصمهم ، وقد قال اليهود في المدينة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنا نجدك في التوراة ، قال تجدونى ماذا ؟ قالوا نجدك قرناً ، قال قرن ماذا ؟ قالوا قرن من حديد أ هـ ، ولا يدركون مثل هذا إلا بنص نبوى ، وقد صح ذكر هذه الأمة في الكتب السابقة حتى تمنى موسى ابن عمران عليه الصلاة والسلام أن يكون منها كما في خبر الإلواح ، فكان ما قاله يهودى صحرى أمراً واقعاً ، وكان عمرو من مشاهير رجال الدنيا الذين يرغبون فيها ويميلون إليها .

قال الإمام رحمه الله : « دخل عمرو بن العاص على أبى بكر رحمه الله ومعه رجال الأزد من عثمان ، فقام سارق بن ظالم خطيباً » ، فقال : « يا خليفة رسول ﷺ ، ومعاشر قريش ، هذه أمانة كانت في أيدينا (م ١ — عن عبر التاريخ ج ١)

وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ ، فقد برثنا منها إليك » • فقال أبو بكر رضي الله عنه : « جزاكم الله خيراً ، وأثنى عليهم المسلمون خيراً ، وقام الخطباء بالثناء عليهم المدح ، فقالوا كفاكم معاصر الأزد قول رسول الله ﷺ وثناؤه عليكم ، ثم قام عمرو بن العاص والى عثمان ، فلم يدع شيئاً من المدح والثناء إلا قاله في الأزد ، ثم جاءت وجوه الأنصار من الأزد وغيرهم مسلمين على عبد ومن معه ، فلما كان من الغد أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار ، وقام أبو بكر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر النبی فصلی عليه وقال :

« معاصر أهل عثمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يظاً رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر ، وجشمتوه ما جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتوه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطلعتموه إذا أمركم على كثرة عددكم وعدتكم ، فأى فضل أبر من فضلكم ، وأى فعل أشرف من فعلكم ، كفاكم قول رسول الله ﷺ الى يوم الميعاد » ، ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرماً ، ورحل عنكم إذ رحل مسلماً ، وقد من الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجلندي ، وأعزكم الله به وأعزه بكم ، وكنتم على خير حال حتى أتتكم وفاة رسول الله ﷺ ، فأظهرتم ما يضاعف فضلكم أى وهو انقيادكم للحق وتعزيزكم له ، حبث لما بلغتكم وفاة الرسول ﷺ ثبتتم على الاسلام ولم تتزعزعوا كما تزعزع غيركم من الناس ، ولا تقلقلتم كما تقلقوا ، وأنتم كثيرو العدد » • قال أبو بكر رضي الله عنه : « وقمتم مقاماً حمدناكم فيه » ، وهو ثباتهم على الحق ومؤازرتهم له

وتأييدهم ، قال « ومحضتم بالنصيحة » ، أى أخلصتموها وصارحتهم بها . قال : « وشاركتكم بالنفس والمال ، فثبتت الله ألسنتكم ويهدى قلوبكم وللناس جولة » ، أى لا بد لهم من ترزعزع وحيرة ودهشة ، قال : « فكونوا عند حسن ظنى فيكم ، أى وهو ثباتكم القوى على دينكم ، وفى طاعة إمامكم وزعيمكم » ، قال : « ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ، أى لأنكم صارعتم الجنود الفارسية مدة طويلة حتى قضيتهم عليهم ، « فلا أخشى عليكم أحداً بعدهم بحسب ظاهر الحال لا حكماً على الغيب » ، قال : ولا أن ترجعوا عن دينكم ، أى دلائل الحال قاضية بذلك ، ودلائل المقال عن رسول الله ﷺ شهادة بذلك ، وسوف تتقف عليها أيها القارئ الكريم فى فضائل أهل عثمان من هذا الكتاب إن شاء الله .

قال « جزاكم الله خيراً » ، ثم سكت أبو بكر ، ولقد ساس وهذب وقوى وأبعد وحذر ودعا وأرشد ، وهكذا البلغاء وعلى ذلك يقوم علم الحق فوق الرؤوس ، ولله در أبى بكر سيد المسلمين وخليفة المصطفى الأمين .

أبو بكر يجهز عبد بن الجلندى ومن معه لحرب آل جفنة

لقد سر أبو بكر رضى الله عنه بملقى عبد بن الجلندى ومن معه من أبطال الأزد ، وابتهج بهم تمام الابتهاج ، فأنثنى عليهم فى خطبته المارة آنفا ، وشكرهم شكرا لا يخفى على أهل العقول الصحيحة ، ولما رأى وما سمع عنهم وما فهم منهم عول عليهم فى حرب آل جفنة من أزد الشام ، فكان أراد أن يدق الصخر بمثله ، ويرمى الهدف عن خبره ، فأراد من عبد بن الجلندى أن يهاجم الفساسنة المعتاة فى أرض الشام فانهم حجر خشن ، فمما قلأ عبد وأصحابه على أبى بكر ، ولا اعتذروا له بالمعاذير ، ولولا أنا معنيون بتاريخ عمان لذكرنا قضايا الارتداد كيف كانت ، وفيمن كانت ، كما أنا لم نذكر الحوادث الخارجية عن عثمان ، وإن كان وقوعها بأهل عثمان لا سيما ما كان من غير أهل عثمان ، وإن كانت له علاقة بتاريخ عثمان ، لأن ذلك تنىء يطول علينا وحسبنا ذكر الأهم من تاريخنا العثمانى ، وإن أشرنا الى هذه القضية العثمانية العسائنية فما ذلك إلا كالتعريف بفضائل عبد ابن الجلندى وأهل عثمان معه .

قال امام رحمه الله : وقيل إن عبداً استنهضه أبو بكر لمقاتلة آل جفنة فأجابه الى ذلك ، قال فسرى له سرية وأمره عليها ، فخرج عبيد المذكور يقود جيشاً فيه أعيان المهاجرين والأنصار ومن لف معهم من العرب ، قال فخرج عبد على السرية ، أى أميراً عليها وجد فى السير حتى أتى آل جفنة بالشام فى ديارهم .

قال الامام رحمه الله : ولها حديث يطول ذكره . قلت : لما كان

ليس من أخبار بلادنا العثمانية نكتفى بالإشارة اليه هنا عن سرد ذكره قال : « وقد شهر مقام عبد وعرف مكانه ، قال : وكان في السرية من شعرائه رحمه الله ، حسان بن ثابت الأنصاري ، فلما قدموا من ديار آل جفنة قام حسان بين ظهرائي المسلمين يعلن الثناء البليغ على عبد بن الجلندي ، ومن جملة مقاله : « قد شهر مقام عبد في الجاهلية والاسلام ، فلم أر رجلاً أحزم ولا أحسن رأياً وتديباً من عبد ، هو والله ممن وهب نفسه لله في يوم غارت صباحه ، وأظلم صباحه » . فتهاك وجه أبي بكر رضي الله عنه وسر به ، فقال : « هو يا أبا الوليد كما ذكرت ، والقول يقصر عن وصفه ، والوصف يقصر عن فضله » ، فلما بلغ ذلك عبداً بعث الى حسان ابن ثابت بمال عظيم ، وأرسل اليه قائلاً : « إن مالي يعجز عن مكافأتك فأعذر فيما قصر ، وأقبل ما تيسر » ، وعندما عزم عبد ومن معه من العثمانيين على الرجوع الى أوطانهم زودهم أبو بكر رضي الله عنه كتاباً الى أهل عثمان كافة يشكرهم فيه ويثني عليهم ، ولقد أقر أبو بكر رضي الله عنه جيفر على ملك عثمان كوال لعثمان من طرف الخليفة .

قال الامام في تحفة الأعيان : ذكر في بعض السير العثمانية أن أبا بكر أقر جيفر وأخاه جميعاً على ملك عثمان ، وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها اليه كما سوف ترى بسط ذلك في محله إن شاء الله ، وهو دليل على جملة والياً لعثمان كما قلنا ، ولعل بعد ذلك أراد اختبار القوم ، أو أن السياسة اقتضت أمراً ، ولكل زمان سياسة ولكل وقت أعمال ، ولكل أمير وجهه وأبو بكر أفضل الأمة بإجماع من يعتد بإجماعه في شيء بعد رسول الله ﷺ .

عثمان وأبو بكر رحمه الله تعالى طيلة حياته

لقد تولى أبو بكر رحمه الله ورضي عنه أمر المسلمين ، وعثمان بيد واليها عمرو بن العاص يدبر شئونها معزراً بملكيتها ، جيفر وعبد ، ولما بلغت عمرو ابن العاص وفاة رسول الله ﷺ هم بالرجوع الى بيضة المسلمين راجعاً بأمر ولايته الى الخليفة المستخلف ، مصطفىاً معه من خيار أهل عثمان ، سبعين راكباً تحت رايته يقدمهم ذلك الهمام عبد بن الجندى ملك عثمان حتى وصل المدينة ، واذا بالخليفة للمسلمين أبو بكر أول إمام صحيح الامامة ، وأول رجل سد الله به فراغ الثلثة التي أدهشت المسلمين وانزهقت منها أرواح أهل الإيمان ، وزاغت بها قلوب أهل الجهل الذين لم يتمكن الاسلام من قلوبهم ، ولم يرسخ الإيمان في أذهانهم ، فكان أبو بكر الحجر الثقيل الذي لم يقدر الزائفون على تحريكه عن مقره ، فالقى عمرو بن العاص اليه مهمته التي جاء بها ، وتلقاها أبو بكر بصدر رحيب ، وقلب منشرح ، وعزيمة ثابتة ، لا تؤثر عليها الهيشات ، فأثنى أبو بكر على أهل عثمان ثناء بالغاً ، وشكرهم شكراً وافراً ، حيث آمنوا طائعين ووصلوه مذعنين خاضعين ، مع أن أغلب العرب تزعزعت ، فمناها المرتد ومنها على وشك الارتداد ، واذا بأبى بكر يجهز العثمانيين من الجفنة بنواحي الشام فقاموا بمهمتهم خير قيام ، ورجعوا بالنصر والظفر الى الخليفة الامام ، فأقرهم على ملك عثمان ، وأيدهم وشد عضدهم وأعرب عن مناهج مصالحتهم ، فازدادوا بذلك شرفاً على شرفهم ، وعزاً يؤيد عزهم ، ورجعوا الى عثمان محترمين مكرمين .

وجاء في بعض التواريخ ، أن أبا بكر رضى الله عنه استعمل على عثمان عكرمة بن أبى جهل ، ثم عزله وسيره الى اليمن ، واستعمل على عثمان حذيفة القلمانى ، قال : « غلم يزل والياً على عثمان الى أن توفى أبو بكر رضى الله عنه » قلت : لعل هذه التولية وتولية عكرمة كانتا سياسية من أبى بكر وهو الواضح ، ثم لم يطل عهدها لأن أبا بكر رحمه الله لم يطل عهد خلافته ، وقد خرج عنه عبد بن الجندى وأمر عثمان اليه وأخيه جيفر ، فلم يلبث بعد مدة غير طويلة اقتضى النظر تولية عبد ، ثم تولية حذيفة على أثرها أيضاً ، ولم يطل العهد ذكر في أسد الغابة بغير تحقيق ، قال : وضبط القلمانى في نسخة أبى عمر بالقاف واللام والعين المهملة .

قال الامام : قال ابن الأثير : وأنا أشك فيه ، قال : وضبطه الطبرى ، فقال : حذيفة بن الحصين : الغلفانى بالغين المعجمة واللام والفاء . قلت : لعله القلمانى وهو غير بعيد ، فإن الكلمة متقاربة في صورتها ، قال : وله في قتال الفرس آثار كثيرة ، قال : واستعمله عمر على اليمامة وسياتى ذكره في خلافة الامام عمر بن الخطاب رحمه الله ورضى عنه .

وفي أيام أبى بكر الصديق وقعت قضية دبا من عثمان ، وذلك في آخر حياة أبى بكر ، وذلك أن أبا بكر وجه حذيفة بن محصن الغلفانى الذى سبق ذكر الخلاف في ضبطه ، قال : وهو من بارق ، وجهه الى عثمان وكان حليفاً للانتصار ، وكان له بصر . قال : وليس هو حذيفة بن اليمانى فوجهه أبو بكر أميراً على عثمان فصدقهم . قلت : لعله كان أميراً فقط على الصدقة ، وفي خبر عبد بن الجندى المتقدم

أن أبا بكر رحمه الله أمره يأخذ الصدقة ، فكان إمارته انتسخت .
قال : فلما صار في ولد الحارث ابن مالك بن فهم ليصدقهم ،
تناول بعض أصحابه امرأة معفاة ليصدقها ، وكان عليها فريضة شاة
مستنة ، فأعطتهم عتوداً أو عناقاً مكان الشاة أى بدلاً منها ، فأبوا
أن يأخذوها ما أرادوا ، فصاحت المرأة يا آل مالك ! فقال حذيفة وهو
أمير الصدقة : دعوة جاهلية أى مثل هذا التداعى كان في الجاهلية .
وكان بركان الارتداد في قوته إذ ذاك ، فلهذا قال حذيفة دعوة جاهلية ،
وخاف أن يكون القوم قد ارتدوا ، ولعله وسوس له الشيطان
أن القوم مرتدين ، لذلك سمع تداعى الجاهلية وما هي وأيم الله
إلا نزعاً عرضت تخالفت فيها المفاهيم ، وربما وقع مثل ذلك من أهل
الجهل وعوام المسلمين بغير قصد الارتداد . قال : فأغار عليهم
حذيفة فقبض على ناس منهم وأوثقهم قهراً وهم قليلون ، ولعلمهم
لضعفهم فمضى بهم إلى المدينة بدعوى الارتداد الذي فهمه من
تداعيهم .

قال الامام : فثار سبيعة بن عراك أحد زعمائهم وهو من
صيلم ، والمعلّى ابن سعد الخمامي ، والحارث بن كلثوم الحديدي في
أصحابهم ، فوفدوا على أبي بكر رضي الله عنه ، فقالوا : يا خليفة
رسول الله ، ﷺ ، إنا على اسلامنا لم ننتقل عنه ولم نمنع زكاة ولم
نفرع يداً من طاعة ، ولم نرجع عن دين ، وقد عجل عاملك وكففنا
أيدينا إلى أن أتيناك ، فقال أبو بكر رحمه الله أصنع بكم ما صنعت
بالعرب ، إن شئتم خلّيت المسال وأخذت السبى ، ففادوا السبى فقالوا
على كل أسير أربعمئة وخمسون درهما ، قال الامام كذا ذكر العوثبي
في الأنساب . قال : ويقال إن سبيعة بن عراك خرج إلى أبي بكر

الصديق رضى الله عنه فى سبى دبا الذين أخذهم حذيفة الغلفانى ،
وكان سبيعة المذكور زعيم القوم ، والمعلا بن سعد الخمامى ، وكان
اسم المعلا ثعلبة ، ومن حيث إن ثعلبة اسم للثعلب ، وقد شهر
الثعلب بالروغان والحيل ، سماه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى
الله عنه المعلا ؛ وكان هو وسبيعة ابن عراك زعيمى القوم واليهما الحل
والعقد ، فقدموا المدينة وقد مات أبو بكر الصديق رحمه الله تعالى ،
وتولى أمر الناس عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فكلما فى سبى
أهل دبا ، وقال المعلا بن سعد الخمامى : يا أمير المؤمنين إن
حذيفة بن محصن الغلفانى تعدى طوره ، وعظم فى الناس حدثه ،
ولولا مراقبة أمير المؤمنين لكان شكاه متافنا جزاء له عن غيره فيكون
واعظاً لغيره ، ولكن حملنا على مخافة نكله فنرادف العثرة وسكت
الحره ، ولم نكد . قلت : هذه كلمات مضطربة لا معنى لها بحسب
الظاهر ، فقال عمر : يا معلا إن فى الحق سعة وكف غربك أولى بك ،
إن الاسلام سوى بين الناس ، فرفع الوضع ووضع الشريف اذا
خالف الحق وأعطى كل إمريء قسطه من خيره وشره ، ثم أمر عمر برد
السبى ولذلك قال الامام السالمى رحمه الله .

تأول السابى لهم يوم دبا وأنكر الفاروق ذاك المذهب

ومن هنا يعلم أن الإباضية لا يحكمون بالتأويل لتكفير الناص
أى تشريكهم ، فإن التكفير بالتأويل يقع على غير أصل ، لكن الوهابية
يحكمون بذلك ، فمن اقتترف كبيرة شرك بالتأويل ، قالوا له : أنت مشرك
دمك حلال ومالك غنيمة ، فاستعرضوا الناس وحكموا عليهم بما
لا يرضاه الدين ولا حكم به أحد من الصحابة فيما علمنا .

قال الامام : وفي سيرة الشيخ خلف بن زياد البهراني قال : بلغنا أن أبا بكر رحمه الله ورضى عنه بعث الى أهل عثمان مصدقاً يأخذ صدقات أموالهم وهم مقرون بالحكم كله ، فأعطوه الصدقة جميعاً لم يمنعها منهم أحد ، غير أن امرأة من أهل دبا شاجرت بعض المصدقين فزعمت أنه استوفى حقه جميعاً ، وزعم هو أنه بقي عليها بقية منه ، فتنازعا في ذلك فقرعها قرعة استغاثت ببعض أهلها فأغاثها ، فأقبل هو ومن معه الى الذي قرعها ومن معه من المصدقين ، فتواقفوا وتتادوا عند ذلك يا آل بني فلان حين رأوا أن القبائل قد نسبت بينهم ، قال : وكانت دعوة جاهلية ، قد كان يقال لمن قالها أو دعا بها حل دمه حين يدعو بها أو يتوب ، فاقبضوا ما شاء الله وظهر المصدقون عليهم ، فجاء حذيفة الغلفاني وكان ولي ذلك فسبى أهل دبا وغيهم ذرية من لم يقاتلهم من النساء والولدان ، وذرية من كان قد غاب أو كان قد مات وهو مسلم ونسأؤه في غير إنكار منهم بشيء من التزيك ، ولا امتناع منهم ، بما قبلهم من الحق ، قال : فلم يبق أحد من أهل دبا قد در عليه إلا سباه ، فوافق بذلك خلافة عمر بن الخطاب رحمة الله عليه ، وكان أول مبعثهم في حياة أبي بكر رحمة الله عليه ، ولما تحقق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القضية غضب غضباً لم يكن فيما علمنا منه غضباً حتى قال : والله أنى لو أعلمك تسبيهم بدين دوني تقطع فيهم على لقطعتك طوائف ، ثم بعثت الى كل مصر منك بطائفة ، والمعنى لو كنت أعلم أنك فعلت ذلك بدين أى تعتقد حله في الدين أى تدين بحله لعاقبتك عقوبة تكون عبرة لغيرك ، والقصد الزجر والتغليظ لمن يجعل التأويل ديناً .

فرحم الله عمر لو رأى من يعتقد اليوم تأويله ديناً ماذا يفعل فيه حين

يرى أموال المسلمين تقسم خيئاً ، والدماء تراق ديناً ، وتسبى الذراري وهم يدينون لله بالاسلام ، ويعتقدون صحة أوامر دين الله عز وجل .

قال الشيخ خلف بن زياد البحراني رحمه الله : ثم نقض أي عمر أمر أهل دبا ، أي أبطل الحكم الذي حكم به المصدق فيهم بعد ما هدده ذلك التهديد الكبير ، ورد القوم أي السبى من أهل دبا إلى منازلهم إلا من استحق منهم بشيء خيانة ، أي إلا من ظهرت خيانتته فيما فرض الله عليه ، قال : وأجاز المسلمين بما أصيب منهم ، ولما أصابهم من البلاء ثلاثمائة ثلاثمائة أي لكل واحد من المصابين بتلك النكبة ، وأخرج ذلك لهم من بيت المال ، ولعله رأى الخطأ بالتأويل في بيت المال ، وهو وجه في آثار المسلمين .

قال الامام السالمى رحمه الله : هذا حاصل قضية دبا عند المسلمين كما هي في الكتب العثمانية ، وهم أعرف بحالهم وأخبر بقومهم ، قال الامام ، ولا يصح ما ذكره ابن الأثير في كامله ، حيث قال : « وأما عثمان فإن نبغ بها ذو التساج لقيط بن مالك الأزدي » . قلت : وأشار بهذا إلى مالك بن فهم ، وأين مالك بن فهم من لقيط ، فإن بينهما قروناً كثيرة ، فإن مالك بن فهم كان زمن نبي الله موسى بن عمران ، وكم بين موسى بن عمران ومحمداً ﷺ من القرون فلا وجه لما ذكره ابن الأثير من هذه الناحية قبل كل شيء .

(قال) (١) : وكان يسمى في الجاهلية الجلندي ، قال وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ وغلب على عثمان مرتداً ، قال : والتجأ جيفر وعبد

(١) قلت هذا جهل بالتاريخ وتخليط ، والاجانب يأخذون الاخبار بغير تحقيق وخصوصاً فيمن خالفهم : والحازم من يأخذها تحقيقاً ، ا . . .

الى الجبال ، وبعث جيفر الى أبى بكر بخبره ويستمدده عليه ، قال :
وبعث أبو بكر حذيفة بن الغلفانى من حمير ، وعرفجة بن هزيمة البارقى
الأزدى ، حذيفة الى عثمان ، وعرفجة الى مهرة ، وكل منهما أمير على
صاحبه فى وجهه ، فاذا قربا من عثمان يكتبان جيفرا ، فسارا الى
عثمان وأرسل أبو بكر الى عكرمة بن أبى جهل ، وكان بعثه الى اليمامة
فأرسل اليه أن يلحق بحذيفة وعرفجة بمن معه يساعدهما على أهل
عثمان ومهرة ، فاذا فرغوا منهم سار الى اليمن ، قال : فلحقهما عكرمة
قبل أن يبلغا عثمان ، فلما وصلوا رجاءاً وهى قريب من عثمان ،
كأنه أراد بلداً ولكن لم يعرفها بهذا الاسم . قال : كاتبوا جيفرا
وعباداً وجمع لقيط جموعه وعسكر بدبا ، وخرج جيفر وعبد وعسكرا
بصحر ، وأرسلوا الى حذيفة وعكرمة وعرفجة ، فقدموا عليهما وكاتبوا
رؤساء من عند لقيط وارفضوا عنه ، ثم التقوا على دبا فاقتتلوا
قتالا شديداً ، واستعلى المسلمون لقيط أى غلب عليهم ، فرأى الظفر ،
ورأى المسلمون الخلل ، فبينما هم كذلك إذ جاءت المسلمين موادهم
العظمى من بنى ناجية وعليهم الخريت بن راشد ، ومن عبد القيس
وعليهم سيحان بن صوحان وغيرهم . قال : فقوى الله المسلمين فولى
المشركون الأدبار ، قال : فقتل منهم فى المعركة وبعثوا أربعة آلاف
وركبوهم حتى أثخنوهم وسبوا الذرارى ، وقسموا الأموال وبعثوا
بالخمس الى أبى بكر مع عرفجة ، وأقام حذيفة بعثمان يسكن الناس ،
قال : « وأما مهرة فإن عكرمة بن أبى جهل سار اليهم لما فرغ من عثمان
ومعه من استنصر من ناجية وعبد القيس وراسب وسعد ، فاقتحم
عليهم بلادهم فوافق بها جمعين من مهرة ، أحدهما مع سخرية رجل
منهم ، والثانى مع المصبح أحد بنى محارب ، ومعظم الناس معه ،

وكانا مختلفين ، فكاتب عكرمة سفريتا فأجابته وأسلم ، وكاتب مصبح يدعوه فلم يجب فقاتله قتالا شديداً فانهزم المرتدون وقتل رئيسهم ركبهم المسلمون فقتلوا من شاعوا منهم وأصابوا ما يشاءوا من لغنائم ، وبعث الخمس الى أبى بكر مع سفريت ، وأراد عكرمة وجنده فوة بالظهر والمتاع ، وقام عكرمة حتى اجتمع الناس على الذى يجب ، وبايعوا على الاسلام انتهى كلام ابن الأثير .

قال الامام : وكله باطل . قلت : هؤلاء المؤرخين يتلقون أخباراً لا أصل لها أو لها أصل ، لكن غير ما يتلقى اليهم وأحياناً يتلقون أخباراً من قبل ناس ، ويعلقونها على آخرين غير أصحابها « وما آفة لأخبار إلا روايتها » .

الحلقة الخامسة

في فضائل أهل عثمان وذكر مشاهيرهم في صدر الإسلام

وبه يتم الجزء الأول من تاريخ عثمان إن شاء الله .

اعلم أن لأهل عثمان فضائل لها قيمتها عند المسلمين ، وقد نوه ﷺ بها في أحاديثه الغراء ، وشهد بها الخليفة الأول رضى الله عنه ، وأكدها بلغاء العرب على اختلاف مذاهبيهم ، ولا يفكرها إلا جاهل غبي أو حاسد دنى ، وهل ينكر الحق إلا أهل الباطل ، وهل يعرف الحق لأهل الحق إلا أهله ، فأهل عثمان أسلموا طوعاً ووالوا رسول الله ﷺ ولم يروه وتولوه ، فسمعوا له وأطاعوا رسوله على بعد دارهم وكثرة عددهم ، بينما أهله وبنو جلدته عادوه حتى أخرجوه من وطنه وتألبوا على عدائه إلا من شاء الله ممن سبقت لهم من الله الحسنى ، كما أن أكثر العرب ناصبوا أوامره العداء ، وعارضوا معجزاته التى يرونها رأى العين بالبذاء ، فكانوا عليه أشد من اليهود ، بينما أهل عثمان قالوا لرسوله أهلاً ومرحباً وسلموا إليه مقاليد أمورهم ، وكانوا لدعوته دعاة مخلصين ، ولداعيه عضده اليمين ، ولأوامره خاضعين ومسلمين ، فلم ير منهم طيلة حياته إلا الخير الذى يحبه الله والجميل يتجلى بأخلاقهم لله ، فلذلك قال ﷺ رحم الله أهل الغبراء آمنوا بى ولم يرونى ، وهذا من رسول الله ﷺ ، أعظم شهادة على فضلهم ، وروى أحمد من طريق أبى لبيد . قال : قال خرج منا رجل يقال له بيرج بن أسد ، فرآه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل عثمان فأدخله عمر على أمى بكر رضى الله عنه ، فقال : هذا من أهل الأرض التى سمعت رسول

الله يقول ، أى فيها : إني لأعلم أرضاً يقال لها عُمان ينضح البحر بناحيتهما ، لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولا حجر • ولقد صدق الله طنه فيهم ، فأتاهم عمرو بن العاص رسولا من عنده ﷺ فلم ير منهم إلا خيراً ولا سمع عنهم أيضاً كذلك إلا الخير الذى سرته منهم ، وعند مسلم من حديث أبى برزة الأسلمى ، قال بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى قوم فسبوه وضربوه ، فجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام لو أهل عُمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك ، فترى رسول الله ﷺ ، يتمثل بهم فى الخصال الحميدة ، وحسبهم بذلك ترفاً وفضلاً •

وفى حديث مازن بن غضوبة السعدى قال : قلت يا رسول الله ﷺ ، ادع لأهل عُمان ، فقال ﷺ : اللهم أهدهم وأثبهم ، فقلت زدنى يا رسول الله ، فقال « اللهم ارزقهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم ، فكان أهل عُمان أعف الناس فى كل معانى العفة ، وهم أقنع الناس بالكفاف وارضاهم بما قسم الله لهم بخلاف غيرهم ممن ألهاهم التكاثر واستهواهم الرياش الفاخر ، قال مازن : قلت يا رسول الله : البحر ينضح بناحيتهما وفى رواية ، بجانبنا ، فادع الله فى ميرتنا وخفنا وظلفنا • فقال عليه الصلاة والسلام : اللهم وسع عليهم فى ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم • قلت : زدنى يا رسول الله • قال ﷺ : اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم ، يا مازن قل آمين فإن آمين يستجاب عنده الدعاء ، قال مازن : قلت آمين • فاستجاب الله عز وجل بعمه وفضله دعاء نبيه ﷺ لأهل عمان ، وظهرت بركاته فيهم بغير نكران • قال مازن : فلما كان فى العام القابل وفدت على رسول الله ﷺ ، أى عدت إليه واغداً من عُمان ، فأخبرته بما من

الله به عليهم من بركة دعاء الرسول ﷺ ، فقلت « يا المبارك ابن المباركين ، الطيب ابن الطيبين ؛ قد هدى الله قوماً من أهل عثمان ومن عليهم بدينك » قلت : لعله أشار إلى الذين أسلموا على يد عمرو بن العاص ، فتحدث مازن عنهم ، قال : وأخصبت عثمان خصباً هنيئاً وكثرت الأرباح والصيد بها فقال عليه السلام : « ديني دين الإسلام . سيزيد الله أهل عثمان خصباً وصيداً ، فطوبى لمن آمن بي ، وطوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني ولم ير من رأيي ، وأن الله سيزيد أهل عثمان إسلاماً » أى سينتشر الإسلام في أهل عثمان وسيعمهم ، فكان ذلك دليلاً على صدقه ﷺ ، فهو من معجزاته الدالة على نبوته .

وذكر الإمام أبو يعقوب في لواحق المسند من روايات الإمام الربيع ابن حبيب ، عن شيخه أبى سفيان محبوب بن الرحيل القرشي المخزومي رحمه الله ورضي عنهم ، عن أزور رجل من المسلمين ، أن نسوة من نساء أهل عثمان استأذن على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، فأذنت لهن فسلمن عليها ، وفي رواية فسلمت عليهن ، ثم قالت : من أنتن ؟ قلن : من أهل عثمان ، قال فقالت لهن : لقد سمعت حبيبي ﷺ يقول ليكثرن ورآد حوضي من أهل عثمان ، وفيه أيضاً من روايات الربيع عن أبى سفيان ، قال : دخل جابر بن زيد على عائشة رضى الله عنها ، فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها عنها من قبل ، أى على كثرة ترده عليها لأخذ العلم عنها ، إذ هي من أجلة شيوخه رحمه الله سألها جماع النبي ﷺ ، وإن جبينها يتصبب عرقاً وتقول : سل يا بنى ، ثم قالت : ممن أنت ؟ أى لما رأيته يبالغ في السؤال حتى عن مثل هذا ، وهو كان سألها عن مقدمات الجماع القى لا حرج في السؤال عنها ، كالتقبيل

ونحوه ، كما أنها لا زالت تقول ، كان النبي ﷺ يقبلنا وهو صائم ، وفي رواية : وأيكم مثل رسول الله وهو أملك لأربه ، ولما قالت له ممن أنت ؟ وقال لها : من أهل المشرق من بلد يقال لها عثمان ، قال أبو سفيان : فذكرت له شيئاً لم أحفظه إلا أنى أظن أنها قالت : أظن أن النبي ذكره لى وأشياء هذا .

قال أبو إسحاق : المراد أنه سألها عن مقدمات الجماع التي يجوز السؤال عنها حرصاً منه على نقل السنة رضى الله عنه ، وجمعها كي يكون المسلم مقتدياً برسول الله ﷺ في كل أعماله دقيقها وجليلها ، لا السؤال عن نفس الجماع ، فإنه لا يجوز السؤال عنه ، ولو سأل عما لا يجوز لزجرته ولا هوادة في الدين ، وقد شهر عنها قولها لسائلها : اسألني عما كنت سائلاً عنه أملك ، أى ما جاز لك أن تسأل عنه أملك سلني عنه ، وقول الطاعنين في الإمام أبي الشعثاء رحمه الله لا يتلفت إليه ، فإن جابر بن زيد من أجلة علماء الشريعة ، ومن أكبر أئمة السنة ، إذ تقل عنهم جميعهم ورأوه أهلاً لأن يؤخذ عنه ، واتفقوا على عدالتها وضبطه ، وإنكار بعض المنتظمين لهذا الحديث مردود عليهم ، فليس كل السنة هم مصدرها أو لا تصح إلا منهم ، فكم ترك الأول لغيره ، وكم ورد ذلك النهر من الرجال منهم من عاتس ومنهم من مات بما معه ، وكم نسي الناقلون مما نقلوا ولم يحصر العلم في قوم مخصوصين ، أو في أفراد معينين ، فيكون ما عندهم من المعول ، فكم قال رسول الله ﷺ : رب حامل فقهه وليس بفقيهه ، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه وهكذا .

وكذلك حديث : ليصلك شيخ العثمانية فعلميه جميع الدين ، وفيه فيجدنى ميتاً في روايات ليس بمستغرب ، وفي آخره أنا أحبك يا أم المؤمنين

عملاً بقوله ﷺ : إذا حب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه ، فقالت رضى الله عنها : وأنا كذلك أحبك • قال : ثم لام نفسه ، فقال لها : أنا أحبك في الله ، كما قال رسول الله ﷺ للأنصارين إذ مرّوا حول المسجد ورأوا رسول الله ﷺ مدلياً رأسه لزوجته ترجله وهو معتكف في المسجد ، فلما رأياه على ملك الحال أسرعاً متئياً هيبة لرسول الله ﷺ واحتراماً له ، وزوجته ، فلما فرغ استدعاهما ، فلما حضرا قال لهما : إنها فلانة إحدى زوجاته ، فقالا يا رسول الله حتى عليك أنت ، فقال : إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم • أى خفت أن تُسيئاً ظناً بإغراء اللعين لكما فتقعا في الخطر ، فإن سوء الظن بالمسلم من أكبر الكبائر ، فكيف برسول الله ﷺ ، فإن سوء الظن كبيرة من كبائر الذنوب ، ولما قال لها جابر ما قال نهرته ، فقالت « أتظن أنا أحبك في غير الله يا أعور » ، وكان جابر أعور رحمه الله •

وقال رسول الله ﷺ : « بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتى » • قالوا ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : « الذين يعملون بكتاب الله حين يترك ، ويتمسكون بحبل الإسلام حين يقطع » • قال الإمام : « قال محمد بن أحمد الغرباء أهل عثمان ، من سره أن ينظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ فليُنظر إلى الصلحاء من أهل عثمان » • قلت : وإليهم يشير من قال :

سمت الملوك وهى الأنبياء على أخلاقهم فكان الفقر تيجان

وفى بعض الكتب العمانية : قال رسول الله ﷺ : « من تعذر عليه الرزق فعليه بعثمان » ، وعنه ﷺ : « من أعيته المكاسب فليأت عمان ،

بلاد الأمان لا ظلم فيها ولا جور ، وهذا من أعظم خصال أهلها » .
وعنه عليه الصلاة والسلام : يوشك في آخر الزمان أن ينتقل إليها الناس .
قلت لقد بدأ انتقال الناس إليها في زماننا هذا تصديقاً لهذا الحديث ،
الذي مازلنا ننتظر وقته ، ومتى هو كائن ، فإذا بالناس ينتقلون زرافات
ووحداناً إلى قطر وأبى ظبي ودبي ، والآن إلى النافذة الشرقية مسقط
ومطرح وأعمالهما ، فهامهم وهم في أول بدئهم قد ملئوا هذه البلاد المذكورة
من جميع الأمم الإسلامية والإفرنجية والمجوسية ، من مختلف البلاد
أوربا فآسيا . قال رسول الله ﷺ : « من أحب أن
يسكن عثمان فليسكن ، فإن فيها القنوع والرضا باليسير » ، وهذا
موجود في أهل عثمان رجالاً ونساء بالنسبة إلى أمم البلاد الأخرى .

وسمع عبد الله بن سلمة رجلاً يودع رجلاً فقال له : أين تريد ؟
فقال أريد عثمان ، قال : فالحق بها يا ابن أخي ، ، فإن بها أمان
الليل وأمان النهار ، والمعنى أن ليلاً آمن كأمان نهارها لا فرق في ذلك ،
ومنه يوشك أن ينتقل الناس إليها في آخر الزمان فراراً من جور السلطان
وأعوان الظلمة وحطاط النبط ، قال : وعن النبي ﷺ أنه قال : يوشك أن
تكفر أمتي ويلى عليهم أعوان الظلمة في البلدان ، أى في بقية البلدان
التي يتولاها الظلمة ، الذين يخلقون القوانين ، ويرفضون البراهين ،
ويتبعون الأهواء ، ويقصدون الأقوى ، وهذا هو الكفر بعينه ، فإن الكفر
منه الشرك ، ومنه كفر النعمة ، وفي ختام هذا الحديث يلتجئ الناس
إلى عثمان ، وأن عثمان في ذلك الزمان ، ثم وقع سقط في الرواية وآخره
نعم ، وإن عثمان عند اقتراب الساعة يعمر خرابها ، ويكثر سكانها ،
وتضيق بها أمتي حتى يباع مريض الشاة ومقعد الرجل بعشرة دنانير
وعشرين ديناراً ، فلا يقدر على ذلك ، أى لا يقدر على شراء ذلك إلا

خواص الناس ، وذلك لكثرة الأموال في أيدي أهلها ، ومنه وكذا فيها الأرزاق ، أى متسعة وميسورة ، قال : ويأمن الناس فيها بأوسع الأمان ، ينضج البحر بناحياتهم تأتيهم أرزاقهم من بحرهم ، وفي رواية من بحرهم ، آمن ليلهم ، طيب نهارهم ، أ ه .

غنى هذه الأحاديث المتجلى الآن أول مدلول لها ما يقضى بفضل عثمان وفضل أهلها ، ولا يخفى أن الأمان على النفس والأموال من أعظم النعم في هذه الحياة الدنيا ، وأما الناس مع تيسير الأرزاق وتسهيل المؤونة أعظم فضل من الله على عباده ، وهذا موجود في عثمان . وهذه الأحاديث أذهبت وضعها في الصحيح أقلام الرواة والنساج ، فإن المآثر العثمانية أضاعتها أيدي الإهمال القاضية بتلاشي الأعمال ، لكن تداولها يشهد به الواقع والحمد لله .

وقد ذكرت هذه الأحاديث في كتاب من أهل نزوى لأحد رجال الحق في عثمان ، وكنا نستغربها لما انطوت عليه من المعاني البعيدة ، فإذا بالأيام تعرب لنا عن معانيها ، وذكرها مرتب جوابات الإمام الخليلي رحمه الله ، وهو الشيخ سالم بن حمد بن سلمان الحارثي لنكتة لا حظها ، ولا ريب فإن أهل عثمان شاركوا في كل فضل كما سوف ترى في هذا الكتاب من أعمالهم السامية ، فدعا رسول الله ﷺ لأهل عثمان حين استدعاه الصحابي الوحيد مازن بن غصوبة السعدي . ودعا لهم أبو بكر رضي الله عنه .

قال الإمام السالم رحمه الله : وظهرت إجابة رسول الله ﷺ ودعاء خليفته لأهل عثمان ، وصدق الله توسعها فيهم فهم أكثر الناس هدى

وصواباً منهم الأئمة العادلون والعلماء الراشدون ، لم يتسلط عليهم عدو من غيرهم ، ولم تخرج بلادهم من أيديهم ، وإن غلبوا على دولتهم في بعض الأحيان لما أراد الله تمحيص المؤمنين وتمحيق الكافرين فما زالت دعوتهم بالحق ظاهرة ، وسيرتهم بالعدل شاهرة ، ودولتهم بالفضل زاهرة ، منهم العلماء النجباء ، والعقلاء الفضلاء ، والخطباء البلغاء . . .

ولقد ساركوا في صحابه الرسول ﷺ بأربعة رجال عرف مقامهم وحمد مرامهم .

الأول : الشيخ مازن بن غضوبة السعدي الطائي السمائي ، ولا يخفى على أحد من رجال الإسلام .

والثاني : كعب بن برشة الطاحي ويعرف بالعودي الذي أرسله زعماء الفرس إلى النبي ﷺ لاستطلاع خبره ، وكشف صحة نبوته ، وأتى النبي ﷺ وعرف نبوته وصدق برسالته ، إذ كان ممن قرأ الكتب وعلم عن نبوة الرسول الأعظم ، فعاد إلى القوم بصحة النبوة المحمدية ، وذلك لما وصلهم قالوا : هذا أمر نريد نشافه فيه الملك ، إذ كانوا يعلمون صدق كعب المذكور ، فكان داعية إسلامية في عثمان .

والثالث صحرار بن العباس العبدى من عبد القيس من أهل عمان ، فكان من أجلة العلماء الأتقياء الأوفياء المرضيين .

والرابع : أبو شداد العثماني المعروف عند الغير بالذماري ، كان يأتي ذماراً فقالوا فيه : العثماني الذماري ، ذكره صاحب الاستيعاب وغيره ممن كتبوا عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وإن أنكر فضل أهل

عثمان من أنكره من أعدائهم فهذه حقائق واضحة في ألق التاريخ وضوح الشمس رابعة النهار ، لا ينكرها إلا أعمى عن الحقائق ، وأى فضل أعظم ممن أثنى عليه رسول الله ﷺ ذلك الثناء العظيم ، ثم أثنى عليهم أبو بكر رضى الله عنه ذلك الثناء الجسيم ، ثم عمر بن الخطاب رحمه الله ورضى عنه ، وأثنت عليهم الأنصار في ملا من المهاجرين والأنصار ، ولذلك لم يزالوا على الحق رغم الدهر الذي من طبعة القلب ، فأهل عثمان أهل خير لم يتزعزعوا عن دينهم منذ أسلموا ، ولا نقضوا عهداً ولا ذمة ولا بدلوا من الأوامر الشرعية شيئاً أبداً ، بل هم على الحق ثابتون ، وعلى المذهب الصحيح عاضون بالنواجذ تبعاً لوصيته عليه السلام .

قال عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ ، وهو يرد على من ينكر فضل أهل عثمان قال : لربما سمعت من لا علم له يقول : ومن أين لأهل عثمان البيان ؟ فقال الجاحظ المذكور ، وهو يرد على هذا القائل كما قرر عليه : أنه لا علم له ، وهل يعدون لبلدة واحدة من الخطباء والبلغاء ما يعدون لأهل ، أى لا يوجد لأهل بلد واحد كعثمان ما يعدون لأهل عثمان ، وهذا أكبر شهادة من هذا العالم الوحيد في قومه بعلاميته الشهيرة ، ثم أخذ الجاحظ يذكر فضائل أهل عثمان فقال : منهم — أى أهل عثمان — مصقلة بن الرقية أخطب الناس قائماً وقاعداً ومفرداً ومنافساً ومجيباً ومبتدئاً ، أى في كل هذه الأحوال ونحوها أخطب الناس ، أى أوسعهم مقالاً ، وأسرعهم بياناً ، وأقواهم حجة ، قال : وابنـه من بعده كرب ابن مصقلة . قال : ولهما خطبتا العجوز في الجاهلية ، والعذراء في الاسلام ، أى هاتان الخطبتان شاعتا عند العرب الأولى في الجاهلية ، فتناقلتها العرب ، والثانية في الاسلام ، وقد جمعتا من العلم والأدب ما خضعت له أعناق فطاحل العرب ، ولولا أن ذكرهما يطول بنا لجئنا

بهما ولكن لنا أغراض أخرى ، تدعونا الى السير في أعمالنا قدماً ،
قال الجاحظ . قال أبو عبيدة : « ما سمعنا مثلها في الاسلام إلا خطبة
فيس ابن خارجة بن سنان في حمالة داحس ، فقد ضرب به المثل » . قال
وذلك أن قيساً أتى الجاهلين وهما خارجة بن شيبان والحصارث بن
عوف ، فضرب مؤخر راحلة ابنه بالسيف ، وقال : مالي وهذه الحمالة
أيتها العيسميان ، فقئت عين بعير عن ألف بعير ، قالوا : وما عندك ،
قال : رضى كل ساخط وقرى كل نازل ، قال : وخطب من لدن تطلع الشمس
الى أن تغرب ، أمر فيها بالصلة ونهى فيها عن القطيعة ، وخوف
الشمس الى أن تغرب ، أمر فيها بالصلة ونهى فيها عن القطيعة ،
وخوف درك العواقب وما تجيء به النوائب ، قال فزعموا أنه خطب من
غدوة الى الليل ، فقال قائلهم : وهو يذكر غيره فلو قال ، حتى تغرب
الشمس قائماً لكان كقيس في ديار بنى مرة ، قال : وهو خطيب قيس في
الجاهلية ، وخطيبهم في الاسلام سحيان بن وائل الجاهلي .

قال الجاحظ : ومن خطباء عثمان وعلمائها صحاح العبدى ، أبو
إسحاق هو ابن العباس العبدى ، قلت : هو الذى سبق عدمه في الصحابة ،
فهو الصحابى الثالث من عثمان ، قال أبو إسحاق قيل أدرك النبى ﷺ
وروى عنه ثلاثة أحاديث ، قال وهو من أئمتنا وشيخ أى عبدة مسلم بن
أبى كريمة ، وهو أول من ألف في الأدب وله تأليف في أمثال العرب ،
ذكره ابن النديم في الفهرست ، قال : « وكان من أخص أصحاب الامام
أبى الشعثاء جابر بن زيد رحمهما الله » ، قال : ومن خطبائهم صعصعة بن
صوحان بن زيد وأخوه ، خطيبان مصقعان . قلت : لقد شهر
صعصعة بن صوحان بين أعلام الأدب وأبطال العرب ، وما زالت خطبه
مأثورة متداولة ، يتناقلها العلماء الأعلام وتزدان بها المؤلفات .

قال ومن خطبائهم مرة بن البليد الأزدي ، لم يكن في الأرض أجود
هذه ارتجالاً وبديهة ، ولا أعجب فكراً وتحبيراً منه ، قال : وكان رسول
المهلب الى الحجاج ، أى وأن الرسول عين المرسل ، قال : وله عنده كلام
محفوظ قال : ومنهم عرفة بن هزيمة البارقي أحد الرجال القسادة في
الزعامة الاسلامية ، وله الشهرة في أيام أبى بكر رضى الله عنه خصوصاً
في حروب أهل الردة ، قال : ومنهم بشر بن المغيرة بن أبى صفرة ، لم يكن
في أرض عثمان أنطق منه : قلت والمرء بأصغريه ، كما قال رسول
الله ﷺ ، قال : وكان خطيب المصريحى بن يعمر ، قال : وكان منشأة
ومولده الى أن بلغ الأهوار ، وأصله من عثمان ، قال وكذلك الجحاف بن
حكيم وغيرهما .

قال أى الجاحظ : فالذى ينكر ألا يكون بعثمان خطيب ليس يقول
ذلك بعلم أم كلام الجاحظ .

وقال الأصمعى عن أبى عمرو بن الغلاء قال : رأيت أعرابياً بمكة
فاستفصحته ، أى أعجبتنى فصاحته ، فقلت : من الرجل ؟ فقال من
الأرد ، قلت : من أيهم ؟ قال : من بنى الحدان بن شمس ، فقلت : من
أى بلاد ؟ فقال : من عثمان ، قلت : صف لى بلادك ، فقال : سيف أفيج ،
وفضاء صحصح ، وجبل صلدح ، ورمل أصيح ، فقلت : أخبرنى عن مالك ،
قال : النخل ، قلت : وأين أنت عن الإبل ، أى ولها الشهرة إذ ذاك عند
العرب ، فقال : كلا إن النخل أفضل ، أما علمت أن النخل حملها غذاء ،
وسعفها صياء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وجذعها غماء ، وفروها
إناء ، قلت : وأنى لك هذه الفصاحة ؟ أى من أين لك هذه الفصاحة
البليغة التى تجابهنى بها في موقفى هذا بداهة ؟ قال : إنا بقطر

لا نسمع فيه ناجحة التيار ، أى نحن بعيدون عن ساحل البحر الذى لا يزال الأعاجم والأنبساط يفتلطنون بأمله ، بل نحن بعيدون منهم حيث منابت الشيخ والقيصوم من عثمان أى فى داخلها .

وفى خبر الحجاج بن يوسف الثقفى ، قال : خرج الى القباوسان وإذا هو بأعرابى فى زرع له ، فقال له الحجاج : ممن أنت ؟ قال من أهل عثمان قال : فمن أى القبائل أنت ؟ قال : من الأزدي . قال : فكيف علمك بالزرع ؟ قال : إني لأعلم منه علماً . قال أى الحجاج : أى شئ خيره ؟ قال : ما غلظت قصبته واعتصم نبتة ، وعظمت جثته ، قال : فأى العنب خيره ؟ قال : ما غلظ عوده وعظم عنقوده قال : فما خير التمر ؟ قال : ما غلظ لثاه ودق نواه ورق شحاه ، فأدهشه بما أبداه من فصاحة علمية .

قال الامام : ومن أهل عثمان كعب بن سور قاضى عمر بن الخطاب على البصرة ، قال : وهو أول من قدم على البصرة بعد تمصيرها . قلت : ولتوليته القضاء بها خبر بديع ذكره المؤرخون ، وهو من روائع الذكاء ، وبدائع الإدراكات الذهنية التى يختص الله بها من شاء من عباده ، والله يزيد فى الخلق ما يشاء ، وإن نذكر هذه القضايا ، وإن كان لها تعلق بالتاريخ العربى الاسلامى العام ، فتاريخنا هذا خاص ، وإنما نشير الى الحوادث كهذه من بعيد ، ونكل على ذلك الى غيرنا ، فان أهل العلم قد ذكروا كل ما يلزم وفوق ما يلزم .

ومن أهل عثمان أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي رحمه الله تعالى ، وقد تحدثنا عنه فى « العرى الوثيقة » بما يشفى ويكفى ، وكان

غاية في العلم والورع ، مثالا للنزاهة والتقوى ، ومرجعاً للمشاكل ومنتهى الطالب للفقهاء الاسلامي بجميع معانيه في أيامه ، أجمعت الأمة على ثقته وعدالته وضبطه وصيانيته ، وعاش عمراً طويلاً قضاه في تحصيل العلم وحفظه وجمعه ونشره في الأمة ، فطلبة العلم عهد التابعين عيال عليه ، فأين رجال العلم عند جابر تلميذ ابن عباس رضى الله عنهما .

قال الامام : وشهرته عند الموافق والمخالف كلفية عن إطالة ذكره ، وكان مقامه في البصرة ومات بها ، وهو من أهل فرق من داخلية عثمان ، خرج لطلب العلم فكان الغاية القصوى فيه والحجة العليا على مخالفيه ، وقد بسطنا طرفاً هاماً من ترجمته في « العري الوثيقة » .

ومن أهل عثمان الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي صاحب المسند الصحيح ، انتقل إلى البصرة ونسب إليها ، وعاش فيها عهداً إذ هي إذ ذاك حضيرة علم ودوحة فقه ومعدن فضل ، ثم رجع إلى عثمان في آخر عمره ، فعاش قدوة الأمة وعمدة أهل المذهب ، قال الإمام وكان يضرب به المثل في العلم ، كذلك وضعنا ترجمته في العري الوثيقة ، ومن أهل عثمان أبو حمزة الشاري المختار بن عوف السليمي من أهالي مجز من أعمال صُحار ، صاحب الإمام عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطلب الحق في حضرموت ، وكان المختار عنده السيف البتار الضيغم الزآر الذي ذكرنا عنه في (الإسعاف) ، ما ساء بعض أهل الخلاف ، وغاز أهل الاعتساف ، وتحدث عنه وعن أصحابه صاحب الأغاني ، وذكر طرفاً من تاريخهم الزاهر ، وذكرهم العاطر ، فكانوا جمال الكتب وزينة الدفاتر .

قال الإمام : وهو خطيب مصقع . قلت : خطب أبي حمزة الشاري

لا تخفى على أحد من أهل العلم ، فلا نذكرها ؛ بل رواها أجلة الله العلماء كمالك ابن أنس ، وقال فيها مقالته المشهورة ، وهى : خطبنا أبو حمزة خطبة حيرت المبصر وردت المرتاب ، وهذه أعظم شهادة من ذلك العلم الجليل بحق أبى حمزة ، وأنه على الحق حيث ردت المرتاب عن ارتيابه ، وحيرت المبصر الذى يرى أنه البصير فى دينه ، لما سمع خطبة أبى حمزة رأى نفسه فى حيرة لا مزيد عليها ، حيث كان يعتقد الحق عند ، وإذا هو خلو منه والله المستعان ، إن الهدى يختص به من عباد الله من وفقه الله .

أرتنى هدى زبيد وفى العلم قلة وضلة عمرو والطوم بحور

قال الإمام السالمى رحمه الله : يعنى أن البصير فى دينه المخالف لأبى حمزة صار بعد سماع خطبته مختاراً غير مبصر لما سمع فيها من الحجج الباهرة ، والبراهين القاهرة ، الناقصة لما هو عليه من سوء الاعتقاد ، وإن المرتاب فى مذهبه رجع بسماع خطبة أبى حمزة إلى مذهب الحق وترك ما كان عليه من الريب ، قال : وكان يشير بالمبصر إلى نفسه ، فهذا من قوله يدل على أنه صار مختاراً فى مذهبه ، حيث إنه لم يستطع جواباً لحجج أبى حمزة ؛ ولا دفعاً للحق الذى نطق به ، والحق إذا قام صرح معانده ، قال : وليته ترك الحيرة وأخذ بالبصيرة ، قال : ومجمل ذكر خطبه فى سيرة طالب الحق من أهل اليمن ، فلا نطيل بذكرها . قلت : لما كان الرجل عثمانياً ، ونحن نؤرخ عن عثمان ، كان من اللائق أن نذكر فضائل أهل عثمان ومكارمهم فى تاريخ عثمان ، لكن أرجأنا ذلك آملين أن نجمع خطب أهل المذهب فى كتاب مستقل ، فنذكر فيه هذه الخطب وأضرابها من خطب الأعياد والجمعات والاستسقاء ، وأن نعلق عليها شروحاً تبين معانيها وتشهد بحقها ، وتعرب عن مقتضى جملها ومفرداتها مع خطب

عرفة ، وما يناسب ذلك فلهذا أخرنا عن ذكرها هنا ، فإن وفق الله لذلك فهو المسئول أن يعين عليه ، وإن حالت الأقدار بيننا وبين أملنا فنسأل الله أجر ما قصدنا وهو أكرم الأكرمين .

ومن أهل عثمان الخليل بن أحمد الفراهيدى ، وكان من أهل ودام من الباطنة ، خرج إلى البصرة وأقام بها حين أعرق أهل عثمان بها منذ عهد أبى بكر رضى الله عنه ، إذ انحاز إليها أكثر الركب المصاحب لعبد بن الجندى وهى إذ ذاك تخطط من جديد فنسب إليها حتى لا يعرف إلا بالبصرى ، وهو علامة شهر بالعلم بين أعلام الأمم ، وفى مقدمتهم فقهاً وأدباً وتاريخاً وشعراً ، وله بدائع علمية لم تكن لغيره من رجال العلم ، ولا عرفها أحد قبله ، فهو صاحب العروض الذى لم يكن له سبق وجود فى عالم العلم ، وقد سماه باسم المكان الذى فتح له به فيه وهو العروض ، فرتب أبجر الشعر ستة عشر بحراً . ورتب قوافيها على غير مثال سبق ، فكأنه من آيات أفكاره الوقادة ، وقد ذكره ابن خلكان وغيره ، وله كتاب العين الذى هو إمام الكتب فى اللغة ، وشهرته تغنى عن ذكره وما سبقه إلى تأليفه أحد ، أى لم ينسج أحد قبله على منهاجه البديع ، وإليه يتحاكم أهل الأدب ، فإنه إمام فيه وذلك فيما يختلفون فيه فيرضون بحكمه ولا ينتظرون بعده غيره فيسلمون لحكمه ، وهو صاحب النحو ، وإليه ينسب ، وهو أول من بوبه وأوضحه ورتبه وشرحه وهذبه ، وهو تسيخ سيبويه فى النحو وسيبويه أنحى أهل الأرض فى أيامه ، وكان الخليل المذكور أخذ النحو عن أبى الأسود الدؤلى ، هذا الفن وهو أيضاً صاحب الشكل والنقط فى الألفاظ العربية ، ولم تكن قبله مشكولة بل أشكلت فأزال الخليل إشكالها ومشت الأمة على عمله هذا منذ ذلك العهد تبعاً له ، ولع فضيلة السبق فيه والتقدم .

ومن أهل عُمان ابن دُرَيْد المعروف بأدبه وعلمه وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي الحسن بن دريد الأزدي ، صاحب كتاب الجمهرة المشهور بين أهل الأدب لغة وغيرها ، ولو لم يكن له غيره لكفى ، بل له مصنفات عدة ذكرها مترجموه ، وهو الخطيب المشهور والأديب المذكور والشاعر المعروف ، والفصيح الذي يقف عند كلامه البلغاء ، ويستعير من بلاغته الفصحاء ، ويعجز عن مجاراته في الأدب أجلة الأدباء ، ويستعين بعباراته اللغوية الخطباء ، فهو خطيب في شعره مصقع في نثره ، وقدوة في خطبه وأدبه ، وحكيم في وضعه وأديب في شعره ، ومجيد في نظمه ونثره ، لا زيادة عليه في فنون الأدب والعلم ، ولو لم يكن له من الشعر إلا مقصورته لكفت دليلاً على بلاغته وبرهانه على حكمته ، وقد تداولها الشراح وتسابقوا إلى التعليق عليها ، لما حوته من المعاني الأدبية وما انطوت عليه من الحكم الشعرية ، فهي جامعة كلية في الأدب العربي ، وقد ذكره المؤرخون في كتبهم قديماً وحديثاً ، وأشاروا إليه لمن سعى إلى الأدب سعياً حثيثاً ، وإن العلم ليفتخر بمثله •

ومن أهل عُمان أبو العباس المبرد ، صاحب كتاب الكامل المشهور الذي هو أحد كتب الأدب ، وأيام العرب ، وقد عده كثير من أهل العلم في طليعة الوعاة العرب ، وله مصنفات ، والكامل أشهرها ، وشيوعه عندهم غير منكور لا سيما في تحليل المعاني الشعرية ، وذكر محتويات كلماتهم فله يد طائلة ولهجة واسعة ومقالات جامعة ، ولا يخفى أن أهل عُمان في الركب العربي من المقدمين في الأعمال الإسلامية بجميع معانيها ، فلاهل عُمان في سياسات الممالك السهم الأكبر والحظ الأوفر ، وناهيك بسياسة المهلب ابن أبي صفرة العُماني الأزدي ، فقد وصفه أهل التاريخ بأوصاف سياسية يختار في وضعها كثير من فطاحل الرجال ، وله في

الحزم والعزم على مرواغه الأبطال ، بحبت بعييهم أمره ، وبذلك استنفذ البصرة من أيدي الأزارقة وكادت الدولة الإسلامية تؤيس من إرجاعها إلى دائرتها ، فجاءها هذا البطل الأزدي العثماني ، فأخرجها من أشداق الأزارقة وأراهم منه صولة لا ترد ونكايات لا تعد ، ودهاء لا تصل إليه عقولهم ، فأعاروها اسم بصرة المهلب ، وقد أتسبح العوتبي الفكر العربي بأعمال المهلب حتى هم أن يتولى مهام الدولة إلى حد بعيد ، وهو هو في سيره وسراه ، وكان قيامه على الأزارقة في حرب البصرة بأبطال عثمان من قومه وآله ، وهم العمدة معه في ذلك ، وإن كان معه من غيرهم ، ومن قرأ التاريخ العربي الإسلامي أدرك ما قلناه واضحاً ، فلم تزل المعارك دائرة بينه والأزارقة عهداً طويلاً حتى ردهم الله بسببه خاسرين ، حليفهم الفشل ، وإذا استقرأ الحر التاريخ العربي ، رأى فيه لعثمان نقاطاً هامة .

قال الإمام : ولهم في الشجاعة المنزلة العليا والسهم الأوفر وذلك فيهم غير مجهول ولا مستنكر ، قال : فمنهم بلج بن عقبة افرايدي الذي كان يعد عن ألف فارس ، وهو شاب في سن العشرين من عمره ، قال وخبره في سيرة الإمام طالب الحق الكندي ، قلت : وكم مثله من الأبطال العثمانيين ذكر أفراداً منهم في تاريخ الإمام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي ، من أرادهم فليرجع إليهم منه يجد رجالاً تفوق الرجال وأبطالاً لها في الشجاعة أعلى مثال . قال الإمام : ولهم في السياسات التي يحار فيها الواصفون مقام ، ونفوة بسياسة المهلب ، ولآل المهلب تاريخ ضخم يدل على الرجال المنظورين ، والأبطال المشهورين ، وهم من منابت عثمان .

ومن هذا الطراز في كل دولة من دول عثمان ، والله يوم يصبح

البطل العُثماني فيه مرفوع الأعلام في أفق التاريخ ، وغير بعيد ذلك إن شاء الله . فإن الزمان قد هم أن يستدير كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، فيعرف الحق لأهله ، ويرد الباطل على ، ذويه ، وفي عثمان من أهل الفضل في المجالات الأخرى من يعد في طليعة ركب الرجال الميامين ، ففي عثمان علماء أجلاء لا يكاد يمكن أن يقاس بهم في أدوار الحياة ، ذكرنا منهم طرفاً في « أصدق المناهج » ونموذجاً في العنوان ، فإذا أردنا ذكرهم هنا يضيق بنا المقام ، فإن محبوب بن الرحيل ، وولده محمد بن محبوب ، وولده بشير بن محمد بن محبوب ، وابن ابنه الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب ، ومحير بن محمد هؤلاء أهل بيت واحد في صحار أشبه بهالة البدر في السماء ، كل واحد منهم أفضل من الثاني ، كأنما يشير إليهم القائل حيث يقول :

من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم

مثل النجوم التي يسرى بها السارى

فهم في الفضل النمط الأوساط يرجع إليه العالى ، ويلتحق به التالى وهم في العلم البحور التي تتدفق بالكلى ، وهم بين الرجال في ميامين الشرف الأظم العوالى ، هؤلاء نقطة من غيث ، وبلّة من البحر ، وكم مثلهم في كتدة وفي خروص وفي بقايا المسلمين ، بعثمان إذ أردنا ذكرهم على عادة أهل التراجم ، لم تقدر ، بل إذا أردنا سرد أسمائهم وذكر قبائلهم ومواقعهم في عثمان لم تساعدنا الأقلام ، وحسبك رجال الدولة اليعربية الذين خاضوا الأبحر فاتحين ، وصارعوا الأمم منتصرين ، ونظموا الجيوش محاربين ؛ حتى أصبح العالم يحسب لهم ألف حساب ، ولا بد أن يعثود لعثمان مجدها السالف وشرفها العريق ، والناس معادن ، وأهل عثمان أمامهم ولله في خلقه أسرار ، والأحاديث تؤيد ما قلنا ، وعن قريب تبلغ عثمان ذروة الشرف ويشار إليها بالبنان بين الممالك . وإن غداً لناظره قريب .

أبو بكر الصديق وعثمان

لما توفي النبي ﷺ ، وقام بالأمر الخليفة الصديق أبو بكر رحمه الله ورضي عنه ، خرج عمرو بن العاص راجعاً الى المدينة للنظر في أحوال المسلمين ، وكيف يدور مدارها ومعه سبعون راكباً من خيار أهل عثمان وفضلائهم ، ولما وصلوا الى أبي بكر رضى الله عنه وسلموا اليه الأمر ، وتبرعوا اليه من أمر البلاد عثمان ووضعوها في يده ، وتخلوا من سلطة الأمر والنهي ، فشكرهم أبو بكر رحمه الله ، وشكرهم المسلمون ، وأثنى عليهم أبو بكر رضى الله عنه ثناء وافراً ، وأحبهم وأدنى مجلسهم وبعد أن تعرف الى القوم والاطمئنان بهم جهزهم أبو بكر رضى الله عنه لحرب آل حفنة ، وهم غساسنة الشام ، فقاموا بما وجهه الامام إليهم ، وحمله على عواتقهم وبعد رجوعهم من الشام ، ولاهم أبو بكر أمر بلادهم وألقى إليهم ما عنده من الخطاب ، وأقرهم على أعمالهم ووضع لهم النظام اللازم ، ولما ارتدت العرب وكان أبو بكر السد الذي أوقف مجارى الاتداد ، وقضى على النزعات الشيطانية بنور الإيمان ، ولم يغمد سيوف الحق عن أعناق أهل العناد ، وإذ ذاك أرسل الجبابة لزكاة أهل عثمان ، ووقع سوء التفاهم بين الجبابة وأهل دبا من شمال عثمان ، وآل الأمر الى التداعى بدعوى الجاهلية ، فوقع في أنفس المصدقين أن القوم مرتدون فتأخروا ليمبئوا قرااتهم للهجوم القساضى على القوم قياماً بواجب الدين ، وفي الحقيقة أن ذلك واجبه أن لو كان الأمر كما ظنوا ، إلا أن الظن لا يغنى عن الحق شيئاً ، وما كان القوم مرتدين ، ولكن سوء التفاهم مهكك لظن الارتداد من رجال الاسلام ، فصال عليهم الجبابة صولة الأسود الضارية ، فما كان إلا عشية

أوضحاها ، وإذا بالقوم في وثاق الأسر بقهر أمير الصدقة ، فقبض عليهم والقوم متبرمون من صنع الأمير ، ثابتون على دينهم ، ولو كانوا مرتدين لحاج ردهم الى الدائرة الاسلامية الى جيوش جرارة تنتج دقا وحطيماً ، فقادها الى أبى بكر رضى الله عنه أسارى على أنهم هم وأموالهم غنيمة للمسلمين ، ولما شاع خبرهم في المدينة وجرى الكلام فيهم بين الصحابة رضى الله عنهم ، أنكر ذلك خيار الصحابة على أمير الصدقة ومن معه ، وردوا عليهم عملهم ، هذا وقد مرّ عليك ما جاء فيهم عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحمه الله تعالى .

وفي التاريخ العثماني أن أبا بكر رحمه الله وجهه حذيفة الغلفاني أو القلعاني وهو ابن محصن ، أو ابن الحصين كما في الرواية الأخرى . وكان من بارق حليفاً للأنصار ، وكان له بصر أى حكمة في الأمر مواردها ومصادرها ، فوجهه أبو بكر رحمه الله الى عثمان أميراً أى على الصدقة ، فصدقهم ، فلما صار في آل الحارث بن مالك بن فهم ، أى وهم المعروفون في أهل عثمان بالشحوح الآن إذ علقوا عليهم صفة الشح بالصدقة ، فقليل لهم الشحوش وشاع فيهم ، ولما صار المصدق إليهم تنساول بعض أصحابه امرأة من القوم ، وكان عليها فريضة شاة مسنة ، فأعطتهم عتوداً أو عناقاً مكان الشاة المسنة — فأبوا أن يقبلوها فأخذوا ما أرادوا أى مما وجب لهم ، فلما كان الأمر كذلك ، وكانت امرأة لا عقل لها والشح بالمال أهلك من كان قبلنا ، وإنه موجود في الرجال فكيف به في النساء ، فلما رأت ما فعل الجبابة صاحبت على قومها بما كانوا في الجاهلية يتداعون به ، وهو قولهم يا آل فلان ، فلما سمع حذيفة تلك الدعوة قال : دعوة جاهلية ، فالوقم مرتدون فعند ذلك أغار عليهم وقبض على رجالهم فساقهم الى المدينة الى آخر ما جاء فيهم .

وكان سبيعة بن عراك والمعلا زعيمين فيهم فلحقا بالقوم حتى تلاحقوا بالمدينة ، فشكا الزعيمان الى الصحابة فعل الأمير المصدق ، فلما تحقق عمر وتبين أصل القضية لم ير المسلمون إلا رد القوم على بلادهم ، وجبر خواطرهم بالمال ، فحملوا عنهم مصاريقهم وزوجهم من بيت مال المسلمين ما خفف الوطأة عليهم وهوّن المصيبة ، ورجع القوم الى بلادهم ، وبذلك طنطن المرجفون في أهل عثمان ، وزعموا أنهم مرتدون زعماء لا أصل له ، وشادى بذلك ابن الأثير في كامله أخذاً للقضايا من غير مصدرها ، وعدم توثق في النقل فقرروا ارتداد أهل عثمان ، وكيف يرتد أهل عثمان ، وقد أسلموا طوعاً وأذعنوا للحق راغبين ، وقد سمعت ما قاله أبو بكر رضى الله عنه فيهم حيث قال : « معاشر أهل عثمان إنكم أسلمتم طوعاً ولم يظاً رسول الله ﷺ ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشتموه ما جشمه غيركم ، أى لم تكلفوه المشاق كما كلفه غيركم من العرب ، فان أهل مكة أهله وأقاربه وعشيرته آذوه وطاردوه حتى آواه الله اليه برجال من الأنصار الأمجاد الذين وفقهم الله ، فواسوه بالحال والمال ، ووازره . في الحل والترحال ، قال أبو بكر رضى الله عنه : « ولم ترموا بفرقة ولا قطيعة رحم ولا تشقت شمل » ، ثم دعا لهم أبو بكر رضى الله عنه دعاء شاملاً ، وشكرهم المسلمون شكراً عظيماً خصوصاً من أبى بكر المذكور ، ثم حكى عنهم الحال الذى سره منهم قائلاً : « ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتهم إذ دعاكم على بعد داركم وكثرة عددكم ، وأطعتموه إذ أمركم ، فأى فضل أبر من فضلكم وأى فعل أشرف من فعلكم ، كفاكم قول رسول الله ﷺ شرفاً الى يوم المعاد » . قلت : يشير أبو بكر رحمه الله الى قوله ﷺ للصحابة الذى أرسله الرسول عليه السلام ، الى قوم

فسبّون وضربوه ، فقال ﷺ ، « لو أهل عثمان لنتيت ما سبوك وضربوك » ،
أو كما قال ﷺ .

ومن دعاء أبي بكر رحمه الله لأهل عثمان قوله : فينبت الله ألسنتكم
ويهدى قلوبكم في حديث يذكره المؤرخون ، فهذه هي عثمان تحت راية
أبي بكر رحمه الله ، وتلك تنويهاة رضى الله عنه فيهم ، فأين دعوى
الارتداد ، فأهل عثمان من ذلك العهد الى الآن لم يزالوا ثابتين على
إسلامهم وعاضين على سيرة أهل الحق فيهم بالنواجذ ، وإن كانوا قد
غشتهم الآن المذاهب الأخرى الطارئة على عثمان ، فلن يتزعزع أهل الحق
عن أصولهم ، ولن ينقلبوا على أعقابهم ، وإن تكدر صفو دهرهم ،
فإن الذهب الأبريز وإن أخنى عليه الدهر وطال عهده بالتراب ، فهو
هو وأهل عثمان كذلك ، (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس
فيمكث في الأرض) وأهل عثمان هم الذين يمكثون في الأرض لمنافع الناس
إن شاء الله .

ولقد قال الامام سلطان بن سيف اليعربى رحمه الله : لئن أعاشنى
الله ، أى أطال في حياتى لأترك المسافر يذهب من عثمان الى مكة بغير
زاد ، هذا وما زال أهل عثمان يتقدمون الأمم بأخلاقهم الحميدة ومكارمهم
الجميلة ، وعفافهم في الدين بالنسبة الى غيرهم ، ولا زالت غيرتهم الدينية
باقية ، وهانحن في هذا الزمان العصيب ، يقول لنا الوافدون من
سائر أنحاء العالم : إن بلادكم هذه بالنسبة الى الأمم الأخرى عبارة
عن مسجد ، لقد قال لنا بهذا كثيرون ممن سافروا ورأوا ما عليه
باقى الأمم ، فالحمد لله .

وإذا رجعنا الى أبي بكر رحمه الله والعهد بالكفر جديد ، فذاك
حال أهل عثمان معه ، وتلك كلماته فيهم ، وهذا حال أبي بكر رحمه

الله معهم والله يؤتى فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم • فأهل عثمان لا ينال أحد من باقى الأمم منالهم ، فهم أكرم من الريح المرسلة على قلة ما فى أيديهم ، إذ يسير الراكب فى نواحي عثمان لا يحتاج الى زاد إلا إذا شاء بنفسه وإنمسا أهل عثمان يتزاحمون على الضيف تراحم العطاش الى الورد ، كان الضيف كبيراً أو صغيراً ، وسواء كان معروفاً أو منكوراً ، فهل يوجد هذا فى سائر الأمم العالمية الآن •

وتوفى ابو بكر رحمه الله وهو راض عن أهل عثمان ، وهم راضون عنه ، وكانت وفاته رحمه الله ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ١٣ ثلاث عشرة للهجرة ، وله رضى الله عنه ثلاث وستون سنة ، وهى سن رسول الله ﷺ ، فكانت المصيبة الثانية بالمسلمين ، بعد رسول الله ﷺ بأبى بكر خير الأمة كلها بعد نبيها •

عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعثمان

لقد تقدم عن الامام الأول لدولة المسلمين الصديق الأكبر أبو بكر رحمه الله ورضى عنه وأعماله في عثمان ، وأنه أقر جيفر وعبدأ على ملك عثمان ، جعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها اليه ، وجاء في أسد الغابة لابن الأثير صاحب الكامل : أن أبا بكر استعمل عكرمة بن أبي جهل القرشي على عثمان ، ثم عزله وسيره الى اليمن ، واستعمل على عثمان حذيفة القلعاني ، ولما تولى الخلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عزله عن عثمان ، وولاه اليمامة وولى على عثمان والبحرين عثمان بن أبي العاص الثقفي في سنة خمس عشرة للهجرة الى آخر ما جاء من أمره ، وحكى العوتبي في (الأنساب) تولية الثقفي المذكور ، وتولية أخيه الحكم على البحرين ، ثم أمر عليه رحمه الله أن يقطع البحر الى ابن كسرى ، أى الذى قتل أباه بفارس ، وخرج عثمان المذكور بأهل عثمان الأبطال وهم ثلاثة آلاف فارس ، وقيل به ألفان وستمائة من الأزد ، ورأسب وعبد القيس وناجية ، وكان زعماء الجند العثماني الغازي هم صبرة بن سليمان الحداني في أزد شنوءة ، ويزيد بن جعفر الجهضمي رأس آل مالك بن فهم ، وكان أبو صفرة الذى لم يرغب الأمير في مشاورته إذ أتاه أمر عمر بن الخطاب بعد وقعة جلولا رأس بنى عمران بن عمرو بن عامر ، ومعهم جماعة فخرجوا غزاة لفارس الى آخر ما كان منهم في مسيرهم وتغلغلهم في النواحي الفارسية حتى نفذوا الى أرض توج في شمال العراق ، فحاضوا قتالا غليظا ، وصارعوا موجات ضخمة ، وبذلك طن لهم في الأفق العربى صوت داو حتى تشوفت الأعين إليهم ، ومثلت العثمانيين مثلاً رائعاً حيث خرجوا بالأمس وفي عهد أبي بكر

رضى الله عنه لمقاطعة آل جفنة بالشام ، واليوم يخوضون أرجاء فارس كذلك فاتحين ، وبذلك رمقتهم الأعين بالإكبار ولحظتهم بالوقار ، وأجلتهم أهل البصرة إذ أفاضوا عليها من توج ، وقد ذكر القضية العوتبي في الأنساب ، وأشار إليها الامام السالمى رحمه الله تعالى في التحفة ، وذكرناها في العنوان ، كذلك كإشارة وتفصيل الحوادث يستدعى الفراغ الواسع ، لا سيما أن التاريخ العثمانى أغمض وأعمق من كل شيء ، حيث لم تقم له مصادر عالمية كما حدثناك عنه في مقدمتنا لهذا الجزء .

ومن أعمال الإمام عمر بن الخطاب رحمه الله بعثان قيامه على الأمير الذى قبض على أهل دبا متأولاً فيهم الارتداد كما ذكره أهل العلم ، وإن كان ذلك في خلافة أبى بكر رحمه الله تعالى ، وقد غضب عمر ابن الخطاب على أمير الصدقة غضباً لم ير مثله ، حيث قال له : « والله إنى لو أعلمك تسبيهم بدين دونى تقطع فيهم أى بهذا الحكم الذى حكمت به فيهم وهو سبيهم ، وغنيمة أموالهم لقطعتك طوائف ثم بعثت الى كل مصر منك بطائفة » وفيه المبالغة بالتهديد ، أى حيث تجعل التأويل في محل التنزيل ، والمراد به التشهير بالعقوبة ليعلم الناس أن الحق أكبر من الولاة وفى بعثه به الى الأمصار قطعاً تصريح ببطل ذلك الفعل ، وتشهير له بين المسلمين فى أنحاء الأرض ، ورد على من يقول إن أهل عثمان ارتدوا ، ولكن الامام رحمه الله أغضى عن عقاب أميره هذا حيث رأى الحال يحتمل أشياء فكان تهديده كافياً لرد جماله الذى جمع به عليهم قبل التحقيق ، ولم تقم للأمير حجة تبرر فعله ، بل اعتمد على شبهة ظننها حقاً فأخطأ فيما فعل ، والدين لا يثبت بالاحتمال ، ومن اتخذ الظن ديناً كما يفعل بعض فرق المسلمين فقد ركب محجوراً وتسلم

ضلالا ، وهذه أفعال الصحابة رضوان الله عليهم فيمن فعل ذلك ، وهم القدوة الصالحة والحجة الراجحة ، واليه يشير قول الامام رحمه الله في جوهره :

تأول السابى لهم يوم دبا
وانكر الفاروق ذاك المذهب

أى أنكر عليه تأويله ارتدادهم حين تداعوا بدعوى الجاهلية ، فانه لا يكفى للحكم عليهم بالارتداد بذلك ، فانه يحتمل أنهم جروا على المتعارف معهم سابقا بقطع النظر عن معنى الارتداد ، وكيف يرتد أهل عثمان وقد أسلموا طوعا ولم يظأهم رسول الله ﷺ بخف ولا حافر مع مدحه لهم بما علم من أحاديثه الواردة .

قال الشيخ خلف بن زياد البحرانى ، وهو أحد علماء المسلمين القدماء رحمه الله : ثم نقض عمر أمر أهل دبا ، أى أبطل الحكم الذى حكم به المصدق فيهم بعد ما هدده ذلك التهديد الكبير ، ورد القوم أى المسيبيين من أهل دبا الى منازلهم ، أى بعثان ، ورد عليهم أموالهم التى ظنها الجابى غنيمة حيث لم يثبت منهم الارتداد قال : ولجاز المسلمين بما أصيب منهم ، أى عوضهم بدل ما ضاع عليهم بثلاثمائة ثلاثمائة ، أى لكل واحد منهم : وأخرج لهم ذلك من بيت مال المسلمين . قلت : هو دليل على أن خطأ العامل من بيت المال حيث كان عامل المسلمين كامام وقاض ونحوهما ، أى أن بيت المال مجعول لصالح المسلمين ، وهذا من صلاحهم ، فكأنه رأى الخطأ بالتأويل فى بيت المال ، وما هو بيت المال ؟ هو الزكاة والغنائم لا غير ، وقد حكم الله فيهما بحكمه

الصحيح الصريح ، وقد أخذ العلماء من ذلك ما كان صلاحاً للمسلمين
يجوز الانفاق عليه من بيت مالهم ، فإن السنة فسرت القرآن وأعمال
النبي ﷺ واضحة صريحة وكذلك أحكام صحابته المتفرعة عن
أحكامه ، وللإمام النظر في مصالح المسلمين ، ولذلك جعل إماماً لهم ،
أى لينظر في مصالحهم بدلائل القرآن ، فكان نظر الامام ابن الخطاب
رحمه الله عين الحق ولسان الصدق ، ولم لا وهو الألعى البصير
رضى الله عنه .

ولما علم عمر من أهل عثمان الصدق ، وتقرر لديه ثباتهم أيام
أبى بكر ، ورأى أحوالهم في عهده ، وأنهم لم ينزعوا يداً من طاعة ،
ولم يراوغوا المسلمين مراوغة الجماعة ، لم يبدل في عثمان أمراً عن
أمر ، ولم يحرك ساكناً حيث اطمئن بأقوال النبي ﷺ إذ سمعها بأذنه
وهو مطمئن بصحتها ، ولم يكن له في عثمان عمل أكثر من هذا الذى
ذكرناه ، وبقيت عثمان في عهده كباقي المملكة الاسلامية هادئة مطمئنة ،
وأهل عثمان من أهدي الأمم للحق وأتبعهم وأعرفهم به برغم بعد دارهم
كمما قيل :

أرقتى هدى زيد وفى العلم قلة

وضلة عمر والعلم بحور

على هذا عاشت عثمان أيام عمر بن الخطاب رحمه الله حتى توفي
رضى الله عنه قتيلاً لأربع عشرة ليلة مضت من ذى الحجة سنة ٢٣
للهجرة ، طمعه أبو لؤلؤة وكان نصرانياً وقيل مجوسياً ، ودفن مع صاحبيه
النبي ﷺ ، ووزيره الرضى أبى بكر رحمه الله ، هذه هى عثمان أيام
الخليفةين الرضيين المرضيين أبى بكر وعمر ابن الخطاب .

والتاريخ أكبر شاهد وأصدق حجة ، إذ يجىء معبراً عن الحوادث
وحافظاً لكل حادث من محدثه ، وتلك إحدى فوائده المنشودة .

عثمان بن عفان وعثمان في عهده

لما توفي عمر بن الخطاب رحمه الله ، وكان جعل الخلافة شورى بين المسلمين ، حيث رأى الأنظار تتنافس فيها ، وكل يميل اليها نظراً الى الرئاسة ، وكان ينبغي التبعاد منها إلا من ابتلى بها فيحتسب عناءه وأجره مع الله عز وجل ، ولا يميل الى الرئاسة عاقل مهما كان ، فان حب الرئاسة هو الشهوة الخفية ، نعوذ بالله منها •

ولا شك أن الكبر لا يفارقها طبعاً ، وقد قال رسول الله ﷺ : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر • ولا شك أن الكبرياء لله لا ينازعه فيها أحد إلا كبه الله على وجهه في النار ، وما سأل يوسف الصديق الامارة إلا لأنه يعلم من نفسه الأصلحية لها وذلك من الاجتهاد في الحق ، كما أشارت الى هذا إحدى سيدات المغاربة الأمجاد ، لما جاءها الشيخ العلامة الجليل هود بن محكوم الهواري يشاورها حين طلب للقضاء • فقالت له : ان كنت تعلم أن في القوم من أصلح منك لهذا الأمر ، فقبلت فأنت خشبة في جهنم ، أي إذا قبلت مع العلم بمن هو أصح ، فقد قبلت شهوة وحباً للإمارة ، وفي ذلك الهلاك نعوذ بالله منه • قالت : وإذا كنت تعلم أنه ليس ليس في الجماعة من هو أفضل منك لهذا الأمر فأبيت ، فأنت خشبة في جهنم ، أي حيث تعين عليك الأمر وصرت مكلفاً به وجوباً ، وإذا أبيت من فعل الواجب عليك استحققت العقاب من الله ، ولما ابتلى عمر بن الخطاب بالإمامة وعلم من أحوال الناس ما علم ، وخطب في الوصاية لما لم يراه أصلح لها لئلا تتشقق عصا المسلمين تبعاً لفعل أبي بكر رضي الله عنه ،

لم يوافق عمر أن يوصى بالإمارة لأحد من المسلمين لما رأى من الأحوال ، فجعلها شورى بين ستة رجال من خيار المسلمين لينظروا الأصلح ويكونوا حجة تقطع الشقاق ، وتدفع الافتراق ، وهم على بن أبى طالب وعثمان ابن عفان ، وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وكان طلحة غائباً . فقال : يا معشر المهاجرين الأولين ، إنى نظرت فى أمر الناس فلم أجد فيهم شقاقاً ولا نفاقاً ، فان يكن بعدى شقاق ونفاسق فهو فيكم ، تشاوروا ثلاثة أيام ، فان جاءكم طلحة الى ذلك الأجل ، إلا فاعزم عليكم بالله ألا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا أحدكم فان أشرتكم بها الى طلحة فهو لها أهل ، وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة الأيام التى تتشاورون فيها ، فانه رجل من الموالى لا ينازعكم أمركم ، وأحضروا معكم من شيوخ الأنصار ، وليس لهم من أمركم شيء ، وأحضروا معكم الحسن بن على ، وعبد الله ابن عباس فان لهما قرابة ، وأرجوا لكم البركة فى حضورهما ، وليس لهما من أمركم شيء ، ويحضر ابنى عبد الله مستشارا وليس له من الأمر شيء .

قالوا : يا أمير المؤمنين إن شئ للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا راضون به . فقال : بحسب آل الخطاب تحمل رجل منهم ليس له من الأمر شيء ، ثم قال : يا عبد الله ، إياك ثم إياك لا تتلبس بها ، ثم قال : إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه ، وإن استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا أعناقهما ، وإن استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابنى عبد الله ، فلأى الثلاثة قضى فالخليفة منهم وفيهم ، فإن أبى الثلاثة الآخرون ذلك فاضربوا أعناقهم ، فقالوا : قل فينا يا أمير المؤمنين ، أى ما ترى من الأحوال مقالة نسندل

فيها برأيك وتقتدى به ، فقال : والله ما يمنعني أن أستخلفك
يا سعد إلا شدةك وغلظتك ، مع أنك رجل حرب ، وما يمنعني منك
يا عبد الرحمن إلا أنك فرعون هذه الأمة ، وما يمنعني إلا منك يا زبير
إلا أنك مؤمن الرضا كافر الغضب ، وما يمنعني دن طلحة إلا نخوته
وكبره ، ولو وليتها لوضع خاتمته في أصبع امرأته ، وما يمنعني منك
يا عثمان إلا عصبيتك ، وحبك قومك وأهلك ، وما يمنعني منك يا علي
إلا حرصك عليها ، وإنك أحرى القوم إن وليتها أن تقيم على الحق المبين
والصراط المستقيم .

هذه آراء عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الخلافة ، وتلك
فراسته في قومه وهو أعرف بهم ، وإن لهذه الأحوال من عمر بن الخطاب
قيمة لا يقاومها شيء عند أهل العقول ، ولو شرحت لكنت إحدى آياته
العمرية التي لا يدركها إلا الكمل من الرجال ، ولا يهتدى إليها إلا عباقرة
الأبطال ، وإنها لتحتوى على السياسة التي لاتعادلها سياسة مهما
كانت ، فقد لوح رحمه الله ، وصرح كما هداه الله ، والله في خيرته
من خلقه أسرار لا يدركها إلا أمثالهم . ثم ختم كلمته رحمه الله بقوله :
أوصى الخليفة منكم بتقوى الله العظيم ، وأحذره مثل مضجى هذا
وأخوفه يوماً تبيض فيه وجوه ، وتسود وجوه ، يوم تعرضون على الله
لا تخفى منكم خافية ، ثم غشى عليه حتى ظنوا أنه قد قضى ، فجعلوا
ينادونه ولا يفيق من إغمائه ، فقال قائل : إن كان شيء ينبهه فالصلاة ،
فقالوا : يا أمير المؤمنين الصلاة . ففتح عينيه فقال الصلاة هأنذا
ولاحظ في الاسلام أن ترك الصلاة ، فصلى وجرحه يشعب دأماً ، ثم التفت
إليهم . وقال : قد قومت لكم الطريق فلا تعوجوه ، ثم التفت الى على

ابن أبي طالب فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وشرفك وقربانك من رسول الله ﷺ ، وما آتاك الله من العلم والفقه في الدين ، فيستخلفونه ، فإن وليت هذا الأمر فأتق الله فيه يا علي ، ولا تحمل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس ، ثم التفت الى عثمان فقال : يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ وسابقتك وسنك وشرفك ، فيستخلفونك ، فإن وليت هذا الأمر فلا تحمل أحداً من بني أمية على رقاب الناس ثم دعا صهيباً فقال : يا صهيب صل بالناس ثلاثة أيام ، ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم ، أخرجوا عني اللهم ألفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على أعقابهم ، وول أمر أمة محمد ﷺ خيرهم ، فخرجوا من عنده ، وتوفي رحمه الله من يومه ذلك ، وصلى عليه صهيب .

فانظروا معشر أهل الحق في أمر عمر رضي الله عنه وهو في حاله ذلك يصرف أمر الأمة وهو في تلك الحال ، ولم يشغله ما هو فيه ، وانظروا في فراسته في رجله وفي تأنيبهم بالأحوال التي هم عليها ، إذ يقول في كل واحد منهم ما ينبغي أن يقال بغير محاباة ولا مداراة برغم ما هو فيه ، فيقول للأنصار : ليس لهم من أمركم شيء ، ويقول لابن عباس وللحسن ولابنه عبد الله : ليس لهم من شيء ، مع تبينسه للخصال التي هم عليها ، وجعل الأجل ثلاثة أيام وبعدها أمر بضرب أعناقهم ، إنها من القضايا التي يتزودها عمر بن الخطاب من أمور المسلمين الهامة بالنسبة الى حالته ، وهو صريح على فراشه ، ثم بين في الستة المشار إليهم الأحوال التي تؤهلهم لحمل الامامة في الاسلام ، مع كشفه عن خلال فيهم لها ما بعدها ، ثم حكم في القضية

عده أحكام يفهمها المعنيون بأمور الأمة ، ولما سألوه أن يقول فيهم ما ينبغي ألا يبقى منه شيء في واحد منهم ، قال : في سعد الشدة والغلظة ، ومما لا يتناسبان في الأمير في أغلب الأحوال ، لأن الأمير كالطبيب لا ينفر الطبيب من أهل العاهات والألم يفدهم طبه ، وقال لعبد الرحمن بن عوف : إنك فرعون هذه الأمة ، وهذه طعنة تافذة وقنبلة عظيمة ، لأن [ابن عوف] كان أغنى الصحابة بالمال ، وقال للزبير مؤمن الرضا كافر الغضب ، والمعنى إنك إذا رضيت فعلت أفعال المؤمنين وإذا غضبت فعلت أفعال الكافرين ، أى أن الغضب يهجم بك على الأمور بغير مبالاة ، والمراد تهديده وزجره عن الغضب الذى يحمله على مالا تحمد عقباه ، فإن من كان كذلك لا يمكن أن يكون ولى أمر عامة • وقال : في طلحة المكبر والنخوة ، ومما أيضاً من الخصال المذمومة في الدين ولا يرضاها الايمان ، والمراد تركها لا سيما أن أمره في يد امرأته ، بمعنى لا يخالفها وهذا الحال من أقبح الأحوال في الرجال ، ومتى يفلح قوم ولو أمرهم امرأة ، والمرأة ضعيفة العقل واهية الإرادة ، وذكر في عثمان عصبية لقومه وحبهم لهم ، والحب يعمى ويصم ولا يتناسب مع سياسة المجتمع ، وقال في على بن أبى طالب الحرص على الإمارة فيخشى عليه أن توكل اليه ، فإن رسول الله ﷺ قال : لا نولى أمرنا من سألنا إياه • وقال لبعض الصحابة رضوان الله عليهم : نفس تحييها خير لك من إمارة لا تحصيها • في أحاديث عديدة تنفر من ذلك تناقلها علماء المسلمين والمعقول هو هذا ، فلا يطلبها عاقل قطعاً ، ومن ابتلى بها أعين عليها ، ولقد أوضح الفاروق رحمه الله كل مخفى من أحوال هؤلاء الرجال ، ليقطع بذلك تلك الجراثيم الجاثمة على صدور هؤلاء الذين هم صفوة الأمة في وقتهم ، وعن الاسلام فرحم الله ذلك السيد الفاروق الذى لم

يليه عن تدبير أمر أمته ومناقشتها ، وهو في مثل ذلك الحال شيء ، فله
حر الرجال الذين هم حجة الله وإن عمر بن الخطاب في مقدمتهم بإجماع
أهل الحق الذين يعتد المسلمون بإجماعهم •

وبعد موته رحمه الله اجتمع المسلمون في النظر لأمر الشورى ،
 واجمع أهل الشورى في بيت أحدهم ، ولحضروا عبد الله بن عباس ،
والحسن ابن علي ، وعبد الله بن عمر ، فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا
فتيلا ، فلما كان في اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف رضى
الله عنه : أتدرون أى يوم ؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم لا تتفرقوا
فيه حتى تستخلفوا أحداكم ، قالوا : أجل • قال : فإنى عارض عليكم أمرا ،
قالوا وما تعرض ؟ قال أن تولوني أمركم وأهب لكم نصيبى منها ،
أى لا يكون لى فيها نصيب ، بل هى إليكم معشر الخمسة الباقين ، وكان
رحمه الله نظر تشوق القوم إليها ، وتناول الأعناق لنيلها ، وقد قال
له عمر : إنك فرعون هذه الأمة ، قال عبد الرحمن : وأختار لكم من
أنفسكم أى تحكمونى في الاختيار ، وتعرضونى فيه ، قالوا قد أعطيناك
الذى سألت : قال : فلما سلم القوم أى الأمر الى عبد الرحمن وحكموه
في القضية وتخلى هو منها • قال لهم : اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم ،
فجعل الزبير أمره الى على بن أبى طالب ، وجعل طلحة أمره الى عثمان ،
وجعل سعد أمره الى عبد الرحمن بن عوف •

قال المسور بن مخرمة : فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتى آتاكم ،
وخرج يلتقى الناس في أنقصاب المدينة ، مثلثا لا يعرفه أحد ، فما
ترك أحدا من المهاجرين والأنصار وغيرهم من ضغفاء الناس ورعاهم
إلا سألهم واستشارهم • قال : أما أهل الرأي فأتاهم مستشيرا ،

وتلقى غيرهم سائلا ، يقول من ترى الخليفة بعد عمر كالمستخبر ليلتقى ذلك من أفواه الناس ، فان الله يلقيه على السنة عبادته برغم الأهواء الصادرة عنه ، فلم يلق أحدا يستشيريه ويسأله إلا ويقول : عثمان . فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان ، قال المسور رضى الله عنه جاعنى عشاء فوجدنى نائما فخرجت إليه ، فقال ، ألا أراك نائما فوالله ما اكتحلت عينى بنوم منذ هذه الثلاثة ، أى الأيام ادع لى فلانا وفلانا نفرا من المهاجرين ، فدعوتهم له ففناجاهم فى المسجد طويلا ، ثم قاموا من عنده فخرجوا ، ثم دعا عليا ففناجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع أى فى الأمر ، أى كأنه يراها له ، ثم قال ادع لى عثمان فدعوته ففناجاه طويلا حتى فرق بينهما أن آنت صلاة الصبح ، فلما صلوا جمعهم فأخذ على كل واحد منهم الميثاق والعهد ، لأن بايعتك لتقيم لنا كتاب الله وسنة نبيك وسنة صاحبك من قبلك ، فأعطاء كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك ، وأيضا إذا بايعت غيرك لترضين ولتسلمن ويكونن سيفك معى على من أبى ، فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم ، وذلك لأنه لابد أن يبائع بها أحدهم ، وعلى الباقيين السمع والطاعة ، والعون على من خالف الجماعة ، لأنها لا تكون للكل قطما فنراه قد ربطهم بالعهود والمواثيق ألا يختلفوا عليه ، وهو قد تسمع الى الناس خاصتهم وعامتهم ، وعلم منهم أنهم يتوقعون ذلك لعثمان ، لأنهم يلاحظون أهليته الظاهرة ، وكفائته الشاهرة والغيب لله عز وجل .

قال : فمما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لأنه بايعتك لتقيم لنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسنة صاحبك ، وشرط عمر لا تجعل أحدا من بنى أمية على رقاب الناس ؟ فقال عثمان : نعم . ثم أخذ بيد على بن أبى طالب وقال له : أبايك على شرط عمر إلا

تجعل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس ، فقال على عند ذلك ملك
ولهذا ، إذا قطعتها في عنقي ، فإن على الاجتهاد لأمة محمد ﷺ حيث
علمت القوة والأمانة ، استعنت بها كان في بنى هاشم أو غيرهم ،
فقال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطيني هذا الشرط قال على : والله
لا أعطيكه أبدا فتركه ، فقاموا من عنده ، فخرج عبد الرحمن الى
المسجد فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إني نظرت في
أمر اناس فلم أراهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعل يا على سبيلا الى نفسك ،
فانه السيف لا غير ، أى عملا بوصية الامام الراحل عمر بن الخطاب .
وبهذا تجلت شجاعة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، فان الموقف
خرج والأمر جل ، وفي مثلها تتجلى عباقرة الرجال . قال : ثم أخذ بيد
عثمان فبايعه وبايع الناس جميعا ، وهنا انتهت قضية البيعة لعثمان ،
وتركنا ما وقع من القيل والقال ، وربما يقول قائل : إنك معنى
بتاريخ عثمان فما بالك خرجت الى حديث عمر بن الخطاب في الوصية ،
منه بالخلافة الى الشورى ؟ قلت : لأن عمل عمر هذا هو في نفسه دستور
عظيم ، وقانون جسيم ، فتركز عليه الامامة في كل أدورا وجودها
وأطوار حياتها ، واعتمادا على أمير المؤمنين الفاروق ، وأخذ بتلك القاعدة
التي وضعها فهي من أولها الى آخرها مبادئ صحيحة ، وقواعد
رجيحة ، ودعائم مكيئة ، على مثلها يقوم البناء للهيئة الاجتماعية ،
وعلى مثلها تثبت الأوضاع السياسية .

ولا شك أن عمر هو شمس العدالة التي لا يخفى ضوءها على
أحد من أهل الحق ، ولو كان البناء مثنى على أعمال لكانت الأمة في
أرفع المناصب طيلة الدهر ، ولكن لما كان الأمر رهن القضاء

والقدر ، كان الحال على ما سمعنا وما نسمع ونرى ، وعلى كل حال
إن القانون الذى وضعه عمر أعجز من جاء بعده ، وأين فى الناس كأمثال عمر
رحمه الله ورضى عنه .

فهذا الكرسي الذى قعدت عليه إمامة عثمان ، ولكن ما كل مجتهد
مصيب فقد اجتهد عمر للمسلمين وهو فى ذلك الحال الحرج ، واجتهد
عبد الرحمن بن عوف كذلك ، وإن لم يوفق فلا يلام بعد الاجتهاد ،
وهنا استقر الأمر لعثمان وصحت خلافته ، وثبتت إمامته وقام
بأعماله ، فما كان منه لعثمان وماذا فعل فيها ، لم تكن عثمان أيام
ال خليفة الثالث إلا هى هى أيام الخليفة الأول والثانى ، وحيث إن أمر
عثمان مازال فى أيدي ولاتها الميامين أنجال الجلندى ملك عثمان ، ولم
يكن من أهلها شقاق ولا نفاق ولا افتراق ، وكان أحكام الشريعة الغراء
ماشية فى نشاطها وجارية فى مجاريها لم يدر فى خلد عثمان هم عن
عثمان ، ولا طن على أذنه عنها صوت يستجذب الأسماع إليه ، فيشتغل
بها كما اشتغل بغيرها ، فقد قام عثمان على من قاومه من أهل الأقطار ،
وفتح المسلمون على عهده فتوحاً ، وعمل أعمالاً لا ينكرها أحد حتى إذا
تم سعة أعوام وهو راق فى سماء المجد ، والمسلمون حوله يجيئون دعوته
ويؤيدون حجته ، حتى إذا أراد الله اختيار قوم ابتلاهم فى أفضل
أحوالهم ، وأكمل خصالهم فقامت الأحداث فى الدين ، وهى تسترعى
انتباه المسلمين ، وتستدعى أهل الحل والعقد من المؤمنين حتى انتقدت
جحيم الشقاق ، وقام اللجاج للافتراق واختلفت الآراء ، وساعت الظنون ،
وإذا بالمسلمين من كل حذب ينسلون ، فكروا على عثمان بالتخلى عن الأمر
اختياراً ، وترك الخلافة إلى أهلها لينظروا الأعدل والأصلح ، كما أوجب

الله عز وجل ، فكان القيل والمقال داعياً إلى الخذلان والوبال ، حتى آل الأمر على قتل عثمان ، ومساءت الحال إلى حد بعيد حتى إنه لم يشيعه في دفنه أحد من المسلمين الذين هم الحجة والمنظور إليهم بين الأنصار والمهاجرين •

وهم إذ ذاك متوافرون ، وذهب عثمان إلى الدار الآخرة ولم يشك عثمان ولم تشكه هي أيضاً ، والحمد لله ، وكان قتله على رأس ثمانين سنة من عمره ، وقيل على رأس ثمان وثمانين ، وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً ، وقيل كانت خلافته اثنتي عشرة سنة ، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين عاماً ، وقيل ابن ثلاث وثمانين ، وقيل ابن تسعين عاماً ، وقيل غير ذلك • وكان قتله على ملا من المسلمين ، وحوصر قيل أربعين يوماً وقيل عشرين يوماً ، وقيل تسعاً وأربعين يوماً ، وقيل عشرين يوماً ، وقيل تسعاً وأربعين يوماً ، وقيل ثمانين يوماً ، وكان قتله يوم الأربعاء بعد العصر ، ودفن يوم السبت قبل الظهر ، وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥ خمس وثلاثين ، وقيل قتل في وسط أيام التشريق ، وأقام ثلاثة أيام لم يدفن ولم يصل عليه ، وقيل صلى عليه جبير بن مطعم ، ودفن ليلاً كما قدمنا لم يشيخ جنازته الأعيان ، ولم ير من عثمان سوءاً ، ولم تر منه كما قلناه فيما سبق لنا من التحرير •

على بن أبى طالب وعثمان

لما توفى عثمان بن عفان ، ماج بالمسلمين تيار السياسة وهاج في الإسلام الرأي العام الداعى إلى وجوب نصب الإمام ، وكانت الشورى التى رآها عمر قد رشحت رجالاً للإمامة ، ومنهم أبو السبطين ، ووالد الحسينين ، الذى قال فيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ما يمنعنى أن أوليك يا على إلا حرصك عليها ، وقال له عبد الرحمن بن عوف أيضاً ما قال ، وكان على بن أبى طالب يرى أنه الأحق بها من أول يوم ، فلذلك تلكأ فيبيعة أبى بكر رضى الله عنه ، ولسم ير المسلمون له ذلك خصيصاً وقد علم أمر الخلافة بين المهاجرين والأنصار ، ولم يقل أحد منهم إن علىاً أخص بها ، ولذلك جعلها عمر شورى ولم يقل إن علىاً أحق بالأمر من غيره ، وكان أحق لما ترك المسلمون الأحق وهم أمناء الله في أرضه ، وخلفاؤه في بريته ، بل كان على بن أبى طالب أحد الرجال المرشحين لها برغم الرغبات ، وعلى كل حال فإن الرجال محاط الأعمال ، وكل يصلح لشيء خاص ، وهذا الأمر لا يزال في أحوال البشر ، أما الكمال الحقيقى لله وحده عز وجل .

فلما تولى على بن أبى طالب أمر المسلمين ، كانت عثمان من جملة ممالك المسلمين ، الخاضعة للحق والدين ، التابعة للأمير المؤمنين .

وكان والى عثمان إذ ذاك عباد بن الجندى من طرف أمير المؤمنين ، قائم بأمور عثمان ، خاضع للخليفة ، سامع لأوامره عامل للخلافة عملاً لا هوادة فيه ، وكان على بن أبى طالب سرعان ما انصدع ببناء إمارته بما جاء به الداهية معاوية بن أبى سفيان ، إذ كان يحاول سلطان المسلمين ، وله حيب في الإمارة لا زال يتأملها بكل ما أوتى من إمكان ، فلما رآها لا تقرب إليه ، وقد ترشح لها عمل على قهرها ، وأخذها من أين وجدها ،

غير مبال بما يلاقى فيها ، فلما أفضت إلى على بن أبي طالب ، رأى إيباسه منها يتقدم ، وأمله لها يتأخر ، فكان من قدر الله أن رأى أن علياً لا يقره على عمل من أعمال المسلمين مهما كان ، لأن حاله ينافى استعماله ، ولا نولى عملنا من إرادته ، اختلق لنفسه الطلب بدم عثمان ، ونادى أنه قتل مظلوماً ، وصاح في أهل الشام هذا الرأي كان على أمير المؤمنين ، وهذا ما فعل به ولم يناصره أحد ، وفعلوا فيه وجاروا عليه ، وكان أهل الشام أتباعاً لماوية فيما حل وحرم ، وقد استحوذ على أفكارهم ، وتمكن من استمالتهم إليه ، فقام على الإمام محتالاً على الخلافة ، موهماً للسواد أشياء جعلها ذريعة مقصده ، فقادهم قود الصبى للجمال مقطورة خلفه :

فجاء يقرع ظنوب الشقاق له

روقان في الغى من بغى ومن بطر

يشوح في الشام ثكلى ناشراً لهم

قميص عثمان نوح الورق بالسحر

فشغل علياً واشتغل به ، واضطرب الحبلى الذى فى يده ، ولم يملك استقراره ، فكانت الفتن تنبعث عليه من منامها ، والشور تلتهب لديه نيرانها ، وذلك هو الذى قيده عن الاتصال بالممالك الإسلامية ، وشغله عن أمصار الدين ، فلم يكن لعلى بعثمان عمل لا حل ولا عقد ، حتى قضى الله عليه من يد عبد الرحمن بن ملجم المرادى المصرى ، وكانت عثمان فى عافية من قتل هؤلاء الخلفاء الثلاثة الذين تتابعوا قتلهم من أيدي إخوانهم المسلمين . نعم إن قاتل عمر بن الخطاب على الصحيح لم يكن مسلماً ، وبموت على بن أبى طالب انحط نظام الخلافة الصحيحة ، وصارت ملكاً عضوضاً ، وكان قتل على بن أبى طالب ليلة السابع عشر من رمضان فى ليلة الجمعة سنة أربعين للهجرة ، فمات بعد يومين .

قال كمال الدين محمد بن موسى الدميرى : مات سنة ٧٥ ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل ثلاث وستين ، وقيل سنة ٦٨ ثمان وستين ، وعمره خمس وستون سنة . قاله ابن جرير الطبرى ، وقيل ثلاث وستون سنة ، وهى سن رسول الله ﷺ ، وسن أبى بكر وعمر ، وكانت مدة إمامته أربع سنين وتسعة أشهر ويوماً واحداً قضأها كلها فى أزمنة مزقت الدين ، وفرقت جمع المسلمين ، ولم يتمكن على بن أبى طالب من إقامة أركان خلافته ، فإن صوته لم يتجاوز الحدود ، وهو كان يأمل أن تكون الأيام طوع يده والأنام تحت قهرته .

ولما قتل على بن أبى طالب كما ذكرنا ، كانت المملكة الإسلامية تهتز جذرانها لتتداعى حيطانها ، والأمة فى أقطار الأرض فى حيرة وروعة ودهش ، لا يعرفون مصيرهم ، فمنذ قتل عمر بن الخطاب لم تنزل الدولة الإسلامية تتوقع قتل الخلفاء ، وإن كان ذلك غير مستغرب ، لكنه مشير للقلق والروعة ، داع إلى مضاعفة الهموم فى هذه المرحلة الدنيوية ، وقد بويع للحسن بن على بعد وفاة والده نظراً لكفأته ، لأنه ابن الخليفة العالم الزاهد الهاشمى المجاهد ، على بن أبى طالب ، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، وهو السبط الأكبر ، وقد توافرت فيه الصفات المطلوبة فى الإمام ، ولم يذكر بمعيب إلا بمخالفته وصية أبيه فى قتل ابن ملجم حيث أوصى عليهم ألا يمثلوا به فمثلوا ، ولعل الحسن لم يكن ذلك التمثيل بأمره ولا رضى به ، وهو اللائق بمقامه . إلا أن الحسن ألقى الإمامة فى نحر معاوية وهو يعلم أن معاوية غير أهل للإمامة الراشدة ، وأن ذلك اللقاء لا يليق بالحسن الهمام ابن على الإمام ، بل اللائق خوئس بحار الدماء فى نصرة الحق وتأييده ، فإن الخلافة فى الشريعة

الإسلامية لم تكن ملعبة ولا غنيمة تهدى ، ويؤخذ عليها الأجر لا سيما وأن معاوية لم يف للحسن بما وعده ، وقد شهر أنه دس عليه السم فمات مسموماً وصفا الجو لمعاوية •

ومهمتنا أن الحسن لم يكن له في عثمان أى عمل ، كما أنه لم يكن له في بقية بلاد الإسلام كذلك أى عمل ، وإنما كانت الأعمال لمعاوية ، فكان سيد المسلمين وأمير المؤمنين رضوا أم كرهوا ، فإن للسيف حكماً لا يزال يعرفه كل أحد ، وإنما المراد الملك والتسلط على الأمة ، وقد سلم الحسن الأمر لمعاوية لخمس بقين من ربيع الأول بعد قتل قيس بن سعد بن عباد •

فكانت خلافته ستة أشهر إلا خمسة أيام ، فلم يقع منه شيء يذكر ، وأراح نفسه من الخلافة بعد ما تولاها ، وقام معاوية في المسلمين ملكاً على الملك بالنواجذ ، فاستطردنا لذكره لمّا له وللمعاوية من العلاقة ، فإن كلامنا يتم بذلك كما سبق لنا ، وكما تولى معاوية الملك وصفاً له الجو ، ولم يخش أحداً بعد على بن أبى طالب ووالده الحسن ، ورأى الأمور جاءت خاضعة طائعة ، وكان أمر عثمان إذ ذاك إلى عباد بن الجندى ، وكان معاوية لا أرب له في التطاول ، بل كان يخشى نزع الشام من يده ، وكانت عشرون عاماً التى قضاها معاوية بالشام ، لها أثرها الفعّال ، فكان غاية ما عنده الرضا بالحال الذى حصل له ، وأقام على تأييد زعامته في الشام والعراق ومصر ، وهذه هى أمهات المملكة الإسلامية ، فكانت مصر حظ عمرو ابن العاص •

وبقيت العراق والشام ، أما الشام فهى خيئة ، وأما العراق فهى ملكة ، ولم يكن له نظر إلى ما وراء هذه الممالك ، فلم يكن له في عثمان تحريك ولا إسكان ، ولا حل ولا عقد طيلة حياته ، حتى قضى الله عليه ، وعثمان في يد أهلها وعباد بن عبد أميرها ، وكانت وفاة معاوية

في مستهل رجب ، وقيل في منتصف رجب سنة ستين ، وكان عمره ثمانين سنة ، وقيل خمسا وثمانين سنة ، وقيل خمسا وسبعين سنة ، وقيل ثمان وثمانين سنة وقيل تسعين سنة ، عاش أميراً وخليفة أربعين سنة ، وقد عافى الله منه عثمان وأهلها ، وعافاه منهم ، وكانت له أحوال ونوابا كبيرة ذكرها العلماء المؤرخون •

وهكذا يحلو الزمان ويمر وما هو إلا ظل زائل والمصير إلى الله الولي الحقيقي •

خلافة عبد الملك بن مروان وعمان

لا يخفى على المطلع أن عمان منذ عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم تصل إليها أيادى الخلفاء الذين جاءوا بعده ، فمضى عثمان وعلى بن أبى طالب ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وابنه يزيد بن معاوية ، وابنه معاوية بن يزيد بن معاوية ، ومروان بن الحكم ، وكان الحكم طريد رسول الله ﷺ ، فهؤلاء الملوك الستة لم يكن لهم بعمان عمل يذكره التاريخ ، وإنما عاشت عمان أيامهم وهى بيد أهلها يديرونها كما تقتضى الشريعة ، ويعملون فيها بواجبات الدين غير مترعزين عن خطة الحق قيد شعرة ، وكان فى هذه الفترة أميرها عباد بن الجلندى ، حتى اذا ببيع لعبد الملك بعد موت أبيه وولى الحجاج بن يوسف الثقفى على العراق فى أيام سليمان وسعيد ابنى عباد بن عبد بن الجلندى ، فحاول الحجاج بن يوسف إلحاق عمان بولاية العراق ، فلم ير أهل عمان طاعة الحجاج الظالم السفاك ، بل لا يرون ولاية عبد الملك فضلا عن الحجاج ، فإن عبد الملك كان رجلا عاقلا فطنا بصيراً بما عليه الناس وما يرغبون فيه ويرغبون عنه .

أما الحجاج فكان طاغية عاتباً سفاكاً للدماء ، لا يبالي بها فى نصره هواء أو نصره سلطانه ، ولما لم ير من عمان الخضوع والانقياد جر عليها الجيوش ، وظل يهاجمها مهاجمة عنيفة كاد أن يقضى على الروح العمانية تماماً ، لكن أبى الله إلا أن يعيش الذهب فى النار عيشه فى الثرى ، بل لم تزد حروبه أهل عمان إلا صقلاً وصلابة وانتقاد حماس ، فإنهم كلما صارعهم بجيوشه قضوا عليها وأرغموها على الهزيمة ، قال ابن رزيق فى تاريخه : بعد ما وقعت الفتنة واقتربت الأمة ، وصار الملك والسلطان الى معاوية بن أبى سفيان ، ولم يكن لمعاوية فى عمان شئ من الشأن ، حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان ، فاستعمل عبد الملك الحجاج بن يوسف

الثقفي على العراق ، وذلك في ذلك الزمن على الاتفاق في عمان من أساطين سلاطينها سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجلندي ، وهما القيما في عمان ، وكان الحجاج يبعث غزواته عليهما وينتخب عليهما أميراً بعد أمير ، يعنى قواد الجيوش ، وهما يفضان جموعه ويبيدان عساكره في مواطن كثيرة ، وكلما أخرج عليهما جيشاً هزمه واستوليا على سواده ، فأشار إليه بعض خاصته أن يخرج عليهما القاسم بن شعوة المرى في جمع كبير ، فأخرجه عليهما وأخرج بجيش عظيم وخميس جرار على سفن كثيرة ، فلما انتهى القاسم المذكور إلى ساحل عمان ، أرسى سفنه على ساحل حطاط ، وحطاط كان يشمل وادى بوشر تشريقاً إلى أعمال قريات ، فسار إليه سليمان بن عباد بن الجلندي بأبطال الأزدي ومن معهم من العرب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكسنت الدائرة على أصحاب الحجاج وانهزموا شر هزيمة ، وقتل القائد القاسم بن شعوة ، قتل من قومه خلق كثير ، واستولى سليمان على سوادهم ، وقيل هلكوا كلهم ولم يسلم منهم أحد ، هكذا قال ابن رزيق وكذلك لشكيب أرسلان .

قال ابن رزيق : فلما بلغ ذلك الحجاج حاله الأمر واندحش لهذا الحادث الذي كان يأمل أن يأتيه بعمان يقودها له قبود الصاغر ، ثم استدعى مجاعة أخا القاسم المقتول ، وأمره أن يندب الناس ويستصرخهم وينادي في قبائل النزار ، بإثارة حفاظهم وإلهاب ضمائرهم ليقضى وطره بهم ، وأن تعم دعوته حتى حلفاءهم كنذير عام لهم وشيعتهم من الأنام ، ويستصرخهم على خراب عمان ، أو قل على الأقل لإخضاع عمان .

قال وأظهر الحجاج حمية وغضباً وأنفة أيضاً ، على أن عمان ترده على عقبه فتكون له في الأحياء أحداثاً سيئة ، وكتب ذلك إلى عبد الملك ابن مروان ، وماذا يقول عبد الملك وصاحب القضية الحجاج حيث الهزيمة عليه ، وإن كان النصر فلعمري الملك ، ولا يهم الحجاج حيث يجد العرب تضرب العرب في رضاه ورغبته ، ولو كان يخوض المعركة بنفسه خوض

الأبطال كعلی بن أبی طالب وخالد بن الولید وعمرو بن العاص ، لأحجم عن قصده ، ولكنه ليس هناك ، وكان من سياسته أن أقعد وجود الأزد عن الخروج في هذا الجيش ، وكانت قوة الأمير من الأمة ، وكان بالبصرة من الأزد أبطال يدرون من أين تؤكل الكتف ، وكان عدد الجيش في هذه المرة الذي أخرجهم الحجاج مع مجاعة بن شعوب لضرب العمانيين .
قال ابن رزيق : على الأصح أربعين ألفاً ، فكان الجيش فرقتين : فرقة بحرية ، وفرقة برية ، وكل فرقة عشرون ألفاً وإن جيشاً كهذا لعظيم في نظر الزعماء المعنيين بالحروب .

وقد ذكر هذا الجيش عدة مصادر من أهل الاطلاع ، ذكره شكيب في تعليقه ، وشاعر دولة مسقط هلان بن بدر بن سيف ، والشيخ الطيوانی كما ذكره أبو إسحاق صاحب مجلة المنهاج ، والزعيم البارونی والإمام السالمی رحمه الله ، وكانت لهذا الجيش شهرة بين زعماء العرب .

قال ابن رزيق : فانتهى القوم السالكون طريق البر ، وهم كما ذكرنا عشرون ألفاً أكثرهم أهل خيل وركاب . قال : فالتقوا هم وسليمان ابن عباد ومن معه من رجال الأزد وغيرهم من أهالي عمان حول الماء السذي دون البلقة ، ويعرف الآن عند أهل عمان بالبلقين شرق بلدة فلج الشام من وادي بوشر ، ويحسب الظاهر أن هذا الماء كان مشهوراً هناك يسير عليه الوارد ، ولعلمهم يتسابقون عليه هناك ، فإن البلدان التي حوله الآن حدثت قريباً وبالأخص بلدة فلج الشام من عمران هذا القرن خاصة . قال ابن رزيق : التقوا دون ذلك الماء المشار إليه بخمس مراحل ، وقيل بثلاث مراحل ، قال : وهو الماء الذي يقال له اليوم بالبلقين ، قلت : لا أدري من أين كان دخولهم الذي قيس بأربعة أيام أو ثلاثة أيام دون البلقة ، قال : فاقتتلوا قتالاً شديداً : وانهمز أصحاب الحجاج وكسر سليمان بن عباد في طلبهم واستئصال سائقتهم . وهو لا يعلم عن جيش

البحر شيئاً ، وقد انتصر الآن والسيوف بعد لم تنجل دماؤها ، والقلوب لم تهدأ حرارتها ، وإذا بجيش البحر ينزل اليوتانه من جلفار [أى رأس الخيمة الآن] ونقل الأخبار بالسن السفار لا بالبرق والطيّار كالآن ، فلقى الجيش هناك رجلاً من أهل توام [البريمي الآن] فأخبرهم عن جيشهم البري وما صار عليه ، وأن سليمان بن عباد في أثرهم هو وجنوده ، وأن الأقلية الآن معه ، وقد تفرق قومه عنه ظناً منهم أن الحرب قد وضعت أوزارها وانتهى أمرها ، وإلى أن تأتي مرة أخرى تحتاج إلى مدة ، وأن الرجل الآن يلتقط غل الهزيمة ، وقد سر بالنصر الحاسم الذي ألحق هذا الجيش بجيش القاسم بن شغوة ، وعند ذلك وصل مجاعة بن شعوة بركا ، إذ كان الجيش مر على ساحل عمان كما يفهم من نزوله أولاً جلفار ، ثم بركا وهي كانت من بلاد عمان المهمة في الساحل ، فخرج للقاء هذا الجيش شقيق سليمان وهو سعيد بن عباد بن عبد بن الجلندي ، فأداروا رحى الحرب بينهم طيلة النهار حتى حجزهم الليل ، وهم في أزمة شديدة ، فكان القتال سديداً ، وبعد ما حجز الليل بينهم تأمل سعيد ابن عباد جيشه فإذا به بالنسبة إلى جيش عدوه كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، والمعنى رآهم في غاية من القلة في العدد والعدة لا سيما أنهم لم يبرحوا من مكان الحرب ، وإذا هم بحرب ترحف عليهم حصول ميوّتهم ، ولعل خلف هذا الجيش جيوشاً أخرى ، فإلى متى نكون نحن والحال هذا ، واستشعر العجز وفضل الفرار من البلاد ، وليته لم يفعل ، فإن النصر من عند الله وهو الذي نصرهم أولاً ، وهم بالنسبة إلى كثرة عدوهم قليلون ، ولو فضل الموت في الوطن على الحياة من غيره ، لكان أولى ، فإن الموت لا بد منه ، ولكن إذا أراد الله أمراً ظهرت له أسباب من نفسه ، وإذا خارت عزيمة الأمير انهار صرح المأمور وتدهور البناء ، وتزلزل عرشه وسقط والشاهد على هذا كثير :

أقول لها إذا جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحي

وبالجملة لما رأى سعيد بن عباد تقهقر أمره ، وتحقق العجز عن الدفاع عن الوطن ، إذ رأى كثرة القتل في قومه وكثرة الجرحى ، رجع القهقرى مخلفاً وراءه في ساحة أبطاله ورجاله ، هذا قتيل وذاك جريح لف ذراريه وذراى أخيه سليمان ، وصعد بهم الجبل الأخضر ويقول ابن رزيق : الجبل الأكبر ، وهو جبل بنى ريام ، ويقال له رضوى بضم الراء المهملة ، ولما انكشفت الحال بانهمزام سعيد بن عباد وفراره عن رجاله قوى ذلك عدوه ونشط للقتال ، وهون أمر قومه فهانوا في وجه العدو فأهانهم العدو إذ كر لاحقاً بسعيد وأخيه ، وإذا بهما ارتفعا في الجبل المنيع ، وإذا بالعرش العماني لا دافع عنه ، ولا شك أن الأمة تخضع للغالب وتنقاد له راغبة ، ومع ذلك فإن القوم حصروا الأميرين سعيداً وسليمان في جبلهما ، فكان جيشهما تحت يد الفاتح ، وقد جعلوا كتيبة الحصار في وادى مستل ، وتوجه باقى الجيش إلى الداخلية فدخل نزوى واحتلها ، وبعلى وأزكى ولم يجد مدافعا ، فكان له الحول والطول ، وبقي الزعيمان يحاولان الهرب من عمان حيث تغلغل الجيش الغازى فيها ، وقد وتر مرات فلا بد أن يتشفى من أهل عمان وهو غالب عليهم ، ووصل إلى مسامع الزعيمين أن مجاعة أرسى سفنه دون مسقط ، ولعل أكثرها في مسقط إذ هى المرسى الوحيد ، وكان عدد السفن ثلاثمائة سفينة بين صغيرة وكبيرة ، إذ كانت سفن ذلك العهد بخلافها الآن ، فغزاها سليمان بن عباد في مرساها ، فأضرم فيها النار لكن لم يذكر بأى شئ أضرم النار فيها ، وبأى وسيلة إذ ذاك كان عمله ، إلا أن التاريخ يصرح بأنه احترق منها نيف وخمسون سفينة ، وانهزم باقى السفن هرباً إلى البحر بحيث لا ينالها

الغازي ، ومكث بها أهلها هناك ، وفي هذه الأثناء تصور لمجاعة أنه لا طاقة له على حرب سليمان وهم في قلب عمان ، وأنه لا بد أن ينقض عليهم انقضاض الصاعقة يوماً ما ، وكذلك تحقيق القضية عند الإمام السالمي ، إلا أن فيه مزيد إيضاح لجيش الأزدي الذي صادم به سليمان بن عباد مجاعة في بركا أنه كان ثلاثة آلاف فارس أهل الخيل ، أن بعضه أهل بجانب ثلاثة آلاف وخمسمائة ، فيكون مجموع جيش الأزدي ستة آلاف وخمسمائة ، وقد قاتلوا عشرين ألفاً فهزموهم بإذن الله ، ولا ريب فإنهم يداغمون عن وطن وذرية وأهل وفيه فواصل مجاعة سير الليل بسير النهار حتى وصل بركا ، وذكر قتال سليمان لهم وقتال سعيد في بركا ، وبعد انتهاء ذلك اليوم تأمل سعيد جيشه وقد قتل منهم من قتل فرأه ضئيلاً جداً ، فكاعت نفسه فاعتزل من ليلته وعمد إلى ذراري أخيه وذريته فخرج بهم إلى الجبل الأخضر ، قال : فلحقه القوم فما زالوا محصورين ، وذكر قضية حريق سفن مجاعة مرسى مسقط ، وذكر أنه لما فرغ من حرق سفن مجاعة وهرب الباقي منها ، قال : فخرج مجاعة من الداخلية يريد سفنه بمسقط ، وإذا بسليمان راجعاً من مسقط ، فالتقيا بسمائل ، ودارت رحى الحرب بينهما ، وقتل في هذه الواقعة من الفريقين أعيان الرجال ، فكانت مقتلة رهيبة انهزم فيها مجاعة هرباً إلى سفنه ، فلما وصل مسقط تصور له أن سليمان خلفه ، فكان غاية ما عنده الهرب العاجل قبل حلول الأمر المخوف ، فركب سفنه وجد في الهرب إلى جلفار •

ولما استقر بها كاتب الحجاج عما صار عليه وما وقع فيه من المآزق فاهتم الحجاج بالأمر غاية الاهتمام ، وانزعج له مندهشاً مما تكرر على مسامعه من عمان ، فأخرج له جيشاً آخر على طريق البر بقيادة عبد الرحمن بن سليمان ، أحد أعوانه الأشقياء ، مؤلفاً من خمسة آلاف رجل أهل خيل كلهم من بادية الشام الأجلاف ، الذين لا يعرفون ديناً ولا يراعون إسلاماً ، أحرق الجبل ضمائرهم وتولى عليها الشيطان مسيطراً عليها ،

تقاتل قوماً مسلمين في أوطانهم على غير جرم ولا سبب ، بل طاعة لأشقى الخلق الحجاج بن يوسف الخبيث .

وكان في القوم رجل من الأزدي ولا يعلمون به ، وكان الأزدي منتقد الأنفاس على ما يسمع من الحدة على قومه ، فأكنها في ضميره ولم يبدها لهم ، حتى إذا رأى الفرصة هرب من الجيش ليلاً ولعله لم يفقد ، حتى أتى سليمان وسعيد بعمان ، ولكن لم أجد في أي موضع وجدها ، ولكنه أدركهما فألقى إليهما مهمته وما علم من الجيش الغازي ، فأثر عليهما وانزعجا لخبره وهالهما الأمر ، ولعله هول عليهما حتى أقلقهما وليته لم يفعل ، وليتهما ثبثا ثبات الأحرار ، إما موت في كرم ، وإما حياة في عز ، وإنه لشبيهه بقضية الذي أرجف بالمسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه نزل : (اذین قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم) الآية ، وليتهما زاد إيمانها وقالا له نرحب بالزائر ، وإن السيوف التي قاتلنا بها لفي أيدينا ، وإن القلوب التي لقينا بها الأولين لفي صدورنا ، وتحمسا على العدو القاصد البيضة ، ولكن بعض الرجال يتحرك فيها الدم البارد فيؤثر على الدم الحار ، ولو قال لهم ما هؤلاء إلا شرذمة قليلة وما هم إلا لقمة أكل ، وترك السيف يقري الضيف والموت يعلن الصوت ، والشجاع يتقلد الروعة على هامته ، حتى يحكم الله بينهم وهو خير الحاكمين ، لفجح القوم ، ولكن الناس يقيمهم المقيم ويقعدهم الفرد بلسانه ، كم جرى مثل هذا في العالم الإنساني ، وكم حدث التاريخ عن أناس من هذا النوع .

قال الإمام : فاستشعرا العجز فحملا ذراريهما وسوادهما ومن خرج معهما من قومهما ، ولحقا ببلد من بلدان الزنج أي حيث لا يسمعان بعمان ولا تسمع عمان بهم ، فكان مقرهما في زنجبار منذ ذلك العهد حتى ماتا هناك ، أي وكونا لهم حكومة أهلية ونشر الإسلام في تلك النواحي النائية ، حتى أصبحت منتدحاً لأهل عمان ، وأصبح أهل عمان يتحملون

إلى زنجبار زرافات وجماعات في كل موسم في ذلك العهد ، لعل الله أراد أن يهدى بهما قوماً وينشر بهما الدين في تلك النواحي فتدخل في الإسلام .

قال : ودخل مجاعة عمان مع زميله عبد الرحمن ففعلا فيها غير الجبل ، ونهبها هما وعسكرهما المحتل ، ولا ريب فإن الجهل بلية مسن البلايا وخطرة الحجاج ما عليها من مزيد ، والدين عندهم اسم بلا مسمى وإلا فأين حقوق الإسلام التي يقتضيها الدين .

أول عامل للحجاج على عمان

لما تمكن مجاعة من عمان ، وكان زميله عبد الرحمن بن سليمان معه يؤيده ويسدده ، وكانت عمان قد قضت على أخيه القاسم مع جيشه الغاشم ، ودقت مجاعة المذكور مع جيشه الأول والثاني ، وانتصر الجيش الثالث وصفا له الجو في عمان ، وظهرت سيادة الحجاج على عمان بخروج سعيد وسليمان إلى أرض الزنج من أفريقيا ، وداست أقدام الجيش الفاتح لعمان كرامة أهل عمان ، ولى الحجاج على عمان الخيار بن سبرة المجاشعي من أعوانه العتاة ، وبقي المجاشعي المذكور والياً على عمان مدة حياة عبد الملك بن مروان ، حتى مات في شوال سنة ٨٦ ست وثمانين ، وخلف سبعة عشر ولداً ، وبعد موته تولى الأمر ابنه الوليد ، ثم مات الحجاج واستعمل الوليد على العراق يزيد بن أبي مسلم ، وكانت عمان إذ ذاك من أعمال العراق ، فولى عليها يزيد سيف بن الهاني الهمداني ، فقام بالأمر فيها حتى مات الوليد في يوم خامس عشر من جمادى الآخرة ، سنة ٩٦ ست وتسعين ، فكانت خلافته عشر سنين ، وكان ابن الهاني الهمداني هو والي عمان من قبل أمير العراق يزيد بن أبي مسلم .

ولما تولى الخلافة بعد الوليد أخوه سليمان بن عبد الملك بالوراثة عزل سيف بن الهاني عن عمان ، وولى عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي ، ومشى في عمان الوالي الليثي بين الزعازع الطائفة ، فرأى سليمان ابن عبد الملك عزله عنها ، ولعله رآه لا يحسن إدارة شئون البلاد ، ورأى رد الوالي الأول عليها الممارس لها ، ولكل وقت سياسة وكل يصلح لأمر ، ومدارك الرجال مختلفة الأحوال ، وقد جعل سليمان صالح بن عبد الرحمن مشرفاً على الوالي ، ومراقباً حركاته وسكناته ، ومضى لهؤلاء الولاة على عمان عهد من الزمان يتداولونها حتى تولى يزيد ابن المهلب بن أبي صفرة العراق وخراسان ، وكان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من عمان

وله فيها حنين وأنين ، إذ هي وطنه ووطن قومه من الأزدي ، ولذلك ولى عليها أخاه زياداً فلم يزل عاملاً على عمان محسناً إلى أهلها محبوباً لديهم مطاعاً فيهم ، بقى فيها ، إلى أن مات سليمان بن عبد الملك ، وتولى الخلافة العبد الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله في اليوم الذي مات فيه سليمان بن عبد الملك بولاية العهد منه ، وعد ذلك من حسناته الخالدة ، فكان ذلك في عاشر صفر سنة ٩٨ ثمان وتسعين ، وقيل سنة ٩٩ تسع وتسعين ، ثم بدأ ضياء العدل هنا بيد ووظلام الجور يخفى ، ومن حسنات الزمان خلافة عمر بن عبد العزيز ، وللخير آثار كما للشر كذلك ، وفي هذه الأثناء قام دور التمثيل الديني ، وكان الإباضية قد أخذوا حظهم من الحق ، وقام لهم في العالم الإسلامي مقامات أشهر من نار على علم قبل أن يعرف لغيرهم شأن مهما كان ، فقد دون الإباضية دواوين الشريعة وبرهنوا على الاعتقاد الصحيح . ونصبوا معالم الحق مبينين لأعمال طغاة بني أمية ، وواضعين معالم الدين ومؤسسين القواعد للمسلمين ، في ذلك العهد المظلم بالحجاج وأمثاله من اللجاج الذين ضايقوا المسلمين وضيقوا مسالك الدين ، فكانوا — أي الإباضية — المورد والمصدر للمؤمنين قبل أن يكون في الإسلام شافعي أو حنبلي أو مالكي أو حنفي ، كما أوضحنا ذلك في العسري الوثيقة ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

مذهب أهل عمان

اعلم لما كان تاريخنا هذا خاصا بعمان وحوادثها مع ما تعلق بها من أحوالها ، رأينا أن نذكر مذهب أهل عمان حتى يكون تاريخنا هذا أخذاً من كل شئون عمان .

اعلم أن مذهب أهل عمان هو المذهب الإباضي الذي عرف في عمان . وحضرموت واليمن قديما ، والعراق ومصر حتى تقلص ، والمغرب على الأكثر حتى شاع في نفوسة وطرابلس والجزائر وميزاب في العهد السالف ، وكان شيوع عقائده بين رجال الحق شاهراً ظاهراً لا ينكره منكر ولا يقدر فيه قاذح ، وكان الخوارج من رجال الإباضية الأشداء على أهل الأهواء ، حتى ابتدعوا مقاتلتهم الشوهاء ، ودخلوا بها على مجالس المسلمين فأنكروها عليهم ورفضوهم بها ، فأقصوهم وأبعدوهم عن مجالسهم ، وتبرعوا من مقاتلتهم ، وبذلك أطلق عليهم من جاء بعدهم اسم الخوارج ، وبه الصقوا السوء عليهم لتغيير الأمة عنهم ، ومصادق ما قلناه في مؤلفاتهم القيمة ، وكتبهم الصحيحة الواضحة . وأقوالهم الشهيرة الراجحة ، فإن الخوارج ضلوا الطريق وسلكوا المضيق ، وابتدعوا بالتأويل تشريك أهل التوحيد :

وأمة المختار فارقتهم وضللتهم وفسقتهم

فما للإباضية والخوارج ، فالإباضية مذهبهم في الصدق والوفاء مذهب أبي بكر الصديق ، ومذهبهم في الشدة والهدى مذهب عمر بن الخطاب ، وعقيدتهم في دينهم عقيدة نبيهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يداهنون في الدين ، ولا يعادون المسلمين ، ولا يفارقون المؤمنين ، يصفون ربهم بأوصافه الكاملة ، وينعتونه بنعوته الفاضلة ، وينزهونه عن

النقائص كلها ، ويعتمدون على الكتاب والسنة ، اعتمادا لا هوادة فيه ، ويقولون بالاجماع ويعملون بمقتضاه ، يأخذون بالرأى فى المختلف فيه ، ولا يرضون من أحد ما خالف منهج المسلمين مهما كان ومن كان •

فالمسلمون بايعوا أبا بكر رضى الله عنه حتى قضى نحبه ، ولقى ربه ، ثم اجتمعوا على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ووالده ووازيه وناصروه ، وكانوا معه لما كان مع الحق حتى انقضت أيامه ، ثم بايعوا عثمان بن عفان بعد الاجتهاد للمسلمين ، والنظر فى أمر الدين ، وواجبات رعاية منهج المؤمنين ، وأخذوا عليه العهود والمواثيق ، وأكدوا القضية بكل تأكيد صحيح ، اجتهدا لدين الله عز وجل ، وقياماً بحقوق الاسلام ورعاية لمصالح الأمة ، وكان عثمان من أفاضل رجال الاسلام مستور الأحوال الكريمة منشور الفضائل العالية ، محبوبا فى السواد الأعظم ، مقبول الحديث متبعاً فى الأقوال ، لا يبعدون عليه شيئاً ينكرونه فى دينه ، وقد اجتهدوا فى توليته تمام الاجتهاد ، إذ كان المقام مقام اجتهاد ونظر للمصالح والأصلح ، فبايعوه بعد ذلك كله ، وما كان لهم علم بالغيب فيما يحدث ، فإن أحسن فذلك ظنهم فيه وأملهم منه ، وإن زاغ عن الحق وراغ عن الطريق فلا إمامة له • وقد ناطحوا كسرى وقيصر وأبأنوهما عن عروشهما ، فكيف برجل منهم قوموه لدينهم ، وأمروه عليهم لا يكون عليهم ضربة لازب ، إذا لم يستقم لله ولم يقم بواجبات الأمة ، وتعوج عن الحق ، والحق أحق أن يتبع ، وما بعد الحق إلا الضلال ، فاستقام عثمان ست سنين من صدر خلافته ولم ينقم عليه شئ فكان على منهج صاحبيه ، والمسلمون كلهم تحت رايته ، ورهن إشارته ، حتى غير بعد ذلك وبذل ، فأنكروا عليه تغييره سيرة صاحبيه ، فعاتبوه أولاً لعله غافل

فينتبه ، أو جاهل فيعلم ، ومشوا معه حيناً من الدهر ، فما تحققوا رجوعه ولا فهموا منه إلا بقاءه على ما أنكروا عليه ولعل علياً كان حريصاً عليها لما يرى من الأهلية له فيها •

فقام على ابن أبي طالب قيام الأئمة العدول ، وعمل بأوامر القرآن الكريم ، وهابه أهل الباطل من رجال الدنيا والدين ، يتهاكون عليها وقاتل أهل الفتنة القائمين لقتاله المستترين عند العوام بطلب دم عثمان حتى قتل منهم ألوفاً ، وهزم صفوفها برجاله الأبرار ، وأصحابه المهاجرين والأنصار ، والتابعين لهم بإحسان حتى شوش عليه بعض أهل الأغراض الدنيوية حين رأوه حليف ذى الفقار ، وأليف العدل على كل جبار ، وعند ذلك تأمروا عليه ، إن هذا الرجل لا يرى لنا من الحق شيئاً ، ولا ينقاد لرغباتنا فهلم أن ندس له المكائد ، فنسجوا له نسجاً لا ينفلت منه إلا بدماره ، كما شرحنا في العرى الوثيقة ، وبيننا حقيقة على ومرام قومه •

ولقد خدعوه في قضية التحكيم من نواح عديدة أولاً قبولها إذ حملوه عليه ، فقبل راغماً ، وبذلك رجعت دولة على بن أبي طالب القهقري ، وتكسر ذلك العمود الذى احتملت عليه ، وانهار صرحها المحاط بذى الفقار ، فرجعوا يضررون رقاب بعضهم بعضاً ، وأوغلوا في الشقاق ولجوا في الافتراق ، وبقضية التحكيم وجد الشيطان مدخلاً بين المسلمين ، فقام فيها القيل والقال ، وطال بها الخطب وخلقت الدسائس ، وأخرج طلبة الدينار رعوسهم متطاولين على الامام ، منضمين الى أصداده ليلين كل واحد منهم غاية مراده ، فكان فريق يرى له التحكيم واسعاً ، وبعضهم يراه واجباً وفريق لا يراه واجباً ولا جائزاً ، وانشقت به عصا المسلمين ، وأصل وضعه ليتقوى أصداد الامام ، فخرج عنه أهل طاعته ، وسيوف

دولته ، رهبان الليل أسود النهار ، الذين لم يرضوا الواقع ولم يعرهم
الامام المسامح ، ولا رأى لهم ما طلبوا ففروا عنه إلى جانب ، فخافهم
الجاهل وهابهم الظالم ، ومال على قتلهم من يخاف سطوتهم ، فحملوا على
الامام على قتلهم بمكائد خلقوها ، ودسائس نسجوها ، وقد حكم الله
عز وجل في القضية المشار إليها في كتابه العزيز ، ولم يجعل حكم أمثالها
إلى أحد من المسلمين ، فكانت مثار القيل والقال والشقاق والجدال ، فرأى
بعضهم أن حكم الله في القضية واضح وليس للإمام أن يحكم فيه برأيه ،
وهي في الحقيقة من أهم المسائل التي لعبت بها أيدي الهوى ، وشوهت
حقيقتها تبريراً للطعن في المحكمة زوراً وجوراً ، وذلك أن الذين أنكروا
التحكيم بقولهم : لا حكم إلا لله ، لا يعنون غير مسألة قتال الفئة الباغية ،
لأن الله لم يجعل حكمها لعباده ، بل بينه عز وعلا نفسه ، وقد ثبت أن
الذين حملوا السلاح في وجه إمام المسلمين فئة باغية ، وزال الريب عن
بقى فيه ريب أو تشك بعد قتل عمار بن ياسر رضى الله عنه ، لقوله عليه
السلام له : تقتلك الفئة الباغية • ولم يقابل أحد من المسلمين هذا الحديث
بالرد أو بالطمع ، • بل أثبتوه وصدقوه ورواه علماء الصحابة ، فزال
به الريب بعد قتل عمار عن كان مرتاباً من الضعفاء ، فإن الرسول صلى
الله عليه وآله وسلم صرح فيه ، بأن قاتل عمار باغ بغير شك ، فتبين بذلك
أن المناصبين للإمام في صفين باغون عليه بحكم الكتاب والسنة ، والتحكيم
فيما كان كذلك لا يجوز ، فقال المنكرون له لا حكم إلا لله ، أى فيما
حكم الله فيه لا يصح أن يحكم فيه بخلاف ذلك الحكم ، وإلا كان رداً
لحكمه عز وجل والله يحكم لا معقب لحكمه •

وقد أكدت السنة أيضاً لحكم الكتاب ، ولكن المكابرين أبوا إلا أن

يصرفوا الحقيقة عن وجهها ، ويوردوها على غير موردها ، فحملوا هذه الجملة على العموم ، والواقع يناقضه ، وزعموا أيضاً أن المحكمة أرادوا إبطال الخلافة بقولهم لا حكم إلا لله ، مع أن الواقع أن المحكمة نصبوا الأئمة في كل قطر حلوا فيه ، قال العلامة أبو إسحاق الإطفيشى ، وجرى معهم في إنكار التحكيم الحسن البصرى ومالك بن أنس عالم المدينة ، كما ذكره المبرد في كامله ، وحكاه في ضحى الاسلام عنه .

واعلم أن رد الحق ونسفيه من أكبر الكبائر في الدين ، وقد عاتب بعض المسلمون على بن أبى طالب ، كالأشعث بن قيس ومن معه فتابعهم ، والمحنة تحتار فيها العقلاء ، قال الامام فعاتبوه فلم يعتبهم أى لم يصغ لعتابهم ، قال وخاصموه أى ظهر خصامهم عليه ، فكانت لهم الحجة واضحة المحجة ، مما ورد من النصوص قال الامام فهم أن يرجع اليهم وبترك ما صالح عليه البغاة من التحكيم في حكم الله ، فقامت عليه رؤساء قومه فأطاعهم ، فاعتزله المسلمون بعد أن خلع نفسه من الإمامة ، لأنه في تلك المدة لم يكن هو إماماً ولا أميراً للمؤمنين ، حيث الإمامة في يد الحكمين ينظران لها الأصلح ، مع أن الواقع لم يكن خصم الامام إماماً حتى ينظر في أى الإمامين أصلح للمسلمين ، وإذا كان الأمر كذلك فليس المسلمون الذين ينظرون الأصلح للمسلمين أبو موسى الأشعرى وعمرو بن العاص ، وهل يلزم المسلمين ما رأياه وحكما به كان صالحاً أو غير صالح ؟ وهل رضاهم بحكم الرجلين لازماً بالمسلمين ؟ وهل القضية مالية يهون أمرها على باذليها ؟ وإنما هى الدين الذى كلف الله به الأمة وإذا كان على راضياً بالتحكيم فكيف يقال إنه في ذلك الحال إمام ؟ فهذا من الأمور المتناقضة ، وإذا كان هو إماماً فكيف يسوغ له انتظار الحكمين وحكمهما ؟

وبالجملة فقد وقع على بن أبي طالب في خطورة هامة من قبل هذه القضية ، فنعوذ بالله من الفتنة .

قال الامام : ولما حكم على الرجال في إمامته ، اعتزله المسلمون وهو يظن أن الأمر باق في يده ، وهبته فقد أعطى اليهود والمواثيق على قبول حكم الرجلين ، فصارت الامامة يلعب بها الحكمان إن قدموه أو عزلوه ، فاعتزله المسلمون عند ذلك ، وقدموا على أنفسهم عبد الله ابن وهب الراسبي إماماً لهم ، قال : فسار اليهم على فقاتلهم بالنهروان حتى قتل جماعتهم الذين هنالك ، وهم قدر أربعة آلاف رجل لم ينج منهم إلا اليسير ، وهم يرون أن الموت هو النجاة عند الله ، وهو الروح الى الجنة ، فبقى من بقى منهم في الأمصار والنواحي ، وهم خلق كثير ، فبقوا متمسكين بدينهم ، عاضين على وصية النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في اتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ، متمسكين بما وجدوا عليه أسلافهم ، ثابتين على الحق غير مترعزين عنه كيفما كان الدهر لهم أو عليهم ، فنصبوا على ذلك الأئمة ، وباينوا الغواة من الأمة : وأذهبوا في رضى الله الأنفس ، وفارقوا على طاعته نساءهم وأبناءهم ومساكن يرضونها حتى أقاموا شعائر الدين ، وأناروا منار الإسلام ، وأعادوا شريعة الله على مستقرها . حتى ظهر الدين بين الخاص والعام في أفطار الأرض . فأظهروا للناس معالم الاسلام ، وذكرهم بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام .

ومذهب أهل عمان من قضية التحكيم مذهب الإباضيين على العموم ، فالقول فيها واحد ، والولاية والبراءة كذلك ، وما صح فيه احتمال فهو على ما كان عليه ، وقد ذكر بعض العلماء : أن على بن أبي طالب تاب

مما وقع فيه ، كما شهر بكاؤه وندمه على أهل النهروان ، والندم توبة ، ولا يرى بعض أهل المذهب هذا حجة توبة ، لأن توبته لا تحتاج الى شهرة وشيوع ، وقد حكى القطب ابن يوسف رحمه الله توبته في الهميان ، إلا أنها لم تثبت صحتها معه ، ويميل على عدمها ولنا في القضية كلام حافل في العرى الوثيقة من أرادته فليقصده يجده شافيا إن شاء الله •

وأهل عمان يأخذون عن الصحابة مطلقاً ما لم يبين لهم باطل فيما أخذوا ، كما هو مذهب عامة الاباضية ، والقرآن هو إمام المسلمين يقتدون بما جاء فيه ، فحلاله حلال عندهم ، وحرامه حرام أبداً لديهم ، ويؤولون تأويل أصحاب سيد آل عدنان ، إذ هم العرب الصراح ، وبلغتهم نزل القرآن ، فلا يجهلونه ، والناس تبع لهم فيه لا يرون لأحد مزيد علم على علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خصوصاً فيما يتعلق بأحكام الشريعة من عقيدة وغيرها ، مما يتطلبه الظاهر من الأمة ، وإن ادعى قوم أنهم أدركوا ما لم يدركه الصحابة في القرآن ، فمن الجائر ذلك ، ولكن الصحابة هم ترجمان القرآن ، وهم هداة الأمة ، وهم صروح الشريعة ، واليههم مقاليد أحكام الله العملية الدينية ، وإن أدرك قوم علوم الصنعة ونحوها من القرآن أو السنة ، فلا يعترضون عليهم ، بل يكون ذلك إليهم •

ومن مذهب الاباضية على العموم عدم الرؤية لما تدل عليه من النقص ، والله عز وجل منزّه عنه ، وأهل عمان يعتقدون كمال الله من جميع النواهي ولا يرون مذهب معتقداً إلا منهاراً لا ثبات له بحال ، ومن مذهبهم إثبات الحقوق التي جاء بها القرآن كلها ، لا إنكار لشيء منها أبداً ، وهي حق ذي القربى وحق الجار ، حق الصاحب بالجانب ، وحق اليتامى ، وحق المساكين ، وحق أبناء السبيل ، وحق الوالدين ، وحق ما ملكت اليمين أبراراً كانوا أو فجاراً ، وحق الأمانة ، وحق الوفاء

بالعهد لقومنا ولأهل ذمتنا ، وحق من استجار بنا من قومنا وغيرهم ، وحق الأمن للكاف عن قتالنا المعتزل بنفسه عنا من غير أن نشك في ضلالة من حاد عن مذهبنا ، وحق الدعاية الى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وحق موالاته المحقين في الدين أيا كانوا من الناس وفي أى موضع كانوا من أرض الله عز وجل ، وحق مفارقة أهل الباطل ومعاداة أهل الضلال وموالاته المحقين رغم أعداء الدين ، ومن عادى المسلمين أو مالا على قتالهم أو أعلن عليهم أو دل عليهم أو على عوراتهم أو كاتب أعداءهم مباينة لهم ، أو كاد امام المسلمين أو غشه أو خانته أو خادعه أو خذله عند القدرة على نصرته لكننا في كل هذه الأحوال لا نحكم فيهم بحكمنا على عبدة الأوثان ، ولا يحكنا على أهل الكتاب ، فلا نقبل منهم جزية ، ولا نعد أموالهم غنيمة ، ولا نعاملهم معاملة المشركين كما يفعل الأزارقة الذين يحكمون على من خالفهم بحكمهم على المشركين ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يحكم فيهم بذلك ، ولا حكم فيهم بذلك أئمة المسلمين ، وهم علماء الشريعة وهداة الأمة الى الحق والى طريق مستقيم •

وكفى قدوة لنا على بن أبى طالب في هذا المقام ، فإنه لم يحكم فيهم يوم الجمل بحكم المشركين ولا في صفين ولا في النهروان ، بل قال إخواننا بغوا علينا وذلك واضح شهير عند علماء الملة وأئمة الدين •

قال الامام السالمى رحمه الله : ومن أنكر الحق واستحب العمى على الهدى ، وفرق المسلمين وعاندهم فارقناه وقاتلناه حتى يفىء الى أمر الله أو يهلك على ضلالتة من غير أن نزلهم منازل عبدة الأوثان ، فلا نستحل سبيهم ولا غنيمة أموالهم ولا قطع الميراث منهم ، خلافا للخوارج الصفرية

والأزارقة والنجدية ، المانعين لموارثة ومناكحة مخالفينهم ، لأنهم مسلمون موحدون ، يقرّون بالقرآن ويقرّعون ويصلّون ويصومون ويذكّون ويحجون ، فهم بذلك مسلمون في الجملة وإن ضلوا بالتأويل الذي تشبه لهم ، فلا يخرجون بذلك عن حكم المسلمين في الجملة .

ومن مذهب الإباضية بعمان عدم الرضا بالفتك بمن خالف المذهب ولا قتلهم في السر ، وإن كانوا ضلّالا ، لأن الله لم يأمر به في كتابه ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين ، أي أن المشركين في مكة كانوا اضطهدوا المسلمين ، وفي إمكانهم قتلهم غيلة لو أرادوا ، لكنهم لم يفعلوا ذلك فكيف نفعله نحن الآن بأهل قبلتنا ، وقد أمر الله عز وجل نبيه أن ينبذ إليهم على سواء ، فقال : (وإما تخافن من قوم خيانته فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين) .

ومن مذهب أهل عمان جواز مناكحة قومنا ، وكذلك موارثتهم ، ويخالفون لمن أجاز الفتك بقومنا واغتيالهم ، ومن أجاز قذفهم بالزنى ، فما داموا يستقبلون قبلتنا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا ، لأنهم مسلمون في الجملة ، وقد كان المسلمون يناكحون المنافقين ، ويظهر من المنافقين من المعاصي أكثر مما يظهر اليوم من كثير من قومنا ، وكيف يحس أن يقذف أحد بالزنى بما لم يفعل خلافاً للخوارج الذين يستحلون ذلك ، والله يقول الحق ويأمر به ، والقذف بالزنى بغير حق قول بغير علم ، والخوارج يستحلون ذلك ، وهم مضلون لأنه تقول على عباد الله بما لم يفعلوا .

ويحرم المذهب الإباضي على المسلم مهما كان القول بتحليل الزنى ويبرأ منه ويعاديه ، لأنه مصادم للنص القرآني ، هذا إذا كان متأولاً ، أما إذا كان مصادماً للنص فهو مشرك حلال اللحم والمال ، ولا يرى المذهب الإباضي استعراض أحد بالسيف ما دام يستقبل القبلة ويتظاهر بامتثاله لأوامر الدين ، ولو كان على ضدها في الباطن .

ولا يرضى المذهب العمانى قتل الأطفال مهما كانوا أغنى أطفال الكفار ، لأنهم لا تكليف عليهم ولا توجه اليهم خطاب التكليف ، لا سيما فإن الرسول عليه الصلاة والسلام سأل الله فى اللاهين فأعطاه إياهم خدماً لأهل الجنة ، ذلك لأن الله عدل لا يجوز عليه أن يعاقب من لم يعصه ، والأطفال لم يتبين منهم عصيان ، ولأن الفطرة الدينية شاملة لهم . والمراد باللاهين أطفال المشركين ، وسموا لاهين أى غافلين أى لم يتوجه اليهم خطاب الشارح ، فكيف يعاقبون على غير آثام اقترفوها ، وليس من العدل عقوبة غير المستحق ، والله العادل الحقيقى ، وهذا هو الشائع فى أطفال المشركين ، وجاء فيهم غير ذلك مما أنار اليه قوله عز وجل : (ألحقنا بهم ذرياتهم) ونحوها ، والله أعلم بما كانوا عاملين أن لو عاشوا ، وعلى كل حال لا يصح قتلهم ما داموا أطفالاً ما لم يقاتلوا ، ومن قاتل منهم يقتل .

ولا يستحل المذهب الإباضى فرج امرأة رجل تزوجها بكتاب الله وسنة نبيه ، عليه الصلاة والسلام ، حتى يطلقها وتعتد منه عدة الطلاق أو يموت عنها ، فتعتد منه عدة الوفاة ، ولا يقول المذهب بالهجرة من دار قومنا لهجرة النبى صلى الله عليه وسلم من دار قومه ، لأنه أمر بذلك ولم نؤمر نحن بذلك ، ومن خرج من دار قومه حاجاً أو زائراً أو طالب علم أو مجاهداً فى سبيل الله ، ثم عاد الى دار قومه يبرأ منه إن سبقت له ولاية ، إذ لا يلزم أحداً أن ينتقل من داره التى كان فيها لما كان بها من الشرك ، فكأنه اختارها على دار الاسلام ، ولا بتولى أهل المذهب إلا من علموا منه الوفاء بدين الله ، وأداء الواجب من حق الله عز وجل ، ويبرعون من المصرين على المعاصى من أهل دعوتنا ، لأن المقصود بالذات

الحق وحدة ، حتى إذا تاب العاصي ورجع عن عصيانه ، وأتاب الى الله كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم على العموم ، وليس للنفر القليلين المستضعفين أن يبايعوا إماماً إلا على الجهاد لأعداء الله ، وإقامة شعائر الدين والقيام بحقوق الاسلام ، وإلا كانت بيعتهم رداً عليهم ، فإذا بايعوا إمامهم على الطاعة لله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فليس لهم الرجوع عن ذلك أبداً حتى يهلكوا في سبيل الله أو يظهروا على عدوهم ، لأن ما عقد على طاعة لا يجوز الرجوع فيه قبلى تحقق المعجز ، ومن باع نفسه لله فعليه الوفاء ببيعته لله : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية .

وولاية من علم صلاحه في الدين واستقامته على منهج المسلمين تجب ولايته أيا كان ولو لم ندركه ، ولو كان من الأمم الأولى لعموم الدليل الوارد في المقام بنصه العام إذا قامت الحجة بعدالته ، وكذلك من كان من أهل الظلم أيا كانوا ، وفي أى زمان كانوا منا أو غيرنا في وقتنا أو قبلنا .

ومن مذهب أهل عمان البراءة من كل ظلم ، والوية لكل محق ، ولا يسبون المذاهب الأخرى ، ولا يقولون فيها انها خارجة عن حدود الإيمان ، ولا ينفرون عن خالفهم ، ولا يسمعون أهل الأهواء في أضدادهم ، ويكلون أمرهم الى خالفهم ، ولا يطيعون الملوك الجورة إلا تقية لهم ، ولا يجبرون أحداً على مذهبهم مهما كانت الغلبة لهم ، ولا يزيدون في الأمور الشرعية شيئاً لم يفعله الرسول عليه الصلاة والسلام ولا الخلفاء الراشدون ، سواء كان في الأذان أو في الإقامة ، أو في سائر الصلاة .

ويرضى المذهب العماني من المذاهب الأخرى أن يكفوا عن سب أى أحد من الصحابة ، وألا يقدحوا في مذهب المسلمين ، وألا ينكروا الحق

ولا يعينوا الظالم في ظلمه ، لا يصرفوا تأويل القرآن الى مقتضى أهويتهم ، ولا مبرر لهم ولا دليل على ذلك لديهم ، كما صرف بعض أهل المذاهب تأويل ثلث القرآن أو قريب منه في على بن أبى طالب وأولاده بغير دليل ، وألا يقدح الشيعة في أبى بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين . وألا يقول الخوارج على الله إلا الحق ، ولا يرغبوا عن سبيل المسلمين ، وألا يطعنوا في أحكامهم ، وأن يحسنوا الظن بالمسلمين ، وألا يعارض المرجئة عقيدة أهل الحق : ولا يتدخلوا في الضعفاء فيضلونهم بغير علم ، فإن الدين قول وعمل واعتقاد . ولا يكفى واحد عن الاثنين إذا قامت الحجة على ذلك ، وإلا كانوا أضر على الاسلام من اليهود والنصارى ، وأن يبرأ الناس من دعاة الظلم وأعوانهم ، وعلى الأقل لا يبرعوا ممن قولاه الإباضية ، ولا يتولوا من برعوا منه ، وعلى أقل الأقل إن رأوا ذلك ألا يظهروه للمسلمين ، وإلا يفارقوا أهل الحق مهما كانوا أقوياء أو ضعفاء ، وأن يوقنوا بحكم القرآن ولا يعترضوا على المسلمين في سبيل دعوتهم الى الله ، وألا يقدحوا في أئمة المسلمين وعلمائهم ، وألا يسفها أحلامهم ، وألا يعينوا بغاة الأمة على المحقين منهم ، فإن إغاة الباغى تفضى الى الكفر ، وألا يؤووا ولا يناصروا أحداً قام المسلمون عليه ، فإن مآواته مناصرة له .

ويكتفى العمانيون من سائر فرق الإسلام ألا يعترضوا عليهم في أحكامهم ، ولا يكونوا حبر عثرة لهم في سبيل سيرهم الى الله عز وجل ، ويرضى الإباضية من أهل البدع الضالة أن يستقروا بدعتهم ، ولا يظهروها وسعنا بذلك السكوت عنهم وأمرهم الى الله ، ويرضى الإباضية العمانيون من بقايا الناس أن ينتقوا الله ربهم ، ولا يجعلوا حكمه عز وجل تبعاً لحكمهم ، بل الله يحكم لا معقب لحكمه ، وألا يتمسكوا بطاعة قوم ضلوا

أم اهدتوا وألا يتابعوا عاصي الله عز وعلا ، وألا يركنوا إلى الظالم ، فإن الله نهى عن الركون إلى الظلمة وألا يعينوا باغياً على محق ، ولا عذر لهم في الجهل ، بل أقل ما يلزمهم الوقوف عما لا يعلمون ، فإن الله لم يأذن لأحد أن يعطى عهده من يعصى أمره .

والإباضية العمانيون يدعون أن يطاع الله ولا يعصى في قليل ولا جليل ، وأن يحل كل حلاله ويحرم حرامه مهما كان ، وألا يستهان بالحقوق الدينية أو الإنسانية ، وأن يقدم في الأحكام كتاب الله على غيره ، وأن يعمل بسنة الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وسنة خلفائه الراشدين ، ليس للإباضية الغلو في الدين أو الغشم على المسلمين ، ولا التعدى على أهل القبلة في قتل ولا نكير ، فأموال البغاة لهم ، ولا تحل غنيمتهم ولا سبي ذراريهم بما عندهم من الاسلام ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ما أباح ذلك منهم ، ولا فعله فيهم ولا خلفاءه الراشدين رحمهم الله ورضى عنهم ، وأن حكم المرتد معنا عن دينه حكم رسول الله فيه لا زيادة ولا نقصان ، إذ لم يسر عنا إلى جوار ربه إلا بعد كمال الدين : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) فتم الدين بشهادة القرآن ، وكمل في أحواله كلها بشهادة سيد المرسلين ، شركتكم على المحجة الواضحة ليلها كنهارها ، لا جهل ولا تجاهل ، إنا نحرم حرام الله في كل أحوالنا إلا ما اضرنا إليه ، ونحل ما حلل الله لنا في عسرنا ويسرنا في بلادنا أو بلاد قومنا ؛ وطعام الذين كفروا حل لنا بنص القرآن ، وطعامنا لهم كذلك أيضاً كما جاء في الكتاب العزيز ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مهما كان المطاع ، وفي كل زمان ندعو الى الله والى رسوله والى سيرة خلفائه الراشدين ، لا نرى أن نفارق شيئاً من ذلك ، لا نتبدل

للقوانين بالشريعة ، ولا نود أن يفارقنا قومنا من كانوا ومهما كانوا في
أى بقعة من الأرض ، ولا نقول في الدين بما لم يأذن به الله ، ولا نعتقد
الاستيواء القعود في حق الله عز وجل ، بل هو الملك والقهر والاستيلاء
لا غير ، ولا نقول الشفاعة لأهل الكبائر ، لأن هذا القول يناقض القرآن ،
ولا نقول بخروج العصاة من النار كذلك ، فإن هذا فيه النصوص
الحريجة ، ولا نقول إن الكفر كله معناه الشرك ، ولا نشرك أهل القبلة
بمناصيهم ، ولا نرضى أن نتعدى ما حد الله لنا من الحدود ، ولا نقصر
في شيء منها ، فإن التقصير فيها من التعدى عليها ، ولا نرضى بالتهاون
فيها ، ولا نقول في صفات الله عز وجل إلا بما يناسب جلاله الأعظم ،
ولا نرضى انتقاض أى صفة من صفاته ولا نقيس صفته على صفات
مخلوقاته ، ولا نقول بنزوله ولا صعوده ولا حركته ولا سكونه في أى
شيء مما لا يليق بجلاله الأقدس وكماله الأنفس ، وأنه الواحد المالك الخالق
القادر الرازق الأول الآخر الحى القيوم ، ولا نقول بالشفاعة لأهل الكبائر
من العصاة ، لأنه دعاية باطلة وخدعة شيطانية لا يعول عليها إلا مغتر
بالهوى ، وأن للشيطان دسائس وعلينا أن نحذرها في كل وقت لا نترزعزع
عن المنهج الحق لأجل الأهواء الضالة أو الجاهلة أو المخدوعة بالأهواء
المضلة ، نعوذ بالله منها •

قال إمامنا السالمى رحمه الله : الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والقرآن
إمامنا ، والسنة طريقنا ، وبيت الله الحرام قبلتنا ، والاسلام ديننا ، وهو
من الإيمان ، والإيمان من الاسلام ، والتقوى من الإيمان ، والبر والوفاء
من الإيمان ، بعض ذلك من بعض على استكمال الإيمان بما فيه بمعنى ، أن
هذه الأشياء متلازمة لا ينفك بعضها من بعض ، ولا يغنى بعضها عن

بعض ، خلافاً للمرجئة ، ومن الإيمان إقامة حدوده والعمل بحقوقه ، ولا يثبت الإيمان بانتقاض فرائض الله ، لأن الإيمان العملى من الايمان الاعتقادى بمثابة الجسد من الروح ، أو الروح من الجسد ، لا يصح شىء منها إلا بكمال باقيها ، ولا إيمان لمن أقام على محارم الله ، وعروة الإيمان هى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله ، وأن ما جاء به حق ، والإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر وبالكتاب والنبين ، وبالجنة والنار ، وباتيان الساعة لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإتيان الأول والتباعد من الثانى ، وإقامة الصلاة بمواقيتها ، والحضور لها فى الجماعة ، وإقامتها كما هى لا زيادة فيها ولا نقصان منها ، وكل ذلك إيمان ، فإن خصال الإيمان إيمان ، والإيمان كما قدمنا اعتقادى وقولى وعملى كما هو مبسوط فى المطولات ، وخاصة التوحيد والإيمان كلها تحت قوله عز وجل : (ليس كمثله شىء) الآية فهذه هى المحيطة بكل التوحيد كما كشفنا ذلك فى سلم الاستقامة ولامية التوحيد ، وقد أغنى ذلك عن إعادته هنا ، وإنما ذكرنا هنا غالباً الإيمان العملى الذى عليه أهل عمان ، وبالأخص للفرق التى تجهل ما عليه أهل عمان فى العقيدة لعدم اطلاع الناس على ما عليه العمانيون ، لأن المشوهين من أعداء الدين قد نفروا الناس عن العمانيين بأنهم خوارج ، ولا يعلم أهل عمان ما يثبت وراءهم من الأحاديث السيئة والأحداث الفاحشة ، وللحق أعداء وهم أهل الباطل ، وإذا لم يحارب الباطل وتحكم فى أعناقه أسياف الحق ، فسرعان ما ترى الحق يهوى تحت أقدام الباطل ، والله لا يرضى لعباده الكفر ، وإن يشكروا يرضه لهم ، والله يعلم المفسد من المصلح .

ومن مذهب أهل عمان كما قال الامام : وجوب الجماعة فى الصلاة ،

ولا يؤمن لها ولا يقنت فيها ولا يقصر على المسح على الخفين ، قسبال
أبو إسحاق : وذلك أن التأمين لم يثبت عند أصحابنا ، والقنوت لم
يصح أو منسوخ ، وكذا المسح على الخفين منسوخ بآية الوضوء ،
وأهل عمان يقولون من أصله لم يصح ، قال الامام : والقصر أى للصلاة
فى السفر دون الحضر ، وكذا الجمعة فى الأمصار المصرة مطلقاً
إذا أقيمت فى وقتها ، وعلى شروطها الثابتة ، وعند أئمة العدل فى الأمصار
الغير المصرة إلى آخر خصال الإيمان أ ه .

سلسلة مذهب أهل عمان

اعلم أن مذهب أهل عمان متسلسل من عهد الرسول عليه الصلاة والسلام بنقلة وأئمة هداة وعلماء أثبات ، شهر مقامهم بين رجالات الإسلام ، وعرف منهاجهم بين قادة الأنام ، وما كان من ابن إباض رحمه الله ورضى عنه وما يتعلق بذلك ، فقد كشفنا ذلك كله كشفاً واضحاً في كتابنا « أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج » وذكرنا طبقات العلماء على إجمال إلى عصرنا هذا ، ونذكر هنا ما يكون جمالا لتاريخ عمان كما ذكرنا قسماً مهماً منه أيضاً في كتابنا « المعري الوثيقة على كشف الحقيقة » والحمد لله الذي أعان عليهما .

وهنا نقول إن : مذهب أهل عمان تنقله غطاحل الرجال الذين هم في الدين أشهر من نار على علم ، وأول ناقل له الهمام مازن بن غضوبة السعدي ، وهو معروف في التاريخ العماني ، فهو صاحب عماني ، ثم كعب بن برشة الطاحي الصحابي ، ثم صحرار بن العباس العبدى العماني الثالث ، ثم أبو شداد العماني الصحابي الرابع ، ثم عمرو بن العاص القرشي السهمي الصحابي الخامس .

هؤلاء الأتسياخ الأجلاء والهداة الأدلاء ، والزعماء الأولون حملوا إلى عمان الدين الإسلامي ، وعلموا أهل عمان أصوله وفروعه وواجباته ولوازمه ومقتضياته ، وتفقه أهل عمان منهم قبل كل أحد ، وبعد ذلك انتشر الإسلام في عمان انتشار ضياء الشمس بعد الظلام ، حتى عم عمان أولها وآخرها ، ورسخ رجالها الأبطال وعلمائها الفطاحل كالإمام أبي

الشمطاء ، والإمام الربيع بن حبيب راوى المسند الصحيح ، وضمام
بن السائب الندبى العمانى ، وجملة من أهل العلم العمانيين ، ومنهم
سبعون راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص إلى المدينة بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفيهم عبد بن الجندى سيدهم
وزعيمهم •

ومن نقلة العلم من أهل عمان إلى عمان وإلى العراق كثيرون
لا يحصون عدداً إلا أن طبقاتهم متفاوتة ، أما من نقلوا فقد نقلوا عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ونقلوا عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى
بن أبى طالب ، ونقلوا عن عائشة أم المؤمنين السيدة المصونة التى تحوى
شطر الدين عن سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ، ونقلوا أيضاً عن
العبادلة الثلاثة ، وهم عبد الله بن العباس حبر الأمة وبحرها الزخار ،
وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن الزبير ، وعن عبد الله بن
عمرو بن العاص ، ونقلوا أيضاً عن أنس بن مالك وأبى هريرة رواية
الدين ، وعن أبى سعيد الخدرى ، وعن عبد الرحمن بن عوف أيضاً
كذلك ، وعن عمار بن ياسر ، وعن عبد الله بن مسعود حضيرة الفقه : وعن
أبى ذر ، وأبى عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ،
وسلمان سيد الفرس ، وصهيب إمام الشورى ، وزيد بن صوحان المقتول
شهيداً يوم الجمل ، ونقلوا أيضاً عن خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين ،
وعن محمد وعبد الله ابنى بديل ، وحرقوق بن زهير السعدى أحد
المشهود لهم بالجنة ، وعن زيد حصن الطائى الذى نعتة عائشة المقتول
فى النهروان •

قال الإمام السالى رحمه الله : هؤلاء الذين ذكرهم أبى المؤثر ،

قلت : وهم علماء الصحابة وسادة أمة الإجابة رحمهم الله ورضى عنهم .
قال : ولأصحابنا نقل كثير عن غيرهم ، لكن قال أبو المؤثر رحمه الله :
إنهم أخذوا أيضا عن كثير من رجال العلم وأعمدة الحق من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ممن أنكر المنكر على أهله ، وممن
شهد يوم الدار ويوم الجمل ويوم صفين ، وممن شهد النهروان مسع
المسلمين ، وممن لم يشهد هذه المشاهد ممن مات على دينهم ومن مات
قبل اختلاف الأمة ، فهم أئمتنا وأوليائنا رحمهم الله ، لا ينكر فضلهم
ولا يجهل شرفهم .

ثم بعد الطبقة الثانية وهم : عبد الله بن وهب الراسبي وأصحابه
الذين جاهدوا معه يوم النهروان حتى استشهدوا رحمهم الله على الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر .

ثم أهل الطبقة الثالثة وهم : فروة بن نوفل الأشجعي ، ووداع
بن حوثة الأسدي ومن كان معهما يوم النخيلة رحمهم الله .

ثم أهل الطبقة الرابعة ، وهم : قرييب ، والزحاف وأصحابهما
الذين جاهدوا في الله حق جهاده ذكرهم الامام أبو إسحاق الحضرمي .

ثم أهل الطبقة الخامسة وهم : المرداس بن حذّير ، وأخوه عروة
وممن معهما وهم الأربعون الذين شاع ذكرهم في عالم الاسلام بكل فضل
في الدين ، ومن باعوا نفوسهم لله حتى سالت أنفسهم على الحق .

ثم الطبقة السادسة وهم : عبد الله بن إياض ، وأبو الشعثاء جابر
بن زيد ، وصحار بن العباس العبد ، وجعفر بن السماك ، وحتات بن كاتب ،
وأبو عبيدة الضريير وهو أبو عبيدة الكبير العالم النحرير ، وأبو نوح صالح
بن نوح الدهان .

ثم الطبقة السابعة وهم : عبد الله بن يحيى الكندي المعروف بطالب الحق إمام أهل اليمن ومن معه من الرجال كالمختار بن عوف المعروف بابن حمزة أحد أبطال العلم ، وأقيال السنان ، وأبو الحر علي بن الحصين ، ومن استشهد معهم في جهاد أهل البغي رحمهم الله .

ثم الطبقة الثامنة وهم : بن حبيب بن عمرو والفراهمي البصري ، وضمام بن السائب الندبي ، وأبو منصور الخراساني ومن معهم في أيامهم .

ثم الطبقة التاسعة وهم : الجندي بن مسعود الإمام ، وأبو الخطاب إمام أهل المغرب ، وعبد الرحمن بن رستم الفارسي ، ومن كان في طبقتهم وهم أفاضل الأمة في زمانهم .

ثم الطبقة العاشرة وهم : محبوب بن الرحيل ، وهاشم بن عبد الله الخراساني ، وموسى بن أبي جابر ، وبشير بن المنذر ، ومنير بن النير الجعلائي ، وهشام بن المهاجر ، وعبد الله بن أبي قيس ، وسعيد بن البشر ، وعلي بن عزرة ، وهاشم بن غيلان ، وسليمان بن عثمان ، وعبد المقتدر بن الحكم ، ومحمد بن هاشم بن غيلان ، وموسى بن علي ، وسعيد بن محرز ، والوضاح ابن عقبة وأضرابهم ، فهؤلاء الأئمة الأجلاء والأساطين الفخام هم مقدمة رجال الإباضية الذين هم معروفون في السماء ، وإن أنكرهم أهل الأرض يأخذ بعضهم عن بعض من معاصريهم وغيرهم ، ذكرناهم لا على الترتيب الزمني كما ينبغي ، لأن هذا يحتاج إلى فراغ واسع يأتي على ذكر منازلهم العلمية ، وطبقاتهم الزمنية وأسمائهم القبائلية ، وأعمالهم العلمية ومؤلفاتهم الثمينة التي يحق لها أن تكتب بماء الذهب على وجنات الحور ، فقد قاموا رحمهم الله ورضي

عنهم مقاماً يحق له الإكبار ، وجاهدوا واجتهدوا في حق دين الله عز وجل ، وأدوا واجبهم حتى انقضت أيامهم ، وجاء من بعدهم من أقاموا منار الدين ، وكشفوا عن منهج سيد المرسلين ، وابتلوا بالأمة حيناً من الدهر ، والله يجزيهم رضا ويهديهم إليه سبيلاً (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سلبنا وإن الله لمح المحسنين) أما ذكر أئمة كل قرن على حدة فهذا شاق إذ ما من قرن إلا والأهل عمان فيه علماء عديدون ، وفقهاء كثيرون ، وعلماء عمان هم فقهاء الشريعة ، لم يتخصص منهم أحد في غير الفقه ، وإن نال بعضهم من غير الفقه حظاً فغالباً يكون ذلك كالنادر ، وقد اشتهر بالطب منهم جماعة كمحمد بن هاشم الطبيب الرستاقى المشهور ، وهو صاحب لأمية الطب ، وإن كان لبعضهم في الطب أيادٍ إلا أنها بالعنى المعروف عند العرب ، ولهم في الطب النبوى نصيب ، لأنه شرعى فهو في علوم الشريعة الرعيل الأول ، ومن بعدهم غيرهم من علماء الأمة ، فهم رواة الحديث ولهم فيه السبق على غيرهم فإن الامام الربيع بن حبيب أول من ألف فيه المسند الشهير بالجامع ، إذ جمع فيه أمهات الأحكام من جوامع كلمه عليه الصلاة والسلام ، وعليه بنى المسلمون قواعد مذهبهم الصحيح ، ولم يذكره المؤرخون لعدم اطلاعهم عليه ، فإنه لم ينشر وبالأخص لم يطبع ، فانظر ما يقوله العلامة التنوخى فيه ، ولهم في علوم الأدب المقام الأكبر بالخليل ابن أحمد الفراهيدى ، وابن دريد وأضرابهم ، وفي التاريخ كذلك إلا أن غيرهم فيه لهم أكبر اعتناء وأعظم عمل كابن الأثير وابن خلدون والطبرى وغيرهم .

وإذا أردنا أن نذكر علماء عمان في كل قرن أعنى مشاهيرهم الأجلاء فالإمام أبو التعماء جابر بن زيد ، والربيع بن حبيب ، وأبو عبيدة ومن

مهمهم ، فهم علماء القرن الأول للهجرة • ولا يرد علينا أن هؤلاء بصريون بل يقول هم عمانيون بغير شك ، وإن أقاموا بالبصرة فقد صارت البصرة عمانية بكل معنى الكلمة ، إذ كان علماءها هؤلاء ، وهم عمانيون ، وأميرها المهلب بن أبي صفرة وهو عماني بغير شك ، فهي عمانية به وبقومه الأزدي من أهل عمان •

أما علماء القرن الثاني فهؤلاء وآخرون جاءوا من بعدهم ، فإن الإمام الجلندي بن مسعود رحمه الله في أول القرن الثاني كما سوف نراه في محله إن شاء الله ، قال الإمام رحمه الله وهو يذكر الإمام الجلندي قال قال : أبو الحسن البسياني ، وكان في أيامه ، أي الإمام الجلندي حاجب ، والربيع ابن حبيب بالعراق ، وعبد الله بن القاسم ، وهلال بن عطية الخراساني وخلف بن زباد البصري ، وشبيب بن عطية العماني ، وموسى بن أبي جابر الأركاني ، وبشير بن المنذر الفزواني ، ومنير بن النضر الجعلائي ، وهو من بنى خضرمي بن ريام قتل رحمه الله في وقعة دما من الباطنة أيام ابن بور ، قال : وكان هؤلاء بعضهم أكبر من بعض ، واقتدى بعضهم ببعض ، ومنهم الحسن بن عقبة ، والوليد بن خالد ، وموسى بن سعيد ، وجعفر بن بشير ، ومعين بن عمر ، ولوط بن سام ، وحميم بن المغيرة ، والهمام بن المغلس ، والنير بن عبد الملك ، وعبد الله بن أبي ، وعمام بن همام ، ومحمد بن عبد الله بن سوم ، وعمر بن يحيى ، وحميد ابن عبد الله ، ويحيى بن يزيد ، وعمر بن عبد الله ، ثم وصفهم بأوصاف عظيمة عند المسلمين ستأتي إن شاء الله في إمامة الإمام الجلندي بن مسعود رحمه الله ورضي عنهم •

قال : ومنهم أبو صالح الوضاح بن عقبة ، ويحيى بن نجيع ،

وكلهم عيالهم فقه وأئمة هدى ، بل كاد أن يكون أيام الامام الجلندى كل أهل عمان علماء ، أو قل على الأقل أهل ذلك القرن .

ومن علماء القرن الثانى أيضا : شبيب بن عطية العماني الذى قام بالأمر احتساباً ، وكان من مشاهير أصحاب الامام الجلندى رحمهم الله ، وعبد الوهاب بن جيفر ، ومحمد بن عبد الله بن حساس ، وأبو جعفر سعيد بن محمد ، وسعيد بن محرز ، ومحمد بن محبوب الرحيلي القرشى ، ومحمد ابن هاشم ، وسبق ذكر أبيه هاشم بن غيلان ، والأشعث ، بن محمد ، ومحمد بن المعلى الكندى ، ومحمد بن عبد الله زميل الشيخ موسى بن على ، وعبد الله بن محمد بن روح ، ووائل بن أيوب ، والصلت بن خميس المعروف بأبى المؤثر البهلوى وهو خروصى النسب ، وعلى بن عزرة ، وسليمان بن عثمان ، ومسعدة بن تميم اللذان عقدا على الامام غسان بن عبد الله ، لأنه لما مات الامام الوارث رحمه الله قال سليمان بن عثمان : نريد أن نكتب لأهل السر بالحضور ، أى للعقد على الامام الثانى الذى يلى الوارث فقال مسعدة : يريد ابن عثمان أن تؤخر هذا الأمر الى أن يجتمع إلينا الناس ، أو قال غوغاء الناس فيختلفوا علينا ، بل نقطع الأمر قبل الاختلاف ، فإذا جاء الناس وجدوا الأمر مقضياً ، والأمور منتهية ، والأحوال قادرة على قرارها ، ومنهم هارون بن اليماني الشعبي الشهير فى أيام الإمام بالمهنا .

وأما علماء القرن الثالث فهم : هؤلاء المذكورون ومن التحق بهم ، وهم زيادة بن الوضاح ، ومبارك بن جعفر والحكم بن بشير ، والأزهر بن على ، وعلى بن عزرة ، وجعفر بن زيادة ، وعبد الله بن أبى قيس ، وعبد الله بن نافع ، ورايس بن يزيد ، وأبو مالك بن هزبر ، والأشعث

ابن محمد ، والأزهر بن عبد الملك ، وعبد العزيز بن عبد الرحمن ، وعمر بن الأحنس الذى صلى بالناس الجمعة .

مرض الامام الملك بن حميد اعتباراً لبقاء الامام ، إذ كانوا مجتمعين ، إذا مات الامام أقاموا عنه آخر مقامه ، فلم ير موسى بن علي رحمه الله النقض عليهم ، وكان العلماء يومئذ يعقبونه الرئيس لهم ، وهو قدوتهم ، ورآه ابن محبوب وهو الرئيس الثانى لأهل العلم ، وكان رأيه فى القضية لأن كل واحد منهما يحمل على وجه من أقوال أهل العلم ، وبسط ذلك فى الفقه ، ومن العلماء يومئذ صقر زائدة ، ومن العلماء العباس ابن زائدة ، وزيايد بن مثوبة ، والمنذر بن بشير ، ورباط بن المنذر ، ومحمد ابن أبى حذيفة ، وهاشم بن الجهم ، وعبيد الله بن الحكيم ، وهؤلاء من جملة المعاقدين للإمام الصلت بن مالك رحمهم الله ، ورئيسهم محمد ابن محبوب ، والشيخ أبو عبد الله بن محمد إبراهيم بن سليمان ، وعمر بن محمد الضبى ، وموسى بن محمد بن علي ، وعزان بن الهزير ، وزاهر بن محمد بن سليمان ، وعزان بن تميم ، وشاذان بن الصلت ، ومحمد بن عمر بن الأحنس ، وغدانة بن محمد ، وهؤلاء هم الذين بقوا متمسكين بإقامة الصلت بن مالك رحمه الله .

وبالجملة إذا ذهبنا إلى ذكر علماء عمان فى كل قرن يضيق بنا الوقت ، فهؤلاء العلماء المعدودون ، وأولهم زياد بن الوضاح ، ومبارك بن جعفر ، والحكم بن بشير ، إلى غدانة بن محمد ، هم إلى عهد الامام الصلت بن مالك ، والامام الصلت المذكور كان بويح بالإمامة لسنة عشر خلت من ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين ، فهو فى صدر القرن الثالث ، وكان العلماء المشاهير الذين لهم فى الأمة الحل والمقد لا يحصون

عدداً ، ثم طال عهد الصلت بن مالك ، إذ عاش في الإمامة إلى عهد سنة اثنتين وسبعين ومائتين ، فكانت امامته خمساً وثلاثين سنة ، نشط فيها العلم وقوى سوقه ، وطالت أغصانه ، وأثمرت أيام الصلت بن مالك الثمر الحلو في عمان ، وانتشر العلماء في عمان ففى كل بلد تجد أجلة العلماء ، وغصت العواصم العمانية بهم ، وكان سلطان الإمامة بالغاً حده ، وعمان في ذرة الشرف وأهلها يتسابقون على العلم ، فحتى حماميرها وحطاطيها علماء ، إذ توالى أيام الإمام وازدهر عهدها ، وقامت لهم في أرجاء عمان ككبجة مشرقة ، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) .

فلما طال العهد بالأمة ، وكانت من سنة الله تأديب عباده إذا أبطرتهم النعم ، فقاموا على الصلت بن مالك يحاولون خروجه من الأمر بغير قصور ولا تقصير ، والأمور في أيديهم ، والصلت كواحد منهم غير مختص بشيء دونهم إلا ما كان من خصائص الإمامة ، تجاسروا عليه حتى صارت أيامهم حديث سمر الناس ، وحيرة أهل الفضل ، ولم يزالوا على ذلك حتى تخلى الصلت رحمه الله من الأمر تسكيناً لسورة التأثيرين ، وإلقاء للأمر في نحورهم فعظمت محنتهم ، وجلت رزيتهم ، وأصبحوا في أزمة ضخمة ، واضطراب في القصد ، ولم يكن حلهم شافياً ، ولا عقدهم وافياً ، حتى عرفوا بلية ما وقعوا فيه ، رزية الدين تحيط بهم ، فكان هيمهم البصير مطلوباً ، وسنذكر ذلك إن شاء الله في محله .

ولقد اعتذرنا لك أيها القارىء الكريم بعددنا عن ذكر عمان في كل قرن ، وعسى أن يمن الله علينا بالسعة فنذكرهم في سفر خاص بهم ، نخليداً لتذكركهم ، وإعتباراً بآثارهم ، ودعاية إلى أعمالهم ، والعلماء رينة الدهر ، وحمال الأيام ، ومجد عمان على الأقل ولنا فيهم :

قد زانت الأيام بالعلماء وهم أقمار ظلمتها وشمس نهارها
وهم بهم ينجاب غيم الغنى عن أفكارنا بالنور من أسرارها

نسأل الله الاهتداء بطريقتهم ، والتوفيق لسلوك سبيلهم ، والله
ولى التوفيق والتسديد •

ولا يخفى عليك أنا كنا معنيين هنا بسلسلة مذهب أهل عمان ، وعن
أخذوا بينهم ، وقد ذكرنا ذلك محققاً المصدر الأول ، وهو المصدر
الصحيح الذى يرد الكل من رجال الاسلام وبينا سبق أهل عمان إلى
خصال الخير قبل الغير ، وذكرنا أول ناقل للدين إلى عمان ، وأول معلم
لأهل عمان ، حتى مشى أهل عمان على المنهج الصحيح من أول أمرهم ،
وقد عملوا بما أوجب الله عليهم من إقامة الحق على سبيل الصديق
والفاروق ، وما زالوا على ذلك الحال إلا فى أيام الانقلابات التى تنزل
عليهم من أمراء الجور وملوك الظلم ، إلا أنهم لا يرضخون لهم رضوخ
الجاهل ، أو يسكنون معهم سكن النائم ، وإنما هم على حكم التقية حتى
تلوح لهم الفرصة المواتية ، فإذا رأوها هبوا لأخذها وعملوا اللزم فيها ،
ولم يضيعوها كما سوف يرى القارىء إن شاء الله لهذا التاريخ ذلك ،
ويرى أعمالهم فيه صحيحة المأخذ والحمد لله •

أما من عدا أهل عمان فمنذ تولى الأمر معاوية بن أبى سفيان ، هم
عبيد الملوك ، جاروا أم عدلوا ، ومتى يعدلون وهم عبيد الشهوات ، وأسارى
الاهواء ، ومماليك الرغبات النفسية ، وبذلك يضمحل الدين ويتمزق شمل
الاسلام ، وتتشأ الناشئة لا ترى إلا سلطاناً تقول له لبيك وسعديك والخير
كله فى يديك ، نعوذ بالله من ذلك ، ونسأله العون والهداية للطريق
المستقيم ، إنه كريم •

هذا هو الفارق بين أهل عمان وغيرهم من أمم الاسلام ، نعم يشارك أهل عمان في هذا الحال إخوانهم أهل المغرب الذين أقاموا منار الدين بأئمة عدول ، وأبطال فحول ، في الصدر الأول ، حتى ذهب ذلك منهم ، وكذلك أباضية اليمن وحضرموت ، أخذوا على ذلك الحال عهداً ، وبقيت دروسه يتناقلها الخلف عن السلف ، وهكذا ، وإحياء سير الرسول عليه الصلاة والسلام على الأسلوب الصحيح ، وقانونها الرجيع ، أمر مفروض على الأمة عند الاستطاعة ، وتوفر الأسباب ، ومازال أهل عمان في ذلك على وتيرة الصحابة رضوان الله عليهم :

تعاقبت خلفاء الله منصبها منذ الجلندى وختم الكل عزان

فأول إمام بعمان هو الجلندى بن مسعود الجلنداني ، وآخرهم عزان بن قيس البوسعيدي ، ثم تلاها في هذه الآونة التي نحن بها الإمام سالم بن راشد ، ومحمد بن عبد الله ، ويعرف الأول بالخروصي ، والثاني بالخليلي ، وكلاهما خروصي .

وسترى أيها القارئ في عمان قيام علمائها على أئمة الجور من أهل عمان وغيرهم ، وترى الأئمة الأتقياء الأبرار الذين لهم في عمان الحل والعقد على نهج عمر بن الخطاب وأبي بكر رضي الله عنهم ، حتى تعلم أن الإباضية هم عمدة الدين ، وبهم يعيش ما عاش ، وهم الفرقة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة ، لثباتهم على ما كان عليه أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر الخلفاء الراشدين ، أما من عدا الإباضية وبالأخص منهم الذين لا يجيزون الخروج على أئمة الجور ، الذين يتولون الأمور ويمشون فيها بحسب هواهم ، فليسوا من الدين في شيء ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الناس على دين ملوكهم ،

وأنت تدري أن بعض الملوك غالباً على دين نزواتهم فإذا يكون الناس على دين الفزوات نعوز بالله . أما الإباضية فيعتمدون طبعاً ويهتمون شرعاً إذا صار الأمر بيد ملوك هذا شأنهم ، أما أولئك فينامون تحت ظل الملوك نوم الوداع المطمئن ولا يبالون ، وأما الإباضية فيتململون مع تلمل السليم ، ويتأوهمون على ذلك تأوه المصدور حتى يروا استقامة الأمير واطمئنان الأمور ، فانظر الفرق بين الحالين واحكم بالحق ، وربنا المستعان على ما تصفون .

كلمة إجمالية على امراء بنى أمية

لا يخفى المطلع الخبير أن الحجاج بن يوسف ، تولى عمان في خلافة عبد الملك بن مروان ، وأن عبد الملك تولى الأمر لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة ٦٥ للهجرة ، وبقيت عمان تحت أمر الحجاج يديرها عماله وتصرفها أعماله ، وأهل عمان تحت قهره ثم توفي عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ في شهر شوال ، وقام بالأمر بعده ولده الوليد بن عبد الملك في هذه الأثناء ، كان ابن الزبير في مكة بويح له بالخلافة فيها قبل عبد الملك بن مروان بسنتين ، فتكون بيعته سنة ٦٤ في شهر رجب ، وذلك في آخر أيام يزيد بن معاوية ، ومضى الوليد في خلافته إلى سنة ٩٦ في النصف من شهر جمادى الآخرة ، وأمر عمان في يد عمال الحجاج الذين يتخالفون عليها ، ثم تولى سليمان بن عبد الملك بعد موت أخيه ومضى إلى سنة ٩٨ ، وقيل إلى سنة ٩٩ وتولى بعده ابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو سيد بنى أمية كلهم رحمه الله ، كان إماماً صادق الامامة ، تقياً راضياً قام على سواآت بنى أمية يمحققها الواحدة بعد الأخرى ، وأعاد السيرة العمرية في طريقها الصحيح ، ومشى على ذلك إلى أن توفي رحمه الله بخمس بقين ، بل لخمس ماضين ، وقيل لست ماضين من رجب الفرد ، وقيل لعشر يقين منه سنة ١٠١ لإحدى ومائة ، وهو في أول شبابه ابن تسع وثلاثين ، وقيل أربعين سنة ، وهو الذي استعمل على العراق عدى بن أرطاة الفزارى ، واستعمل عدى المذكور على عمان عمالاً أساءوا السيرة في أهلها ، فقام العمانيون وبلغوا الأمر إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأمر بعزلهم واستعمل بدلهم على عمان بن عبد الله الأنصارى ، فأحسن السيرة في أهل عمان ، قال الامام : فلم يزل

واليا على عمان مكرماً بين أهلها ، نافذ الأمر فيهم ، وهم سامعون مطيعون ، ولم لا يكون أهل عمان سامعين مطيعين ، وخليفة المسلمين عمر بن عبد العزيز ، وهو العبد الصالح من بنى أمية .

وأهل عمان لا زالوا خاضعين لأهل الصلاح منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فعاش فيهم عمرو بن العاص ، ولم ير منهم إلا ما سره وهكذا من بعده إلا أنهم ينفرون من الجورة ولا يرون لهم طاعة تبعاً للقرآن الكريم ، كما جاء فيه النص في اجتناب الظالمين وأعاونهم ، والتباعد منهم ، قال الامام ، وما زال عمر بن عبد الله الأنصاري في عمان يستوفي الصدقات منهم بطيبة أنفسهم حتى مات عمر بن عبد العزيز ، فقال عمر بن عبد الله لزياد بن المهلب : هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها ، وخرج عمر بن عبد الله من عمان غير معزول ولا مرغوب في خروجه لحسن سيرته ، وقام زياد بن المهلب في عمان حتى ظهر أبو العباس السفاح ، وصار ملك بنى أمية إليه لا يخفى أنه بعد موت عمر بن عبد العزيز ، تولى الأمر يزيد بن عبد الملك ، وهو الذي أراد أن يسير في الناس سيرة عمر بن عبد العزيز ، وقد أعلن للأمة بذلك ، فقام له من دمشق أربعون رجلاً من أعيانهم ، وقالوا له لا تفعل هكذا وامض على وجهك ، فإن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عقاب في الآخرة ، حيث هم قائمون بأمر الأمة مجاهدون ومجتهدون ، وحلف له أربعون رجلاً على ذلك فخدعوه بذلك لأغراضهم الشخصية ، وهذه أعمال القوم مع ملوكهم ، وتلك أعمال الإباضية مع سلاطينهم ، فانظروا أيها الناس كيف يلعب الشيطان بأهل الأهواء حتى يرمى بهم في البحر العميق الذي لا يخرجون منه ، فسرعان ما تبدل الحال في المسلمين بموت عمر بن عبد العزيز ، إلى يزيد المذكور ، ولم يبق الحال إلا أربعين يوماً إلى أن رجعت الأمور

القهقري ، وانهمك في حيازة وأمثالها ، وغدا مغرمًا باللهو واللعب والسفه المفرط ، وهذا هو الذى أشار اليه أبو حمزة المختار بن عوف حين خطب في الناس خطبته المشهورة ، وصرح بأفعال المشار إليه ولهوه وطربه ، ولعبه بالأمور فتلك أحوال الإباضية عند هؤلاء الملوك الجورة الفسقة : فأين الثريا وأين الثرى ، إنه لبون بعيد وفرق كبير حفظه لنا التاريخ لمن يأتى خيعتبر .

ولما مات يزيد المذكور وولى بعده هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ مائة وخمس لخمى بقين من شعبان ، ومشى هشام في المسلمين على نهج من قبله من إخوانه حتى توفى في شهر ربيع الآخر بالرصافة سنة ١٢٥ خمس وعشرين ومائة ، ثم تولى الأمر بعده الوليد بن يزيد ابن عبد الملك ، وكان معروفًا بالفسق إذ كان فاسقًا خليعًا بالغًا في الفسق الغاية القصوى ، إذ كان يجعل للخمر حياضًا وللخلاعة غياضًا ، والسفه موارد ومصادر وهو الذى قتله أهل دمشق ، إذ كان مستهترًا إلى حد بعيد ، وقصد جمع مع الفسق الزندقة وتظاهر بالكفر الصريح ، وهو الذى لما تمكن السكر منه حلف ألا يصلى بالناس إلا امراته ، فأخرجها لابسة ثيابه ، وهى سكرى جنب فصلت بهم ، وكان بنى للخمر بركة عظيمة ، ومشى على هذا الحال وهو أمير المؤمنين ، فمن ياترى هؤلاء المؤمنين وهذا أميرهم ، فماذا يكون حالهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

كان إذا أجنب هذا الخبيث ينزل إلى بركة الخمر يغتسل من الجنابة ويشرب ويلعب فيها حتى يرى أن جانباً منها نزل ، وحينئذ يخرج من المغتسل ثم أرسل الله عليه ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك المعروف بالناقص ، فأحاط به في تدمر فكان فيها دماره حتى قبضوا عليه وذبحوا

كما يذبح الثور ، واجتروا رأسه وأتوا به على رمح ، ثم نصبوه في مدينة دمشق ليراه الناس ، ثم بايعوا يزيد المذكور وهو ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ١٢٦ ست وعشرين ومائة ، وعرف بالمناقص لأنه نقص الأعطيات ، وردّها على ما كانت عليه أيام هشام ، وقيل لنقصان في أصابع رجله ، وكان يتنسك ويميل إلى الدين والأخلاق الصالحة ، ولكنه لم تطل أيامه ، إذ كان الداعي حثيثاً فمات في ثمانية من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وتولى الأمر بعده إبراهيم بن الوليد أخو يزيد ، وكان الأمر مضطرباً والأمور في تنقهر وانحطاط ، وانتهى صروح الإمارة الأموية من كل جانب ، فكان في جمعة يسلم عليه بالخلافة ، وفي جمعة بالإمارة ، وفي جمعة لا يسلم عليه بشيء ، وهكذا كانت أموره متناثرة على وشك الاضمحلال ، والله أمر هو بالغه ، وحكم هو نافذه .

فكانت خلافته شهرين وعشرة أيام ، ثم قام عليه مروان بن محمد المتبوذ بالحمار ، أي كان يلقب بالحمار ، وهذا آخر خلفاء بني أمية ، فأقام الله له أبا العباس السفاح عبد الله بن محمد علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي ، وظهر أبو مسلم الخراساني ، وقام الشر العباسي ليأخذ الثار من العنصر الأموي للذي طالما لعب دوره الخاسر ، ومشى شوطه الفاجر ، ولا شك أن لكل شيء غاية إليها الانتهاء ، فكان انتهاء أمر بني أمية بهذا ، وكل هذا الحال الذي ذكرناه ، وعمان في يد أهلها من آل المهلب ، وإدارة شئونهم إلى رجال الأزد دون غيرهم ، إذ هم سادتها وبيدهم زمامها ، وقد أشغل الله عنها هؤلاء الأمراء الأمويين ، فلم يكن لهم فيها حل ولا عقد ، بعد عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

قال كمال الدين الدميرى : ظهر أبو مسلم الخراسانى وظهر أبو العباس السفاح بالكوفة ، وبويع له بالخلافة وجهاز عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس لقتال مروان بن محمد المذكور المعروف بالجمعدى ، والمنبوذ بالحمار ، فالتقى الجمعان بزاب الموصل واقتتلوا قتالا شديداً فانهمز مروان ، وقتل من عسكره خلق كثير ، وغرق منهم في البحر كثيرون ، قال : وتبعه عبد الله إلى أن وصل إلى نهر الأردن ، فلقى جماعة من بنى أمية وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً ، فقتلهم عن آخرهم ، ثم أمر عبد الله بسحبهم على الأرض فسحبوا وبسط عليهم بساطاً ، وجلس هو وأصحابه فوقهم ، ودعا بالطعام فأكلوا وهم يسمعون أنينهم من تحتهم ، فقال عبد الله يوم كيوم الحسين ولا سوى ، ثم جهاز عمه صالح بن علي طريق السماوة فلحق بأخيه عبد الله ، وقد نزل دمشق ففتحتها عنوة وأباحها ثلاثة أيام ، قال ونقض عبد الله سورها حجراً حجراً ، وهرب مروان إلى مصر فتبعه صالح ، وإذا بالمنهمز لا يتحدث إلا بالهزيمة والناس تتخاذل عنه وأموره تهوى ، وصروح بنى أمية تنهار وبرك الخمر قد آن جفافها ، وكان هذا الحال ينتظر من آل علي بن أبي طالب وهم الذين وترهم بنو أمية ، فلم يكن ذلك منهم لحكمة بديعة ، بل كان من آل الحبر ، وكان قتل مروان في أبو حير ، وهى من قرى الصعيد ، قال : وكان قصده الحبشة فبيتوه وعاجلوه ، ففعل ما ضرب قال انقرضت دولتنا ، أى لا تقوم منا قائمة . وكان بطلاً شديداً شجاعاً مقداماً ، وكان قتله سنة ١٣٣ ، وكانت خلافته خمس سنين وشهرين وعشرة أيام ، وبدأت الدولة الجديدة تضع أطنابها وتمد رواقها حتى تأخذ عهداً .

(وتلك الأيام نداولها بين الناس) وفي التاريخ المعتبر للمعقل والله المستعان .

عمان تتحضر لتستقل عن الزعامة العامة

لما رأى العمانيون تدهور صرح الأمويين ، ورأوا أن الله أذن بزوال ملكهم وانحلال سلطانهم الفاشم ، قاموا يديرون الرأى بينهم في الانفصال عن القوم ، فرأوا أن نطاق الاسلام قد توسع ، وأن رواقه قد أمتد ، وأن سلطانه قد قوى ودخل في حضيرته ملوك ، واصطلم ممالك واحتوى على أقليم وقهر على أمراء ممالك عديدة ، ورأوا أن سلطان المسلمين العام ظالما وقد نأى عن سائر بلاد الاسلام ، واستقل الأمراء في إماراتهم كحكام وملوك في الأقطار النائية ، حيث أصبح الاسلام يشمل أهل المشرق والمغرب ، وتفرقت فيه المذاهب وتعدد إليها المذاهب ، رأى العمانيون ضرورة إقامة إمام لهم ، ونظروا فيمن هو الأصلح لهذا الأمر الجسم والعبد الثقيل الذي لا يقدر على حمله إلا أفراد ، حتى وقعت خيرتهم على الجلندى بن مسعود ابن جلندى الجلندانى : حيث اجتمعت فيه الخصال المطلوبة إذ كان من بقية ملوك عمان ، وإليهم كتب النبى صلى الله عليه وآله وسلم في إسلام أهل عمان ، كما عرفت ذلك مما سبق من أخبارهم ، وقد جمع الجلندى شرف العلم والتقوى وخالص الايمان ، وقل أن تجتمع هذه الخصال مع الشجاعة والصلابة في الدين ، وكان الجلندى بن مسعود من تلامذة أبى عبيدة رضى الله عنه ، وحضر بيعة الامام طالب الحق في اليمن ، ثم رجع الى عمان فوقعته خيرة المسلمين عليه ، فبايعه أهل عمان بيعة ورضوا به إماما للكل ، ولم يعترض على البيعة له معترض فيما علمنا ، وأهل عمان كإخوانهم من أهل البلاد الأخرى لا يرضون لدينهم إلا الصالح ، إذ كانوا على منهج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وعلى منهج عبد الله بن وهب الراسبى إمام

أهل النهروان ، وأصحابه الميامين الأصفياء المخلصين الذين لا يرون لهم
حياة سالحة إلا تحت راية الحق ، والحق أحق أن يتبع ، وما بعد الحق
إلا الضلال ، وقد علمت أن الله جعل الحق في الأمة حجة عليها ، فإن
قاموا بواجب الحق نجوا عند الإله الواحد الأحد ، وإلا فقد تمت الحجة
عليهم والله لا يضيع الحق بالباطل حاشاه .

تاريخ البيعة للإمام الجلندى بن مسعود رحمه الله

لما تحقق للعمانيين صحة صلاحية الجلندى للإمامة العليا ، اجتمعوا عليه وطلبوه أن يكون إماماً قائماً بأمرهم الدنيوية والدينية ، وكان أهل المذهب كلهم متحركين لنصب الإمامة ، وقد تحقق قام طالب الحق عبد الله ابن يحيى إماماً للإباضية اليمن ، وفى نفس الوقت بايع إباضية المغرب أبا الخطاب المعافى كما علمت ، وكانت البيعة للجلندى رحمه الله فى سنة ١٣٢ اثنين وثلاثين ومائة ، وكان السفاح تولى الأمر بعد هذه المدة بسنة واحدة وبعض المؤرخين يرى إمامة الامام الجلندى كذلك وقعت سنة ١٣٣ ثلاث وثلاثين ومائة ، فتكون فى نفس السنة المذكورة ، والشهير هو الأول وهى سنة الامامة ، إذ كانت للإباضية قام ثلاثة أئمة فى ثلاثة أقطار العالم يقومون بأوامر الاسلام ، ويقيمون قواعده ويعملون بما فيه من الأحكام ، ويمشون على ضوئه فى الحلال والحرام ، فكانت لهم رنة فى العالم الاسلامى شرقاً ومغرباً ، واهتز العالم لهم هيبة ، وارتجت لعملهم هذا قلوب أعدائهم ، ونشطت النفوس المحبة لدين الله ، وأكبر الناس عملهم هذا أيما إكبار ، فخافهم الملوك المجاورون وحسدتهم الأمم ، فلم تزل تنتظر اليهم شزراً وتحاول هدم كيانهم هذا ، وردهم عن التناول فى العالم ، فتكون لهم سطوة عالية وسمعة دينية ، ويعلمو شأنهم بين الأمم ، وكان اجتمع على إمامة الامام الجلندى رحمه الله علماء أجلاء وغطايل أشداء ، إذ كان أمرهم هذا فى ابتداء الامامة بعمان ، والأمور غير المألوفة تكون خيرة السامع ودهشة الرائي ، والاقدام عليها كبير لا سيما وأن الافتراق المذهبى قد بلغ شأوه .

قال الامام أبو الحسن البسياني : وقد أجمعوا على إمامة الامام
الجلندي بن مسعود وولايته والمجاهدة معه ، قال : وكان في أيامه أي
من علماء المسلمين : حاجب والربيع بن حبيب بالعراق ، أي بالبصرة
وعبد الله بن القاسم ، وهلال بن عطية العماني ، وخلف بن زياد
البحراني ، وشبيب بن عطية العماني ، وموسى بن أبي جابر الازكاني ،
وبتير بن المنذر الفزواني ، ومنير بن النير الجعلائي .

قال : وكان لهؤلاء بعضهم أكبر من بعض ، واقتدى بعضهم ببعض ،
قال الامام في تحفة الأعيان : الامام الجلندي بن مسعود بن الجلندي
رضي الله عنه ، وهو أحد بني الجلندي بن المستكبر بن مسعود بن الحران
بن عبد عز بن معولة بن شمس ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم ،
وغلط من نسب له غير ذلك ، قلت : لعل بعضا رآه من آل الجلندي بن كركر ،
وهذا من بني سليمة بن مالك على الصحيح ، قال ولقد تقدم أن سبب
امامته أن أبا العباس السفاح ولي أخاه أبا جعفر المنصور على العراق ،
وولي المنصور على عمان جناح بن عبادة بن قيس الهنائي ، ثم عزله
وولي ولده محمد بن جناح ، فلان للمسلمين ووافقهم على ما يحبون حتى
صارت ولاية عمان لهم ، فعند ذلك عقدوا الامامة للجلندي بن مسعود ،
فكانت سببا لظهور الاسلام وقوة شوكته ، وكان عادلا مرضيا قلت :
سيأتي أن أهل عمان ما كانوا يفضلون عليه أحدا من أئمة عمان مع فضلهم
الذي اشتهروا به إلا أن يكون سعيد بن عبد الله بن محمد محبوب ،
فبعضهم يفضل الأول وبعضهم الثاني ، وبعضهم ساوى بينهما ، وفضل
الامام السالمي الجلندي على الكل ، إذ قال : قلت ولا أعدل بالجلندي اماما
بعمان ، فإنه قد جمع الصفات الثلاث : العلم والعدل والشهادة ، مع
ما جمع الله له من الصفات التي لا تكاد توجد في غيره أ هـ .

وهذا الكلام جاء في امامة سعيد بن عبد الله الرحيلي ، على أثر كلام نقله عن أبي محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر رحمهم الله ، حيث قال : لا نعلم في أئمة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيد بن عبد الله ، إلا أن يكون الجلندي بن مسعود ، قال أبو إبراهيم محمد بن سعيد بن أبي بكر ، إن الامام سعيد بن عبد الله أفضل من الامام الجلندي بن مسعود ، قال أبو سعيد : وما أحقه بذلك ، فإنه كان اماما عادلا صحيح الإمامة من أهل الاستقامة عالما في زمانه ، لعله يفوق في أهل زمانه أو كثيرا منهم ، ومع ذلك قتل شهيدا رحمه الله وغفر له .

أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر : إلا أنه وقف في تفضيله على الجلندي .

هذه أقوال هؤلاء القادة الأجلاء والسادة الأعزاء وتفضيل الامام السالمى رحمه الله أوجه ، فإن الجلندي جمع الصفات التي اجتمعت في الامام سعيد بن عبد الله الرحيلي ، وهي العلم والعدل والشهادة ، وفاق الجلندي رحمه على غيره بالسبق ، وللسابق فضله كما أشار إلى ذلك القرآن ، ولأن الجلندي تسلسل من ملوك أجلاء ولم تأخذ به سورة الملك عن خطة إخوانه ، ولم يعتز بغير الحق ، ولم ير إعطاء الدنية في دينه مع إمكانه ، إذ خوطب أن يعلن الانقياد لسلطان العراق ولو بلسانه فقط ، فلم ير ذلك ، وضحي بنفسه في سبيل إرضاء ربه عز وجل ، وإكراما لدينه ومذهبه لا يرى الخصم منه هودة في شيء ما رحمه الله ورضي عنه ، وعن أهل الوفاء لدين الله ، وفيه جاء عند ذكر آل الجلندي :

كالجلندي ومن كمثله الجلندي في عمان تجلسه الفضلاء

فتلك المسنتان اللتان عاشهما الجندى كانتا الأساس الذى مشى عليه
أهل عمان فى تقرير مصير حياتهم الدينية ، أما الدنيا فثمتها عند أهل عمان
الفضل غير كبير ، لأنها الظل الزائل والخيال ، وكل منقضى فغير مهم عند
أهل الحق إذ خلق الخلق لغيرها •

التاريخ يحدث من الإمام الجلندى وأصحابه

رحمهم الله وعن أعمالهم بعمان

قال الشيخ العلامة الجليل أبو الحسن البسيانى : فصار الجلندى بن مسعود رحمه الله فى عمان ، فأظهر الحق وعمل به ، وأخذ الدولة من يد الجبابرة ، وبرىء من الجبابرة وأشياعهم ، ودان بقتال أهل البغى ، ولم يستحل مع ذلك غنيمة ولا سبى ذرية ، ولا استعراضاً بالقتل من غير دعوة ، قال : وقد قال الامام منير بن النير الجعلائى : لم يأخذوا أى الإمام وأعوانه الصدقة بغير حقها ، ولم يضعوها فى غير أهلها ، والمعنى كل أعمالهم فى الأخذ والرد على الجهة المشروعة ، قال : ولم يستطعوا أى الصدقة من الناس على غير الوجه المشروع ، وهو الإثخان فى الأرض والحماية والكفاية والمكافحة عن حريم المسلمين ، بل أخذوها بحقها بعد إحكام الأمور التى تعينهم فى دين الله ، وحفظ الرعية ، ثم وضعوها فى مواضعها وقسموها على أهلها بحكم القرآن فريضة من الله ، والله عزيز حكيم •

قال : ثم بلغنا عنهم فيما استقام عليه رأيهم أن يرفضوا صدقة البحر إلا ما طابت به أنفس الناس أن يبذلوه لهم ، وذلك لما يتفخهون من الدخول عليهم فى سبيل الله ، إذ لم يحموه أى ولا جبالية بغير حماية ، وحماية البحر لم تنس لهم بعد ، قلت : لأن العهد لم يطل بالإمامة ، فلعل هذا الحال فى أول سنة أو فى ثانى سنة ، لأن إمامة الإمام الجلندى لم تستكمل للسنة الثالثة على الشهر ، وكانوا يأملون حماية المملكة العمانية كما يلزم ، قال : ولا يولون أمرهم ولا يبعثون فى حوائجهم ،

ولا يستعملون على صدقاتهم وأهل رعيّتهم ، ولا يستقضون على أهل ولايتهم إلا أهل الثقة وأهل العلم والفهم والورع والتخرج المعروفون بالفضل الموصوفون بالخير من أهل البيوتات من قومهم ، غير سقاط ولا أدعياء ، ولا متهمين ولا مقترفين ، أى لا يفعلون شيئاً مما ذكر إلا بأهل العدل والضبط والزمّة والورع الذى لا شائبة فيه ، والمراد وصفهم بالنعوت الكاملة والأوصاف الفاضلة ، وهم كذلك فوق ما قال ، وكيف لا وهم كرسى الإمامة العمانية التى فى السائلة والمسئولة فى الأمة ، وعلى منهاجها سيكون سير ركب الإمامة رحمهم الله ورضى عنهم .

قال : لا يتعلق بهم التسباب ، ولا يلجأ إليهم العاب ، ولا يلزم بهم القبيح ، ولا يتهمون فى دينهم ، مرضيون فى إخوانهم ، متبع رأيهم ، معروف فضلهم ، معروفون به ، قد أحكمت آراؤهم فى قوة الحق ، وإحكام آرائهم فى أمور الدين ليست الدنيا من ذكرهم ، ولا جمع المال من شأنهم ، ولا الشهوات من حاجاتهم ، أى المشتبهات الدنيوية ، قال وكيف لا يكون كذلك من باع نفسه لله ليجود بها على ترك الدنيا ويزهد بما فيها ، وكان المرء منهم يرزق فى الشهر سبعة دراهم ، أى من بيت المال فى غلاء من السمر فيصبر على القوت اليسير رغبة فى الآخرة والثواب من عند الله .

قال وبلغنا أنه ربما بقى مع الرجل منهم الدرهم والدرهمان فيتطوع بذلك الفضل فيرده فى فء المسلمين ، رحمهم الله ورضى عنهم وجزاهم خيراً مع ما أظهروا من السنة فى الأمر الخلقى والأخلاقى ، فشمّر اللباس ولا حظوة حتى فى النساء ، فأصدروا أوامرهم فيهن بإدناء الجلابيب ، أى لأجل ستر العورات وصيانة الهيئات قال : وأمرهم برفع الخمر فوق الأذقان وستر النواصي وسائر الزينة إلا الوجه والبنان ، أما

ما وراء ذلك فهو حرام على من أبداه من النساء ، أو من نظر إليه من الرجال شهوة ، أى عملاً بأوامر القرآن ، فإن الله ذكر النساء وأمر فيهن كما في الرجال ، ولم يغفلن . كما لم يغفل أحداً من أهل التكليف ، قال : وجعل النطاق من تحت الدرع إلا فقيرة لا تقدر على درع سابغة ، فلها أن تبرز فوق درعها ، ونهى النساء عن الجلوس في السكك ، والخروج في يوم المطر والريح العاصفة ، وأمر الرجال برفع ذيولهم وقصير أثعارهم ، إذا سبغت إلى العوائق ، قال : وأنكر على أهل القبلة أن يتشبهوا بزى أهل الذمة ، أى للنهى عن ذلك في السنة ، ومن تشبه بقوم فهو منهم ، كما أنكر على أهل الذمة أن يتشبهوا بزى أهل الإسلام ، ونهى الرجال أن يبدوا ما فوق الركب ، أى لأن ذلك عورة للحديث : عورة المسلم مع المسلم من سراة لركبة ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

قال وكانوا أهل فقه وأهل علم وحلم ، وثؤدة وتراحم وتودد ، ووقار وسكينة ، ولب وعقل وبر ورحمة ، وصدق ووفاء وتخشع وعبادة ، وورع وتحرج وصلة ونصيحة ظاهرة مقبولة ، لا يطمعون بمطامع السوء ، ولا يتعاطون من الناس الحقوق ولا يدخلون في خصومات الناس ، ولا يجتعلون على استخراج الحقوق ، أى لا يأخذون على إخراجها جعلاً ، أى أجراً أو نحوه ، ولا يسترشون أى لا يأخذون الرشاً على طلب الحوائج التي تعينهم من أمر الناس ، ولا يستفضلون في الرزق على الشبهة ، أى لا يأخذون فضلاً فوق ما يشبعهم ، ولا يغتاب بعضهم بعضاً ليس من شأنهم الغيبة ولا البغى ولا الحسد ولا التقاطع ولا التدابر ولا البغضة ولا شيء من أخلاق أهل الريبة يحرصون على آدابهم في الدين ، ومع أهل الدين ، ويكرهون العيوب ويهجرون أخلاق أهل الفجور

والمعاصي ، هم أنوار في الأرض وغرباء في الناس ، يعرفون بسيماهم
أي كأنما عناهم القائل :

سيما التعفف تكسوهم جلال غنى فالقلب شبع والبطن خمصان

قال : وكيف لا يكون كذلك من باع نفسه لله ينتظر حقتها ليسلا
ونهاراً وصباحاً ومساءً ، ليس له في شيء من الأمور ولا لأحد من
الناس ، دنت رحمة أو بعدت أو عظم خطره أو صغر أو ارتفع شأنه أو
تواضع إلا فيما وافق الحق مع ما لا يحمي من أخلاقهم الحسنة الجميلة ،
التي زينهم الله بها في الدنيا ، وترك عليهم الثناء الحسن الجميل فيمن
خلف بأعقابهم • قال الامام : انتهى كلام منير بن الجلندي وأصحابه ،
وحسبك بمن أثنى عليه منير هذا الثناء الحسن الجميل ، وأطبقت الأمة
على الثناء عليهم ، وألسنة الأمة أقلام الألوهية ، والناس شهود الله في
أرضه جزاهم الله عن الإسلام وأهله خيراً ، قلت : لقد حفظت أن شراة
الجلندي رحمهم الله كانوا يضرب بهم المثل ، فيقال أزهـد من شراة
الجلندي •

واعلم أن تلك الصفات لم تكن حتى للمصاحبة لولا فضيلة الصحبة ،
فإنما هي من معاجز الرجال ، ولا جرم لقد جعلهم الله الأصل الذي عليه
من بعدهم من الأمة ، وجعل إمامهم كذلك ، ولا ريب أن طالب الآخرة
لا يرى شيئاً سواها ، فإنها المقر وهذه التي نحن فيها المر ، ويافوز
من جعلها ممراً ولم يجعلها مقراً •

الجلندى ينظم شراسته

لا ريب أن الإمام بمنزلة مربى الأمة ، والأمير يضع مسالك الخير
للمأورية في جميع أمورهم الدينية والدنيوية ، والقائد يرقب الجند ويدربهم
على موارد حياتهم ومصادرها : ولا يكفى جعل الأمة جائمة على هذه
البسيطة ، فإن السلطان معلم الشعب ، ولقد علم الله عز وجل الأمم في كل
وجه من وجوه أمورهم ؛ وعلمت الأنبياء أممها جميع ما يلزم في هذه
الحياة وكذلك الملوك والأمراء والزعماء من الخلفاء ، لهم تعاليم معروفة
وأنظمة مألوفة ، وكذلك كان الإمام الجلندى رحمه الله رتب الشراة مراتب
إعدادية ، فجعل الشراة كتائب ، وجعل لهم مراتب ، قال الامام فجعل :
على كل مائتين من الشراة الى ثلاثمائة أربعمئة قائد من أهل الفضل
والحجا والبصيرة والثقة ، والعلم والمعرفة ، والفقه والحزم والقوة .
قلت : وهذا من نوع نظام عصرهم كما هو عمل ملوك بنى أمية . قال :
وعلى كل عشرة من أصحابه مؤدب من أهل الفقه يعلمهم الدين ، ويؤدبهم
بالمعروف ، ويسددهم عن الزينغ ، ويقيمهم على الطريقة ، ويهديهم سبيل
الرشاد ، قلت : هذا واجب عقلا ونقلا ، وكما قدمنا إنه مؤدب ومرب
لأمتة وشعبه ، وأمور الدين مقدمة على أمور الدنيا ، ولا ريب فإن الدنيا
والدين كلاهما لا بد منه ، وعلى كل حال فإن الاستقامة في الدنيا طريق
الخير إلى الآخرة ، والامام الجلندى رحمه الله إنما تقدم لطلب الآخرة ،
ورفض ضدها ، ولما تحركت الطبيعة النفسية في بعض رجال الامام ،
والتفتوا الى الدنيا استنكروهم إخوانهم ، وارتابوا من قبلهم ، وكانوا
سبب القيل والقال .

قال الإمام : إن رجالاً منهم تآقت أنفسهم إلى النساء ، أى للعامل الطبيعي الذى تتحرك به الشهوات • قال : فلما ذكروا ذلك استوحش منهم أئمتهم وقادتهم ، أى لأن المشغول بالآخرة دائماً يكون منكسر القلب محترق الأحشاء ، خوفاً ورهباً ، ومن كان كذلك أنى تتسنى له المظاهر الشهوانية ، فإذا تحرك لها فكأنه أعرض عما هو فيه وتشاغل به عما هو بصدده ، قال قلم يكن من القسوم إذ ذكروا النكاح نظر إليه دون أن يعرضوا أمرهم على أهل الفضل من أهل العراق ، أى لم يكن لهم إقدام عليه ، حتى أبلغوا الأئمة فى هل هذا الحال ينبغى لهم أم لا ؟ قال : فلما وصل ذلك إليهم فزعوا منه أى رأوه تغيراً عما هم عليه من التخلّى من أمر الدنيا والإقبال على الآخرة فإن المار لا يليق به فى طريقه إلا أخذ ما يبلغه المحل الذى هو سائر إليه •

قال الامام : فزعوا منه وساءهم ذكر الشراة الذبن باعوا أنفسهم للنساء ، وطلب الشهوات ، ورأوهم قد زاغوا عن طريقهم الأولى ، وخافوا أن يكون دخل عليهم ما غير نفوسهم وحركها الى ما يسبب ملاميتها عن الآخرة ، قال : فكتبوا اليهم أى أهل العراق كتبوا الى قادة الشراة ما نصه : إنكم كبتتم الينا تجبرونا عن الشراة أن أنفسهم تتازعهم الى النساء ، وهذا أمر عظيم غير أنهم إن لم يقسّدوا على الصبر فليعرض الفقير منهم نفسه على النساء المسلمات الصالحات ، فإن قبلته المسلمة على عشرة دراهم ينجزها إياها ولا ييغى لها عليه دين بعد العشرة فليتزوج ، وإن صبر عن النساء فهو خير له ، والمعنى أن هذا الأمر غير شاغل للبشارى عن شرائه ، وقد فروا من أن يكون عليهم ديون يمنعهم عن قصدهم ، وفى هذا كسر لتلك الشهوة المتحركة فيهم ، ولا يمنع الشراة عن قصدهم ولو يرغبوهم فى النساء الجميلات

اللواتى يتكلفون لأجلهن المغارم ، فغشرة دراهم أمرها يسير ، وصاحبها فقير ، وقد دفع بها صاحبها الأمر الخطير ، وكل عسير في الدين الاسلامى يسير ، والمنة لله الوالى الكبير .

فترى من هذا أن الامام الجلندى جعل الجيش كتائب ورايات ، بعضها مائتا رجل فتكون كتيبة ، وبعضها ثلاثمائة ، وبعضها أربعمائة وهكذا ، وجعل على كل كتيبة قائداً كامل الشروط دينياً وخلقياً وأدباً وأمانة الى آخر ما ذكر ، وهذا أمر لا بد منه في الحياة الاسلامية الصحيحة ، كما أنه جعل لكل عشرة رجال مؤدباً دينياً وأخلاقياً تمشي الشراة على ضوء تعاليمه الصحيحة الصالحة ، فيكون الامام قد أدى واجبه نحو هؤلاء الشراة ، كما أدى واجبه نحو أمته المسلمة وشعبه المؤمن ، ويكون بذلك عند الله من الرجال الصالحين ، وهكذا كان الامام الجلندى الذى هو أول إمام بعمان ، وأول من أقام صروح الاسلام ، في هذا الوطن الخالد بملوكه وأئمة وشعوبه الى الآن ، وكان الجلندى الإمام دستوراً للإمامة في عمان ، وأن أعماله هذه اتبعت من جاء بعده من الأئمة ، فلذلك فلم يفضل العلماء عليه أحداً من الأئمة إلا أن يكون سعيد بن عبد الله ، ببقية الأئمة دونها والله يؤتى فضله من يشاء والله ذو الفضل العظيم :

كذا كان الخليفة من قديم

مثالاً للملوك الصالحين

وأول من اتخذ الشراة الإمام الجلندى رحمه الله ، فكانوا سهاماً على العدو مسمومة ، ورمحاً مهياة لظمن العدو عندما يتحرك بسوء على المسلمين ، وليت كل الأئمة فطوا كذلك ، بل أراد الإمام عزان بن قيس

من أئمتنا المتأخرين رحمهم الله أن يفعل ذلك ، وكان رأياً صائباً ، لكن كان الداعى حثيثاً ، فانه لما بويغ لم يزل في حرب حتى قضى الله عليه مستعجلاً ، فبعد ما أقام منار الدين في تلك البرهة العاجلة ، وأراد أن ينظم الشراة بعد انتخابهم ، فاجأته المنية فقتل شهيداً رحمه الله في مدينة مطروح في مدة أشبه بمدة الجلندي رحمه الله ورضي عنه ، ولكل عامل نيته والحمد لله ، فكان الإمام مهلباً لو أراد الله بقاءه في عمان لكان لها أعظم شأن بين دول الاسلام ، إذ كان الشراة رجسالا متجربدين لله ، يجمعون كل ثورة أو حركة في الوطن ، وقد اعتدوا لذلك قلباً وقالباً ، وحملوا سيوفهم لنصرة الحق غير مبالين بما يلاقون .

الإمام الجلندى يقتل أبناء عمه في الله

لا يخفى أن أحفاد الملوك والزعماء الذين لم ينزل منهم الإيمان منزلاً صالحاً يعتقدون الأحقية بالأمور دون غيرهم ، وكل واحد يرى أنه الأقدم به عن سواه ، وهذا بشئ معروف في طبيعة العرب وغيرهم ، فإذا كان هناك وازع ديني ردهم عن التخطي ، وأرشدهم عن التهور ودلهم على الطريق الواضح طريق الخير والسبيل الصالح ، ومن ذلك النوع الذى أشرنا إليه جعفر بن سعيد الجلندى وأبناء النظر وزائدة ومن معهم من جماعتهم ، كاتبوا أعداء الإمام رحمه الله ، ولعلمهم يريدون أن يبايعوا غيره ، أى الذى يأملون معه الرغبة والمنزلة ، وأهل الدنيا ضد أهل الآخرة فى كل أمة وكل جيل ، قال الإمام : قال أبو الحواري : بلغنا أن الجلندى بن مسعود رحمه الله قتل جعفر الجلندانى وأبنيه النضر وزائدة على كتاببيعة كانت منهم على المسلمين ، فلما صح ذلك عند الجلندى رحمه الله أرسل إليهم ، قال : ولم تكن منهم محاربة فيما بلغنا إلا ما ظهر من كتابهم ، فقدمهم الجلندى فحضر رقابهم على ذلك الكتاب فيما بلغنا ، قال : ولما ضرب رقابهم فاضت عيناه بالدموع ، أى لأنهم أقاربه وبنو جلدته ، والمراد أنه رحمه الله استحل قتلهم بنفس تلك البيعة وب نفس الكتاب عملاً بما ورد فى آثار المسلمين من أن من كاتب عدو المسلمين فقد صار محارباً لهم ساعياً فى هدم كياناتهم بممالأته لعدوهم ، وهو شهير آثار المسلمين ، وعليه أهل الحق ، وقد فصله الأئمة بعد الجلندى وآخرهم هم به الإمام سالم بن سليمان

الخروصي في حميد بن مسلم بن سليمان الندابي صاحب سرور لولا أن أصحابه تداركوا الأمر ، ومن دس على المسلمين أو واطأ عدوهم أو سعى في تفريق كلمتهم أو شاقهم في شيء ولو بلسانه فهو محارب لهم باغ عليهم .

المسلمون يشستدون على الإمام الجلندى

لما قتل الامام الجلندى بن مسعود رحمه الله جعفر بن سعيد الجلندانى وابنيه النضر وزائدة ومن معهم من جماعتهم بسبب المؤامرة التى تأمروا بها ، وراهم تحمل جنائزهم دمعت عيناه ، وراه أصحابه على ذلك ، وعيناه تذرفان الدموع ، فاستكروا ذلك منه وساعت ظنونهم فيه ، وكانوا أشداء على أهل الباطل كما وصف الله عز وجل أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بقوله : (أشداء على الكفار) وقال عز وجل : (وليجدوا فيكم غلظة) أى على الباطل ، أما على الحق فهم رحماء بينهم .

فقال الشراة لإمامهم أعصبية. يا جلندى أى تبكى عليهم عصبية لهم ، والحق أوجب قتلهم فقال رحمه الله فى لهف وهدوء : لا لكن الرحمة كما قال الصحابة رضوان الله عليهم لنبيهم : تنهانا عن البكاء وتبكى يا رسول الله ، وذلك لما مات ولده إبراهيم فقال ﷺ : إنها للرحم ، وإنما نهيتكم عن شق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية ، أو كما قال عليه الصلاة والسلام . فاعتذر الامام الجلندى رحمه الله لهم بذلك ، وقال غيره : كان الجلندى رحمه الله ، قتل جعفر بن سعيد وغيره من بنى الجلندى ، فدمعت عينه جزعاً عليهم ، فوقع فى نفوس المسلمين عليه من ذلك ، فقالوا له اعتزل أمرنا فاعتزل أمرهم وعد الاعتزال راحة له ولم يتبرم ، لأنه ما كان قيامه رغبة فى الإمارة أو حباً لها ، وسلم اليهم السيف والقلنسوة ، اذا كانا شعار الإمام الخاص ، فلبث فيهم يغدو ويروح كواحد منهم ، ثم رجعوا اليه فطلبوا أن يرجع

الى ما كان فيه من أمرهم ، فكره ذلك فلم يزالوا به حتى رجع الى مكانه
بعد اعتزاله .

قال : وفي مواضع أنه اعتزل فلم يكذب يرجع ولم نعلم أنهم بايعوه
مرة أخرى بعد اعتزاله . قال الامام : يعني أنه رجع الى الأمر بالعقد
الأول والله أعلم . ومحل الكلام هل ذلك العقد انحل فيحتاج الى عقد
آخر أم هو باق ؟ ولعل نفس القبول منه ومنهم كاف لبقاء الإمامة ،
لأنه لم يعزل عن حدث ولا وجد أنه احتج عليهم عند طلبهم اعتزاله ،
هل لهم ذلك أم لا ؟ وهل يصح له الاعتزال بنفس الطلب منهم أو منه
مثلا ؟ وقيل إنما عزلوه اختياراً هل هو معهم باطناً وظاهراً أم هو في
الباطن على غير ما هو في الظاهر ؟ فلما رأوه معهم باطناً وظاهراً طلبوا
رجوعه للأمر ، لأنه أحق به من غيره ولا جرم له فيه فتلكأ عليهم خوف
أن يقع بينهم سوء ظن كالأول .

فله در هؤلاء الرجال الصالحين الصادقين ، فهؤلاء الرجال وأمثالهم
هم الذين أمر الله بالكون معهم ، إذ قال عز وجل : (وكونوا مع
الصادقين) .

مقتل أبى الدلف شييان بن عبد العزيز اليشكري بعسان

كان أبو الدلف المذكور صفري المذهب بل كان أحد أئمة الصفرية ، وكان الخوارج بايعوه بعد قتل الخبيري ، أقام يقاتل مروان بن محمد الأموي السابق الذكر ، ثم تفرق عنه جنوده وتراخى عنه قومه ، وهرب عنه كثير من أصحاب الطمع ، حتى بقى فى قلة من قومه التى لا تتجاوز أربعين ألف رجل ، وماذا عسى أن يبلغوا وهم بالنظر الى عدوهم شىء غير كبير فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا الى الموصل فيجعلوها ظهرهم ، فارتحلوا فتبعهم مروان حتى انتهوا الى الموصل فعسكروا شرقى دجلة ، وعقدوا جسورا عليها من عسكرهم الى المدينة ، فكانت سيرتهم ومرافقهم منها ، وخندق مروان بإزائهم ، وكان الخوارج قد نزلوا بالكاز ومروان بخصه ، وكان أهل الموصل يقاتلون مع الخوارج ، فأقام مروان ستة أشهر يقاتلهم ، وقيل تسعة أشهر ، وأتى مروان بابن أخ لسليمان بن هشام يقال له : أمية بن معاوية بن هشام ، وكان مع عمه سليمان بن هشام فى عسكر شييان أسيراً ، فقطع يديه وضرب عنقه وعمه ينظر اليه ، وكتب مروان الى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه الى العراق ، وعلى الكوفة المثنى بن عمران العائذى عائذة قريشلى ، وهو خايفة للخوارج بالعراق ، فلقى ابن هبيرة بعين النمر فاقتلوا قتالا شديدا ، وانصرفت الخوارج ثم اجتمعوا بالنخيلة من الكوفة ، فهزمهم ابن هبيرة ثم اجتمعوا بالبصرة ، فأرسل شييان اليهم عبدة بن سوار فى خيل عظيمة فالتقوا بالبصرة فانهزمت الخوارج وقتل عبدة بن سوار ، واستباح ابن هبيرة عسكرهم ، فلم تكن لهم حمة بالعراق ، واستولى ابن هبيرة على العراق وكان منصور بن جهمور

مع الخوارج ، فانهزم وغلب على الماهين وعلى الجبل أجمع ، وسار ابن هبيرة الى واسط ، فأخذ ابن عمر شحبته ووجه نباتة بن هفظة الى سليمان بن حبيب وهو على كور الأهواز ، فسمع سليمان الخبر ، فأرسل الى نباتة داود بن حاتم ، فالتقوا بالمرتان على شاطئ دجيل ، فانهزم الناس وقتل دard بن حاتم ، وكتب مروان الى ابن هبيرة لما استولى على العراق يأمره بإرسال عامر بن ضبارة المرى اليه فسيره في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ، فبلغ شيبان خبره ، فأرسل الجون بن كلاب الخارجي في جمع فلقوا عامراً بالسن فهزموه ومن معه ، فدخل السن وتحصن فيه ، وجعل مروان يمدد بالجنود على طريق البر حتى ينتهوا الى السن ، فكثر جمع عامر ، وكان منصور بن جهور يمد شيبان من الجبل بالأموال فلما كثر من مع عامر نهض الى الجسون والخوارج فقاتلهم فهزمهم ، وقتل الجون وسار ابن ضبارة مصعدا الى الموصل ، فلما انتهى خبر قتل الجون الى شيبان ، ومسير عامر نحوه كره أن يقيم بين العسكرين فارتحل بمن معه من الخوارج ، وقدم عامر على مروان بالموصل فسيره في جمع كثير في أثر شيبان ، فان أقام أقام ، وإن سار سار ، وألا يبدأه بقتال ، فان قاتله شيبان قاتله ، وإن أمسك أمسك عنه ، وإن ارتحل اتبعه ، فكان على ذلك حتى مر على الجبل ، وخرج على بيضاء فارس وبها عبد الله بن معاوية بن حبيب بن جعفر في جموع كثيرة ، فلم يتهيا الأمر بينهما فصار حتى نزل جيرفت من كرمان ، وأقبل عامر بن ضبارة حتى نزل بازاء ابن معاوية أياما ، ثم ناهضه وقاتله ، فانهزم ابن معاوية بهراه ، وسار ابن ضبارة بمن معه فلقى شيبان بجيرفت فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت الخوارج ، واستبيح عسكرهم ، ومضى شيبان الى سجستان فهلك بها وذلك في سنة ١٣٠ ثلاثين ومائة .

قال : وقيل بل كان قتال مروان وشيبان على الموصل مقدار شهر
ثم انهزم شيبان حتى لحق بفارس وعامر بن ضبارة يتبعه وصار شيبان
الى جزيرة بركاوان ، ثم خرج منها الى عمان فقتله جلندى بن مسعود
ابن جيفر بن جلندى الأزدي سنة أربع وثلاثين ومائة ، هذا كلام ابن
الأثير في قضية شيبان الحروري .

ويقول الإمام السالمى رحمه الله على أثره : وقد تقدم ذكر سبب
ارتحال شيبان من جزيرة بركاوان ، وإن تلك كان سبب حروب خازم بن
خزيمة في أيام السفاح ، فيكون أول أمر شيبان في أيام مروان ابن محمد
ومقتله في أيام السفاح في عمان على يد شراة الجلندى إمام المسلمين ،
وذكر في تحفة الأعيان أنه كان قد جاء الى عمان بجيش هارباً من
السفاح ، فلما قدم الى عمان ، قلت : لا يعرف مجيئه عمان على أى
وجه والظاهر أنه لم يجيء لاجئاً بدليل الحرب التى وقعت بينه والإمام
فانهم لابد أن يعرفوا ما عنده في مجيئه ، فلما رأوه جاء على حرب
قابلوه بما يلزم ، قال فأخرج له الإمام رحمه الله هلال بن عطية
الخراسانى رحمه الله ، وأكرم بهلال ومعه يحيى بن نجيع ، وكان يحيى
مشهوراً في الناس فضله في جماعة من المسلمين ، فلما التقوا وصار
واصفين أى تواقفوا للقتال ، قام يحيى بن نجيع فدعا بدعوة أنصف
فيها الفريقين فقال : اللهم إن كنت تعلم أنا على الدين الذى ترضاه ،
والحق الذى تحب أن تؤتى به ، فأجعلنى أول قتيلى من أصحابى ، ثم
اجعل شيبان أول قتيلى من أصحابه ، واجعل الدائرة عليهم . وإن كنت
تعلم أن شيبان وأصحابه على الدين الذى ترضاه والحق الذى تحب
أن تؤتى به ، فأجعل شيبان أول قتيلى من أصحابه ، فأمن الفريقان ،

ثم زحف القوم بعضهم الى بعض فكان أول قتيل من المسلمين يحيى بن نجيج ، وأول قتيل من أصحاب شييان شييان ، ومكن الله المسلمين منهم ، واستولوا عليهم ، فلم تبق لهم بقية غيما علينا .

وكان ذكر شييان هذا في التاريخ العماني لحواع . أولا أنه جاء عمان فقتله العمانيون ، وثانيا أن قتله كان بلاء عظيما على أهل عمان ، إذ جاء خازم بن خزيمة التميمي طالبا لشييان هذا ، ولما وجده مقتولا وأراحهم الله منه لم يكتف خازم إلا بخضوع أهل عمان لسلطان بغداد وهو السفاح ، ولا يبالي الجاهل بما يلاقى وإلا فما جرم أهل عمان إذ جاءهم باغيا عليهم ، فقاتلوه فقتلوه ، فكان ينبغ من خازم شكرهم وتأييدهم ، وأن يودعهم بسلام إذ كفوهم إياه ، ولكن لله في خلقه إرادات لا بد من كونها ، والى هذه الأحوال يشير شيخنا ابن جميل عفا الله عنه في سلكه حيث يقول :

وفي عمان أول الأئمة	هو الجلندي كاشف للئمة
وكان عدلا ثقة مرضيا	براك وفيا عالما تقيا
وأجمع الكل على إمامته	واتفقوا كذا على ولايته

الى أن قال :

قام الجلندي في عمان عادلا وكان بالحق القويم عاملا

وعنه :

واستشهد الجلندي مع أصحابه على هداه وعلى صوابه

وذاك في جلفار من عمسان عليهم سبحانه الرضوان

في حديث له طويل أعرضنا عن ذكره كله .

ويقال جملة القتلى عشرة آلاف قتييل فهلكت تلك الدولة بقتل
الأخير ، وتملك يد الأشرار ابتلاء من الله لعباده ، فرحم الله الإمام
الجلندي . وشراته الأشرار الذين باعوا نفوسهم في طاعة الله
عز وجل .

منتهى أمر الإمام الجلندى وأصحابه بعد قتل شييان

لم يكن إلا عشية أوضاعها منذ قتل شييان بن عبد العزيز اليشكرى المعروف بأبى الدلف فى عمان ، حتى قدم خازم بن خزيمة التميمى الطالب لقتل شييان ، فلما وصل عمان لم يجد من أهل عمان إلا الخير ، وإن كانوا استتروا مجيئه بجيش يفوض أرض قوم ويشق بلادهم بغير إذنهم . قال الإمام : وصل خازم الى عمان ، واتصل بالإمام الجلندى ، وقال : إنا كنا نطلب هؤلاء القوم ، وقد كفانا الله قتالهم على أيديكم ، ولكى أريد أن أخرج من عندك الى الخليفة ، وأخبره أنك له سامع مطيع ، فشاور الجلندى المسلمين أى قومه وأهل الرأى عنده فى ذلك الأمر الذى يريده خازم ابن خزيمة ، فلم ير المسلمون له ذلك لأنه خضوع للجبار الظالم ، واعتراف له بالطاعة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، مالم تتعين التقية ، ولا تقية هنا ، لكنها الخية ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيا عن بينة .

قال الإمام : وقيل سأل أن يعطيه سيف شييان وخاتمه ، أى الطابع الذى يختتم به الكتب . قال : فأبى الجلندى رحمه الله من ذلك نظراً الى أنه حق للوارث ، وهذا زعيم جاهل لا يسلمه اليهم ويبقى الإمام مسئولاً عنه أمام الله عز وعلا . وقال أبو محمد : طلب خازم من الجلندى تسليم خاتم شييان وسيفه ، وأن يخطب لسلطان العراق ويعترف له بالطاعة ، قال : فاستشار الإمام الجلندى العلماء من أهل الدعوة ومعهم يومئذ هلال بن عطية الخراسانى ، وشبيب بن عطية العماني ، وخلف بن زياد البحرانى ، فأشار عليه أن يدفع سيف شييان

وخاتمته وما يرضيه من المال ، ويضمن لورثة شييان قيمة السيف والخاتم يدفع بذلك عن الدولة . قال : فأبى خازم إلا الخطبة والطاعة ، فأرأوا أن ذلك لا يجوز في باب الدين أن يدفع عن الدولة بالدين . وإنما يدفع عنها بالرجال والمال انتهى كلام أبي محمد رحمه الله .

وقال أبو عبد الله محمد بن محبوب رحمه الله : لا بأس أن يعطوهم السمع والطاعة بالسنتهم إذا خافوهم على الدولة والرعية ، قال : ولا يفعلون ذلك بغير الألسنة شراة كانوا أو غير شراة ، قال وأما المال فلا . والمعنى أن المال يكون لهم تقوية ولا يصح أن يقوى الظالم بالمال أو بالرجال ، لأنه يتقوى به على الغير من الناس ، وكان الرأي الأول لو قبله خازم واسعاً لأن التقية بالمسال القليل عن المسال الكثير أجازها العلماء ، ووجهه ارتكاب أخف الضررين والمسال ، وضع لصيانة الحال وصيانة الدين أكبر من كل شيء ، ومشهور المذهب جواز التقية .

قال الإمام : ثم إن الجلندي أبى من إعطاء خازم ما سأل فوقع القتال بين خازم بن خزيمة والجلندي . قلت : أظن أن الإمام لم يكن مستعداً للقتال ، وإنما لاقى خازم بن خزيمة حين علم أن هذا جاء طالباً لشييان ، ونحن قد قتلنا شييان وقومه ، وتكون لنا على هذا القادم يد في ذلك فيلأقيه الإمام بحالة سلمية ، وللناس غوائل والجاهل لا يبالي ، فلم يجد الإمام المخرج لتدارك الأمر ، فكان الأمر مستعجلاً . والداعي حثيثاً ، ولا بد لما أراد الله عز وجل . قال : فقتل جميع أصحاب الجلندي ولم يبق إلا وهو وهلال بن عطية ، وكان وزيره الأكبر ، فقال الجلندي : أحمل يا هلال . فقال

هلال للإمام : أنت إمامي فكيف أأمر لك على ألا أبقي
بمحدث :

قال الإمام لهلال ما ترى قال تقدم وأنا غيمن جرى
تقدم الإمام حتى قتلا وقتل القاضي وراه مقبلا
كان لهم كأسد في الصولة وكعقاب الجو عند الجولة
أبدى ثقافته تحصيل الذمنا مع بسالة عليها يثنى
فاستشهدوا وقد حورت جلفار مشهدهم جاءت بذا الأخبار

وهذا الذي كان يلاحظه أهل الرأي في الموافقة لتسلم هم دولتهم
وتبقى لهم عزيمتهم وكرامتهم ، ويسلم لهم دينهم ، ولكن لله أمر هو
بالغة ، وحكم هو نافذه . وقضاؤه وقدره لأبد من كونهما ، وقد علم أن
الإمام التقى خازماً في جلفار التي تقع مكانها الآن رأس الخيمة ، مما
يدل أن الامام التقاهم الصديق لصديق ، ولما وقعوا في الأمر لم
يروا إلا إعلان الوفاء لله كما شرطوه على أنفسهم ، فوفوا به وعلى الله
توكلوا وإليه توجهوا رحمهم الله ورضى عنهم .

قال في معالم الجزيرة : بعد ذكر الامام الجلندي فأرسل السفاح
جيشاً لقتالهم ، أي الامام وأصحابه ، قال فانهمز العمانيون وهلك إمامهم
ولكن لم تكن عساكر الخليفة تصل إلى أوطانها حتى صارت أمور عمان
فوضى ، واضطر الأهالي إلى عقد اجتماع وانتخاب إمام على حسب
أصول المذهب ، فوقع الاختيار على رجل يقال له محمد بن عفان إلخ
ولما برز هلال بن عطية ، وهو يرى أنه الموت ، ويرى إخوانه وإمامه
صرعى ، ولم يكن واهى العزيمة ولا خائر الأعصاب ، ولا خافق القلب

فتقدم البطل الكرار الذى يحق له أن يلحق بجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وعليه لأمة حربه ، فكان أصحاب خازم يتعجبون من ثقافته ولم يعرفوه حتى عرفتهم به شجاعته وبسالته . وقالوا : هلال بن عطية ، وتنادوا باسمه ، وهكذا شأن الهلال ، فجال معهم وجالوا معه حتى قضوا عليه ، فقتل رحمه الله ، وكيف لا وقد عرفوه قبل أن يكون أباضياً رحمه الله ورضى عنه ، إذ كان من صناديد خراسان وأبطالها المشهورين ، وكان نير البصيرة صادق السريرة شجاعاً مقداماً ، وقيل إن الذى تولى قتل الجلندى الامام رحمه الله هو خازم بن خزيمة إذ رأى الجبى قد نفى وبقي الرجلان الامام والقاضى ، فقام خازم لقتال الامام ، فكان هو قاتله بالنفس فلم يزل بعد قتله مذعوراً خائفاً لا يهدأ الليل ولا ينام ، ولا يزال له مهمة الذعر حتى إذا أدركته الوفاة قيل له أبشر ، فقد فتح الله على يدك فقال غررتمونا فى الحياة وتغرونا فى الممات هيهات هيهات ، فكيف لى بقتل الشيخ العماني يعنى الامام الجلندى . والمعنى أن قتل الشيخ العماني بغير حق نقمة ساحقة غررتمونا بها ، وتغرونا حتى فى مثل هذا الحال ، فما الذى ينجينا من قتل الشيخ المذكور .

ولا شك أن المرء يعلم من نفسه عقوبة جرائمه التى يقترنها بغير حق ، لكنه فى حال غطرسته لا يلتفت على شيء ولا يبالي بما يأتى وما يذر ، حتى إذ ضاق الخناق ولم ير له مناصباً قام بعض أصابع الندم ، وخرج رجل من أهل عمان للحج فاصطحبه رجل من أهل البصرة لا يهدأ الليل ولا ينام فسأله العماني عن ذلك وهو لا يعلم أن صاحبه عماني ، فقال : خرجت مع خازم بن خزيمة الى عمان فقاتلنا فيها قوماً لم أر مثلهم ، فأنا منذ ذلك الحال لا أنام ، فكتم العماني حاله عنده وبقي متعجباً من الرجل

وما ابتلى به ، فقال في نفسه أنت حقيق بذلك ولا يخفى أن قتل مؤمن واحد بغير حق لا تعادله الدنيا بأسرها •

ولما قتلوهم ووثبوا على معسكرهم لم يجدوا فيه إلا أثواباً خلقة ، ووجدوا حمائل سيوفهم من ليف ، فانظر في الأحوال نظر اعتبار تجد الإباضية وأئمتهم قطعة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أخفاها الدهر ليوم ما ، وليكونوا حجة صادقة في الدين ، ولما قضى عليهم خازم بن خزيمة في تلك المعارك التي أدارها عليهم بغير حق ، وعلى غير استعداد ، بل هذه عندي أشبه بقضية النهروان ، إذ كان القوم ينتظرون الإمام للتفاهم بينهم ، وزوال الوحشة الجاثمة إذا هم والسيوف تعمل فيهم حتى قتلوا عن آخرهم ، وهؤلاء كذلك وإلى الله المصير •

ولما انتهى أمر الإمام الجلندي وأصحابه ، نشط التكالب على أهل عمان وارتاع العمانيون من الواقع ، وشاعت الإشاعة عن أمر سهول أثر على الأمة وألبسها الدهش ، وحل على السواد الأعظم الخوف ، وترادفت الظنون ، وبذلك لم يتحرك من العمانيين متحرك ، فانسحب خازم بن خزيمة بجيشه الضخم المنتصر ، ودوخ عمان قاهراً عليها •

وفي ابن الأثير في حوادث سنة أربع وثلاثين ومائة ، قال : كان قتل الجلندي في هذه السنة وهو الصحيح عند الإمام السالمى ، وكذلك نقول فإن الجلندي ببيع في سنة ١٣٢ ، وعاش سنتين كاملتين وشهراً وقيل أشهراً • قال الإمام : وفي كامل الأثير أيضاً أن خازم بن خزيمة كان

من السفاح ، وكان أخوال السفاح من بنى عبد المدان ، وهم خمسة وثلاثون رجلا ، ومن غيرهم ثمانية عشر رجلا ، ومن مواليتهم سبعة عشر رجلا ، قصدوا السفاح فلقبهم جازم بن خزيمه بذات المطامير ، وكان قد وجد عليهم فلم يسلم عليهم ، فلما جازهم شتموه ، ثم رجع إليهم وعاتبهم على أمر كان قد وجد به عليهم ، فأغلظوا له في الجواب ، فأمر لهم فضربت أعناقهم جميعا ، وهدمت دورهم ونهبت أموالهم ، ثم انصرف عنهم قال : فبلغ ذلك اليمانية ، فاجتمعوا ودخل زياد بن عبد الله الحارثي معهم على السفاح ، فقالوا له : إن خازما اجتراً عليك واستخف بحقك وقتل أخوالك الذين قطموا البلاد وأتوك معتزين بك طالبين معروفك ، حتى إذا صاروا في جوارك قتلهم خازم وهدم دورهم ونهب أموالهم بلا حدث أحدثوه ، فهم بقتل خازم فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية ، فدخلوا على السفاح وقالوا بأمر المؤمنين بلغنا ما كان من هؤلاء ، وأنت هممت بقتل خازم ، إننا نستعيذك بالله من ذلك ، فإن له طاعة وسابقة ، وهو يحتل له ما صنع ، فإن شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب والأولاد ، وقتلوا من خالفكم وأنت أحق من يغمد إساءة مسيئتهم فإن كنت لابد فاعلا ومجمعا على قتله فلا تتولى ذلك بنفسك وابعنه لأمر إن قتل فيه كنت قد بلغت الذي تريد ، وإن ظفر كان خلفه لك ، قال : وأثاروا إليه بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج يعنى المسلمين ، وإلى الخوارج الذين بجزيرة بركاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، قال : وأمر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل ، وكتب إلى سليمان بن على يحملهم إلى جزيرة بركاوان وعمان أ ه .

وكان شيبان يقود جيشا يبلغ أربعين ألف رجل ، فليس يكسون

مناله هيناً ، فساقته الأقدار الى عمان ، فكان عليه من أهل عمان ما كان وإذا بخازم يلتحق بعمان طالباً للمذكور ولقتال أهل عمان ، إذ كان مندوباً لقتال الكل ، وكان أهل عمان قتلوا شيبان ولم تغسل سيوفهم من الدماء بعد حتى جاء خازم مختدعاً لأهل عمان ، بأنه جاء لقتال شيبان وقد كفيتهمونا إياه ، فسر ذلك أهل عمان ، وما كانوا يظنون أنهم مقصودون أيضاً بالذات كقصدهم لشيبان ، فخرج الامام الجلندي للاقتاتهم في ترقية من أصحابه ليتفاهم مع القوم ، فأظهر لهم خازم تلك التعليلات المرموز اليها بالخاتم والسيف ، حتى إذا رأى انقيادهم رمز لهم بالخطبة بالطاعة لسلطان العراق ، وهو السفاح ، وما كانوا مستعدين لحرب حتى إذا وقعوا فيها أحاطت بهم الجنود من كل جهة ووضعت السيوف على رقابهم والقوم غافلون ، وأعداؤهم غادرون ، وللناس طوايا تظهر عند إمكان الفرص ، ولهم غوائل ضد كل غافل وفي الغيب عجائب .

وكان قتل الامام الجلندي سنة ١٣٤ ، ومكث خازم بعمان أشهراً وكان خازم أرسل برؤوس أعيان القتل الى بغداد متبجحاً بهم ومفتخراً بقتلهم ، وعلى أثر ذلك سلط الله على السفاح الجدرى وهو بالأنبار ، وتوفي منه في سنة ١٣٦ ست وثلاثين ومائة في ١٣ من ذى الحجة ، ودفن في قصره بالأنبار ، ولم يمكث بعد قتل الجلندي إلا أقل من السنتين والله أعلم .

فرحم الله الجلندي وأصحابه ورضى عنهم ، قال صاحب معالم الجزيرة : فانتخبوا محمد بن عفان فباشروا الامامة سفتين ، فلم يحسن

العمل فخلعوه ، وأقاموا مكانه الوارث بن كعب ، قلت : هو محمد بن
أبي عفان ، وما كان في الحقيقة إماماً ، وإنما كان رجلاً تظن فيه البطولة
التامة ، ولعله يكون كفوّاً لحمل أعباء الأمر ، وإذا به بخلاف ذلك ويبقى
كضابط للجيش الى أن يرى المسلمون رأيهم ، ولما ظهر لهم عدم كفاءته
للأمر أخرجوه منه كما سوف ترى ذلك إن شاء الله .

آل الجلندى يعطون الطاعة لخازم

لما قتل الامام الجلندى بن مسعود وأصحابه ، زحف خازم على عمان فاتحاً ؛ كان آل الجلندى الذين اضطغفوا الامام فى قتل جعفر بن سعيد وابنيه ومن معهم من آل الجلندى ، الذين كاتبوا بالبيعة على الامام ، وأقصى الامام بقية آل الجلندى الذين يميلون ميلهم ومن يظن فيهم السوء ، وأدنى منه أهل التقوى ورجال العدل وأبطال الحق ، ساءهم ذلك ، ولعلمهم كما يقول القائل :

إذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وماذاك من بغض لها غير انه يرضى سواها فهو يهوى انتقالها

ولا شك أن الغالب يكون مرهوب الجانب ، ولهذا تقدم آل الجلندى إلى خازم بن خزيمة سامعين له مطيعين ، لا سيما بعد تلك الحرب الطاحنة التى أفنت أبطالا ، وما كان أهل عمان ليسلموا بلدهم الى الغازى لقمة سائغة ، بل اشتد الأمر بين خازم بن خزيمة والجلندى ، واسمع ما يقول ابن الأثير المؤرخ الشهير ، قال : سار خازم الى البصرة فى الجند الذين معه ، وكان قد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ، ومن أهل مرو الروذ من يثق به ، فلما وصل البصرة حملهم سليمان فى السفن وانضم اليه بالبصرة أيضا عدة من بنى تميم ، فساروا فى البحر حتى أرسوا بجزيرة بركاوان ، فوجه خازم فضلة بن نعيم النهشلى فى خمسمائة الى شيبان ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن ، فساروا إلى عمان وهم صفرية ، فلما وصلوا الى عمان قاتلهم الجلندى وأصحابه ، قال : وهم إياضية ، واشتد القتال بينهم وقتل شيبان وأصحابه ، قال :

باعوا بباقية الرضوان فانهم كان لذة هذا العيش شعبان

وإن مقتلة تتكشف عن عشرة آلاف قتيل لعظيمة في المسلمين ، وهنا
برز الباقون من آل الجلندی ، لملاقاة خازم بن خزيمه لينالوا معه رغبتهم
المرجوة بموت الامام الذى لم يروا معه مصالحهم . قال الامام رحمه
الله في أمر عمان بعد الجلندی كلاماً واسعاً بعضه نقل عن ابن الأثير ،
وبعضه عن التاريخ العماني خلاصته :

أن محمد بن زائدة وراشد بن النضر ، وهما أبناء من قتلها الامام
كما سبق الحديث عنهم ، وعدوها ضغينة على الامام ، وأن خازماً بقى في
عمان أشهراً يرتب أمر عمان ومعه آل الجلندی المذكورون ، وقد أرسل
برعوس القتلى إلى السفاح في بغداد ، فقط قلد خازم أمر عمان محمد بن
زائدة وراشد بن النضر ، ومعهم الأشعث بن حكيم ، وكان هؤلاء
الجلندانيون جبابرة ظلمة ، تسيطروا على الناس بسيطرة خازم ، إذ
هم له أعوان ، فكانوا عماله على قومهم ، وكان هو سيدهم والجامع بين
الطرفين الظلم والعسف والجبروت ، وهذه هي الخصال الملاحقة ،
والأعمال الساحقة ، ولكن أهل الظلم لا يبالون ، بل كانوا يقتلون النبيين
فكيف بغيرهم ، وقد اشتهر آل الجلندی بالجبروت في هذه الآونة .

قال الامام رحمه الله : ذكرت السير أى سير أهل عمان ، أن الجبابرة
استولت على عمان بعد الجلندی ، فأفسدوا فيها وكانوا أهل ظلم وجور ،
قال فمن هؤلاء الجبابرة محمد بن زائدة وراشد بن النضر الجلندانيان :
قلت : قد سبق أن خازم بن خزيمه لما احتل عمان وقتل الامام الجلندی
وأصحابه ، وانكسرت عصا المسلمين ، ودخل خازم عمان متغلباً عليها ،

وكان جباراً ظالماً كما وصفه ابن الأثير ، إذ مر على بنى عبد المسدان فقتلهم ، فهنا لباه بنو الجلندى ومهدوا له طريقاً ييساً لا يخاف فيها دركا ولا يخشى ، وكانوا أعوانه وهم أعيان أهل عمان إذ ذاك ، إذ هم ذرارى أولئك الملوك المتقدمين ، وأبناء عم إمام المسلمين ، فتقلدوا الأمر فى عمان بخازم بن خزيمة ، وشايهم أهل الأهواء من أهل عمان ، وأهل الباطل أكثر من الحق فى كل أمة ، وبقوا على فسادهم ، وخازم بن خزيمة ترف أعلامه على عمان ، وبقي فى عمان مدة حتى استقدمه السفاح إليه ، فلباه وبعان طوع يده ، ورهن إشارته ، يخطب فيها للسفاح على منابرهما ، وكان الامام قتل أقاربه المذكورين على كتاب البيعة الذى وجده عليهم ؛ وكان الكل إقطاعياً كما يقول المصريون ، وعاثوا فى عمان ، وبسرى الضعف فى المسلمين سريان النار فى الهشيم ، لأن صوت العدل خافت ، وصوت الباطل مرفوع ، ومن ذلك ما كان من الأحداث طيلة تلك المدة .

ومنها قتل عبد العزيز الجلندانى ، وعلى ما يظهر أن قتله كان لكونه من أتباع الحق ، قال الامام : وذلك فى حال ضعف المسلمين ، قال : عن الوضاح بن عقبة عن مسبح بن عبد الله أن عبد الرحمن بن المغيرة أخبرهم ، وقد كان الأشعث بن حكيم والجلندانيون على حال من الخروج ، والمعنى متظاهرون بالخروج على الدولة ، وذلك فى حال ضعف المسلمين فى أيام خازم بن خزيمة ، وأن جعفر بن بشير كان هو وآخر غيره بالعراق مع أبى عبيدة وحاجب رضى الله عنهما ، حتى قدم الجلندانيون إلى العراق ، أى كانوا يراجعون سلطان العراق ، وهو السفاح المقدم الذكر ، فأخبر القادمون الامام أبا عبيدة وحاجباً أن الجلندانيين نزلوا على عبد العزيز الجلندانى فقتلوه ، فقال لهم موسى وحاجب : لا تقبل مقاتلكم على المسلمين ، فلم يقبلا قولهم ،

قالوا : فإننا نذهب إلى السلطان • قال : اذهبوا ، وكانوا أرادوا بذلك الشكاية إلى الامام أبي عبيدة ليدخلوا السبيل من طريقه • قال : فلما حضر خروج جعفر وصاحبه إلى عمان ، قالوا لأبي عبيدة • ما نقول لأهل عمان منكمما في القوم ، وقد كان أهل عمان افترقوا في قتل عبد العزيز فمنهم من برىء منهم أى من القاتلين ، ومنهم من تولاهم أى القاتلين ، لما كان من أقوال تنبنى عليها الأحوال ، قال : ومنهم من وقف عنهم للإشكال الذى عرض لهم ، هل كان عبد العزيز من البغاء أم من الثقات ؟ فقالوا ، أى أبو عبيدة وزميله حاجب : قولوا لأهل عمان إن كل لسه ولاية يقولاه المسلمون ، وكل من كان على أمر من أمرهم أولى بما ضيع ، حتى يطلب الأمر إليه الذى ضيعه ، فيكون فيه عليه الحق أى يمتنع عن إعطائه ومن امتنع عن إعطاء الحق فهناك تترك ولايته ، أى أن سبقت له ولاية فبامتناعه عن إعطاء الحق تسقط ولايته • قال : فهذا حديث عبد الرحمن بن المغيرة عن المسبح بن عبد الله •

قال الامام : وباحاصله أن الطائفة الخارجة نزلوا على عبد العزيز فأضافهم فقتلوه ، فلم يستحسن المسلمون ذلك منهم ، فلهذا اختلفوا في ولايتهم ، حتى قال أبو عبيدة ، قال هو وحاجب في فضل القضية ، قال : وكان المسلمون يرجعون إلى قولهما ، أن بنى الجلندى قد طلبوا إلى أبي عبيدة وحاجب ما طلبوا من قتل عبد العزيز ، فلما يسمعا ، فلذا قال الجلندانيون : نذهب إلى السلطان يعنون عامل بنى العباس • فقال : اذهبوا على طريق التهديد ، ولم يبلغنا أنهم ذهبوا إلى السلطان والله أعلم بما كان •

شبيب بن عطية العثماني المحتسب

من حوادث أيام بنى الجلندی ، ظهور شبيب بن عطية العثماني ، ولا يشتبه عليك بشبيب الخارجي إمام الصفرية ، فإن بعض الناس التبس عليهم شبيب العثماني بشبيب الخارجي ، وكان شبيب هذا من أصحاب الامام الجلندی ، ذكر ذلك الشيفان : أبو محمد وأبو الحسن ، ولم ينسبوا ولم أعرف نسبه حتى أحرره ، وهذا من قصور أهل العلم .

قال الامام ، في تحفة الأعيان ، بعد أن ذكره عن أبي محمد وأبي الحسن قال : وذكر غيرهما أنه كان يجبي القرى ، ولم يكن إماماً منصوباً ، وإنما كان محتسباً . قال : والظاهر أن أمره هذا كان بعد الجلندی ، وكان رجلاً صلباً في دينه شديداً على الجبابة ، داعياً إلى مخالفتهم ، قال وله سيرة تنبىء عن تصلبه في دينه وشدته على البغاة ، يعنى مقالة حررها ونشرها إلى الناس ليعلموا الأحوال في مهاج الأعمال ، وهذا معنى السيرة عند أهل عمان ، إذا قالوا في سيرة فلان ، ولفلان سيرة إلى بنى فلان ، وهكذا وكانت سيرة شبيب معربة عن قصده ، مبرهنة عن صده ، وفي الأثر لأهل العلم كلام على شبيب المذكور وأعماله ، وفي ولايته والبراءة منه ، وذلك لتصلبه ، فمن رأى من شبيب التصلب في أعماله قال : ليس له هذا إذ هو ليس إماماً حتى يفعل هذه الأشياء ، والذي يهمهم أمر المسلمين ويود إرغام المفسدين يقول : ما فعله شبيب حق وصواب ، وإذا بالناس فريقان أو ثلاثة ، وهكذا العلماء حين يريد الله خذلانهم بعد ما قال لهم : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

قال الإمام : صار يجبي القرى احتساباً ، فمنهم من لم ير له ذلك ،

لأنه ليس بإمام منصوب ، ومنهم من عذره ورآه محتسباً ، وللإمام حقوق يراها أيضاً بعضهم للمحتسب . قال المعتز بن عمار بن سالم بن ذكوان الهلالي : إن البراءة منه وحد السيف معاً ، أو قال سواء إنى لا أبرأ منه حتى يحل دمه ، قال هاشم بن غيلان ، عن موسى بن أبي جابر قال : قلت للربيع ما تقول في أهل عمان ؟ فإنهم اختلفوا واختلفوا في أمر شبيب قال : قال الربيع من تولاه فقولوه ، ومن برىء منه فابعدوا منه . قال فقلت : ما القول في الكف فإنى أرجو أن يكون فيه ألفه وصلاح ؟ قال : نعم يقول بشير ؟ قال قلت : صاحبى ولا يخالف على ، فقال أنتم أعلم بأهل بلادكم ، وأما أنا فليس ذلك رأيى . قال فلما قدم موسى أشهر ذلك ولقى هادية فتابعه .

قال عبد الوهاب بن جيفر : من تولاه برئنا منه ، قال هاشم : وكره بشير الكف ، وقال معقل : يتولاه بشير وأهل الحق ، قال : وسئل الفضل بن الحواري عن الذى اختلفوا فيه من أمر شبيب ، قال : كان مجاباً ، وكان يجبى القرى ، فإذا قدم السلطان تركها واعتزل . قلت : ولم يذكروا من هذا السلطان الذى إذا قدم ترك شبيب الجبابة من أجله وهذه الأيام هى أيام السفاح في بغداد ، ولم يقل التاريخ إن السفاح جاء عمان ، ولعله عامل السلطان أو رسول برسله سلطان العراق لأخذ الجبابة من عمان ، فإن جاء ترك شبيب الجبابة خوفاً ، فإذا ذهب إلى العراق برز شبيب وأعلن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ودعا إلى الجبابة ، والظاهر أن الذى يبرز لشبيب الأمير الذى ولاه خازم وأقره سلطان العراق من آل الجلندى .

قال الإمام السالمى : قلت ولعل اعتزاله كان في عام لا يجبى فيه ،

أى إنما يترك الجبائية فى عام لا حماية له على البلاد ، ويفهم من ذلك أن السلطان المشار إليه يأتى فى بعض السنوات فإذا جاء تخاذل عن شبيب أعوانه خوفاً من السلطان • قال الإمام : إنما جبائته كانت وقت حمايته فمتى حصلت له الحماية جبى ما قدر عليه ، وهتى زالت عنه بالعجز عنها رفع يده • قال : وهذا هو الظن بشبيب إن صح ما قاله فيه الفضل بن الحوارى • قال : والظاهر منه التصلب فى الأمور ، فتخلىة البلاد للحائر منا فيه للظاهر من حاله والله أعلم بما كان هنالك •

قال أبو الحوارى : من برىء من شبيب برئنا منه ، ومن برىء ممن تولاه برئنا منه ، ومن تولى ممن تولاه فهو على ولايته إن كانت له ولاية أ • •

هذا ما ذكروه من أمر شبيب هذا ، ولقد قام شبيب على الأقل أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر على قدر استطاعته ، فاعلا للخير عاملاً لله بما استطاع كيف يبرأ منه ، وما بال هؤلاء الذين يقولون بالبراءة لا ينفلون شيئاً يحسن السكوت عليه ، أو ما بالهم لا يشدون عضده ولما لم يفعلوا شيئاً من ذلك ، ما بالهم ينتقدون شبيباً ويعلمون البراءة منه أيحسن الإنسان المسلم ويجازى على إحسانه بالتأنيب ورفضه من ولايته ، إن هذا لا يليق فى الدين ، ولا يحسن بالمسلمين ، ولا هوادة فى الدين ، فإن الحق مطلوب من أى الناس الذين يستطيعون إقامة حق فى لأمة ، وإن قيل : إن شبيباً لم تقع له بيعة من المسلمين • فالجواب : كذلك بيعة أبى بكر رحمه الله ، وإنما بايعه بعضهم فقط ، ورضى الباقون فثبت إمامته ، ولا يشترط بيعة عموم المسلمين • واليكم سيرة شبيب التى ذكرها الامام السامى رحمه الله • وهى تدل على أن شبيباً كان أميراً صالحاً مطاعاً فى

الأمة ، ماضياً فيها على الحق والحق يجب قبوله ممن جاء به ومن قام به في الأمة ، ولو كان عبداً حبسياً مجدداً .

قال شبيب : أما بعد فإنه قد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : يد المسلمين واحدة على من سواهم ، والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، وقد أمسيتم وأمسينا إخواناً على الصالح التي قد ترون . اختلفت في إعلق الأمة وتشتت أمرها ، ووثب بعضهم على بعض كالسباع ينهش بعضهم بعضاً بالظلم والعدوان . والغشم وانتهاك المحارم ، ولا يعرفون حق الله ولا حرمة الاسلام ، ولا يحتجرون به وأمسينا بحمد الله ونعم الله علينا وعليكم سابعة ، وفضله علينا وعليكم عظيم ، يؤمن بعضنا بعضاً ، ويعرف بعضنا لبعض حرمة الاسلام ، وحق أهله ، وكتاب الله أمامنا وأمامكم ، إن كنا وكنتم صادقين . يا أيها الناس : اعلموا من أمرنا أن نقاتل ونقتل من عصى الله حتى يفيئوا إلى أمر الله ، أو تقنى أرواحنا إن شاء الله ، لبرد منار الاسلام الى معالمها الأولى التي كانت على عهد نبي الله ، والذين من بعده أبي بكر وعمر حلال الله حلال إلى يوم القيامة ، ورضاء الله رضا الى يوم القيامة ، وسخط الله سخط الى يوم القيامة ، لا تنقض الطاعة بالمعصية ، ولا تثبت الطاعة بالمعصية بل بالطاعة ، ولكن حتى يستكمل الناس جميعاً الطاعة بحدودها وأعلامها ومنارها ، وأحكامها وأنسابها الرضا بها ، ومن كره هذا فالطريق له مخلق يذهب حيث يشاء من البر والبحر ، وليكن امرؤ على حذر أن يتتبع عورات المسلمين ويكاتب عدوهم ، ويشغب عليهم بسعيه بين المسلمين بطانة .

إلى آخر ما جاء فيها من بيان الحق الواضح ، والتحريض على القيام

بالأمر ، والرد على المخالفين في شكهم وحيرتهم أ ه ما أورده الامام السالمى من كلام الأمير شبيب بن عطية رحمه الله ، وهذه الكلمات الجوهريّة من هذا البطل المسلم التى تعرب عن نزاهة نفسه وحسن سيرته ووثوقه بربه ، وغيرته على الأوامر الدينيّة ، وتصلبه في إثبات الحق وقيامه بأوامر الله عز وجل ، لها قيمتها عند أهل العدل الذين ينزلون الرجال منازلهم ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو قام رجال الدين كشبيب هذا كل من جانبه لما راجت أسواق الباطل ، ولا تجرأ على أهل الحق جاهل ، وبماذا تعرف الرجال إلا بالأفعال ، فلقد أحسن شبيب رحمه الله وشكر الله له عمله إن شاء الله .

ومن الأحداث التى وقعت في أيام آل الجلندى بعد إمامهم المرضى الجلندى ابن مسعود خروج غسان بن سعيد المحاربى الهنائى في سنة ١٤٥ في عهد المنصور العباسى في بغداد ، خرج على المسلمين بعمان غسان بن سعيد المحاربى الهنائى على نزوى ونهبها ، وغاب فيها بمالا يرضاه الله ولا رسوله ، وقتله بنو نافع وبنو هميم في نزوى ، فغلب عليهم وقتل منهم خلق كثير ، وكان بنو نافع من أشراف أهل العقر ، إذ هم رهط الشيخ أبى المنذر بشير بن المنذر ، وكان بنو هميم بطناً من بنى معن بن مالك بن فهم ، وكان آل الحارث إبراء أنصاراً لهم ، وبين الفئتين روابط صداقة فتآمروا على قتل غسان ، واجتمع رأيهم أن يمشوا الى العتيك ، واتفق الرأى العام بينهم على ذلك ، وخرجوا وكمنوا لغسان بين داره ودار جناح في صحار بموضع يقال له الخور ، وقد رجع غسان عائداً رجلاً مريضاً من بنى ريخة ابن هناة بن مالك ، فمر بهم وهو لا يشعر بمكانهم ، ولا شك أن الطالب غالب فلما مر عليهم تمكنوا منه فقتلوه ، فغضب لذلك منازل بن خنبش ، وكان منزله في نبا بموضع يقال له العقير ،

وكان منازل المذكور عاملا هناك لمحمد بن زائدة بن جعفر بن سعيد الجلنداني ، وراشد بن الفضر ، فثار هؤلاء غازين أهل إبراء من شرقية عمان ، حتى أتوا على حين غفلة من أهلها ، فلما علم أهل إبراء بهذا الغزو ، برزوا وأداروا رحى الحرب بين الفريقين ، فكانت الدائرة على أهل إبراء ، وانكسفت الواقعة عن أربعين قتيلا من أهل إبراء خاصة ، لأن الغزاة كانوا كامنين لهم على مرصد يمكنهم من قتل القوم ، وفي هذا التاريخ كان للمعهد في بغداد للمنصور العباسي ، وهو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، وفي الأندلس عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، وفي هذه الأثناء بدأ دور بني الجلندى للانحلال ليحل محلهم من يصلح أمر الأمة بعد الضلال ، وينير الطريق للمسلمين لإنقاذهم من ورطة الوبال ، ولكل نسيء غاية ينتهي إليها فقد أراد الله زوال الأمر لينغيهم بعد عدلهم .

قال الإمام : في الأثر والمراد به دواوين الفقه التي دونها العلماء فوضعوا فيها حقائق تاريخية تتعلق بالأحكام الشرعية ، وكذلك قولهم قال المسلمون فتراهم يطلقون ذلك ويريدون به أهل الوفاء بدين الله منهم لا مطلق من ينتحل مذهب الإباضية من السواد الساذج ، ويطلقون ذلك أيضا ويريدون به الكل ويريدون به أحيانا أهل الولاية خاصة ، ولكل مقام مقال . قال أبو إسحاق : اعلم أن أصحابنا رحمهم الله يذكرون لفظ المسلمين ويريدون به أهل الوفاء بالدين . أي أهل الاسلام الكامل ، فبدلك على هذا أنهم يذكرون لفظ المسلمين مقابل الجبابرة ، وكلاهما يصدق على أهل المذهب ، كما يذكرون المسلمين مقابل المخالفين ، ويذكرونه ويراد به أهل الولاية ، ويراد بقسميه أهل البراءة ، وكل ذلك يستدل عليه بمعونة

القرائن ، وليس المراد أن قسيم المسلمين المشركون كما هو اصطلاح الخوارج والوهابيين ، هـ تعليقا على الطبعة الثانية لتحفة الأعيان .

ولا يخفى أن راشد بن النضر ، ومحمد بن زائدة الجلفدانيان ومن معهما من أهل عمان ، لا زالوا يرتادون المساعدة والمعونة على أهل عمان لتعزيز رئاستهما ، والتغلب على الأمة بالقهر ، كما كان آباؤهما ، وقد قضى الامام عليهم كما تقدم ، وبقي هؤلاء يتعززون بالغزاة لعمان ، ويرومون السيطرة على الأمة بدعوى أنهم أحفاد الملوك ، وأولياء الأمور دون غيرهم ، وكانت شوكة المسلمين أعنى أهل الحق قد ضعفت بتلاشي الأمور ، قال الامام : وهم يومئذ أهل ضعف ، أى فى ذلك الحال ، وكان راشد ابن النضر قد نزل بالمهرة يطلب منهم الفجدة على أهل عمان ، لأن المهرة أقرب الى عمان من غيرهم ، وكان سلطان بغداد إذ ذاك مشغولا بشئونه فى بلاده ، وإذا جاء عمان وانتصر على أهلها ربما اجتاحت الغث والسمين ، وأما المهرة فليس لهم ذلك ، وإنما هم أجلاف تقضى بهم لأغراض ويكثر بهم السواد ، ثم أقبل راشد بن النضر بجيشه يشق عمان من طريقها الغربى حتى بلغ أهل عمان أنه نزل المجازة من الظاهرة ، كما أشار الى ذلك ابن رزيق وأخذه عنه الامام السالمى رحمه الله ، ولعل أكثر أهل أهل السير من أهل عمان يذكرون ذلك ، وكانت من الظاهرة وهنا تحرك العمانيون لمقاومة هذا الباغى ، فتكاتبوا من جميع النواحي وتعاهدوا على حرب هذا البغى الذى أقبل به راشد بن النضر ليقضى به غرضه فى قومه أهل عمان ، وكان عبد الملك بن حميد يومئذ شاباً أى جديد عهد وكان يدعو المسلمين على المبايعة على راشد بن النضر ، ومعه محمد بن المعلى والأخنس الفشحي من كندة ، وخرجوا فى طلب راشد المذكور متجربين لحربيه خائفين من فسادهم فى عمان ، فالتقوا فى المجازة من أرض الظاهرة

شرقى وادى المجازة ، فدارت رحى الحرب بين الفريقين فانتهصر المسلمون على راشد وهزمه الله ، وقتل من قومه كثيرون ، وأكثر القتل وقع فى بنى ناحية إذ هم الأكثر وهم شرارة الجيش ، فقتل منهم خلق كثير يحصون وإذ ذاك هرب راشد بن النضر ، واستولى المسلمون على داره فنسفوها لئلا تكون له قوة يأوى إليها ويتحصن فيها هو أحزابه ، وبسبب نفسها وقع بين أهل العلم القيل والقال فى نسفها ، فقد جاء فى الأثر أن المشايخ من أهل سلوت ومن معهم غضبوا لنسفها ، فقليل من حديث الفضل بن الحواري عن أبى جعفر سعيد بن محمد ، وعن سعيد بن محرز ومحمد بن محبوب ، وعن محمد بن هاشم عن هاشم بن غيلان أن المسلمين لما نسفوا دار راشد قدم عليهم الأشعث بن محمد وهم مع بشير فى بهلى ، فتكلم فى ذلك الأشعث بن محمد ، وقال : ليست هذه الحال من سير المسلمين ، والمعنى أن هذا لم يكن من عمل المسلمين فى حروبهم ، فقلت له قد نسف المسلمون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حصن بنى النضير فرد على ذلك أى الأشعث ، قالوا بيان ذلك فى كتاب الله عز وجل ، قال الله عز وجل : (يخرّبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) ، وذلك أن المؤمنين كانوا ينسفون من قبلهم ، وكانت اليهود تنسف من قبلها ، ذلك لأن المسلمين كانوا يتوقعون الهزيمة ، وأرادوا أن يفوتوا اليهود ما استطاعوا تفويته واليهود يرون أن المسلمين منصورون عليهم ، ولهذا قاموا ينسفون ما استطاعوا أن ينسفوه حتى لا يستغنى المسلمون ، فنزلت الآية فى ذلك بعينه ، وقيل إن اليهود يسدون بما ينسفون الخلل الذى ينسفه المسلمون ، والمعنى واحد . وقال غيرنا : إن المسلمين أيضا قام بعضهم ينسف وبعضهم يعارض كما صرح بذلك أهل التفسير ، فرد الأشعث على ذلك معارضا له ، فقال بشير بل هكذا

كان كما يقول المسلمون ، قلت : أى قال الشيخ المعارض للأشعث : وبلغنا أن أهل دار رموا المسلمين بسهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنسفها فنسفت ، فقال الأشعث لعلهم نسفوا شرفاتها ، فقال الشيخ بشير : بل نسفوها من أصلها ، قال الامام ، وكان ابن راشد في نزوى ، ولعله راشد بن النضر ، وهو الواضح قال أبو جعفر : خرج المسلمون بعمان ، فلم يأخذوا الزكاة حتى كانت وقعة المجازة في شهر رمضان ، أى الوقعة التى كانت بينهم وراشد بن النضر التى انهزم فيها راشد بن النضر وأعوانه من آل الجلندى ، ورأوا بذلك استحلال الجباية ، إذ لا جباية إلا بحماية ، ورأوا أن حمايتهم الآن اتضحت على عمان ، أما قبل ذلك فلا ، لأن راشد بن النضر ومحمد بن زائدة ومن معهما يسيطرون على عمان ، وبانكاسارهم في وقعة المجازة رأوا أنهم لا يرجعون الى ظهر ، ولا يؤيدهم أحد لا سيما أن المسلمين كلهم مجتمعون ، وقد هرب راشد بن النضر شاردة من عمان ، وإن أهل عمان قد نسفوا دار راشد ، وبعبجره قد زالت قوته وانكسرت شوكته ، وخرج من عمان خائفا يترقب ، ورجع المسلمون إلى منج ، وخرج منهم من خرج الى موسى بن أبى جابر في أركى ، وكان مرجع المسلمين ، وكان به علة فحملوه إلى معسكرهم بمنج . فلما وصلوا بموسى وكان معه زميله الشيخ الكبير بشير بن المنذر رحمهما الله وجماعة من أخصيار المسلمين وأعيانهم في العلم والدين ، واجتمعوا للمشورة فيمن هو الذى يليق بتقديمه في المسلمين ، وتطمئن به النفوس ، ويكون كفؤا للأمر الذى هم بصددده ، وكيف يأتون هذا الأمر ، وكانت الآراء تتضارب في الموضوع ، والخلاف والشقاق مرهوب الجانب والدخول في الأمر الجلل يحتاج الى نظر طويل ، والقاء الآراء على بساط المجتمع أمر يفكك الحزمة التى عليها أولئك المجتمعون ، ولكن من أنضجته التجارب ودارت عليه الأيام دورات متعددة يفهم من أين تؤكل الكتف .

هنا قال الشيخ موسى بن أبى جابر رحمه الله لمحمد بن المعلى الكندى : قد وليناك صحار وما يليها ، فاكفنا أمرها وولينا فلاناً كذا ، وولينا محمد بن عبد الله بن أبى عفان اليمدى وادى القرىات وبقية الجوف ، فرضى كل موضعه ، ويسر كل واحد بولايته المشار إليها ، وبذلك فرق الشيخ موسى بن أبى جابر لهؤلاء المتطاولين للأمر ، المادين له أعناقهم • وقال موسى لمحمد بن عبد الله : اقطع للناس الشرى ، وكان بشير بن المنذر معهم وهو ساكت ، وقد سمع ما قال موسى وما فعل فقال عند ذلك كنا رجوناك يا أبا على أن تسير بهذه الدولة ، فرددتها الى هؤلاء الذين يخافون على الدولة ، والمعنى سلطهم على الأمر وهم غير مخفى جانبهم • فقال الشيخ المجرب موسى بن أبى جابر : إنما كان نظرى يا أبا الحكم للدولة ، أى ناظر فى صلاحها لا فى غيره ، لأنهم قد اجتمعوا وكل يطلب هذا الأمر لنفسه ، والأمر بعده ضعيف ففرقناهم عن وجوها حتى يقوى الأمر ويشتد ساعده ، ونتمكن من نفوذ ما نريد أن ننفذه • قال : فأمر محمد بن عبد الله بن أبى عفان أن يقطع للناس الشرى كقطع ، والمعنى أقام الجند الذى يعتمد عليه للقائم بالأمر ، وكان ذلك هو ما يجرى فى عرفهم مقاطعة العسكر على أجرة معلومة يقبلها الجندى ويلتزم بها المسئول على حسب الاتفاق ، ألا تسمعه يقول : فقطعه حتى قوى أمره ، فلما قوى الأمر أمر موسى بن أبى جابر محمد عبد الله بن أبى عفان ، فأرسل الى القرى الولاية وعزل كل من كان ولاء ، وقامت دولتهم وانه لنظر سديد ورأى رشيد ، بلغ به موسى بن أبى جابر رحمه الله الفضل وظهر به على الدروة ، وتمكن من ترتيب ما أراد والحمد لله الذى يهدى من شاء للحق بإذنه •

ولولا ذلك الذى صنعه موسى لما تم لهم أمر ولا قامت لهم قناة ،

فإنهم على ظهر شقاق وكل يحاول أن يكون هو وموسى كان يفهم مقاصد القوم ويعلم ما انطوا عليه ، ولما تفرقوا وجمع هو الجيش الذى يعزز الحركة ، ويقيم الأود ، ويرفع العلم رد على الولاة وأخرجهم من ولاياتهم ، وأنه يعلم أنهم ليس لهم أن يخالفوا ، ولعلمهم يعتقدون إن عزلوا من هنا يولون من هناك ، فتسكن نفوسهم الى ذلك ، وقد بلغ ما أراد واستقر الأمر واجتمع المسلمون بعد معرفتهم ، وتشتت شملهم وكان السلطان العام إذ ذاك فى بغداد الخامس من بنى العباس ، وهو الرشيد فانه تولى الأمر بعد وفاة أخيه الهادى ، وذلك فى سنة ١٧٠ سبعين ومائة فى ١٤ ربيع الأول من السنة المذكورة ، وكانت تلك الأحوال المارة كلها فى أيام أبيه المهدي ، وأخيه الهادى ، وعاش الرشيد الى سنة ١٩٣ ثلاث وتسعين ومائة ، وكان الرشيد وأيامه زهرة الدولة العباسية بكل معنى الكلمة ، ولكل شىء غاية ينتهى اليها ، والدنيا لا تستقر على حال ، (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وفى ذلك من الحكمة الإلهية مالا يبلغه عقل عاقل مهما بلغ من سعة التفكير وحسن الدراية والله ولى الكل *

محتويات الكتاب

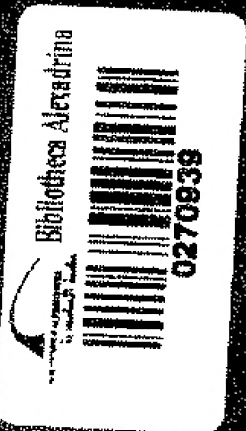
الصفحة	الموضوع
٥	ترجمة مؤلف الكتاب (تمهيد)
٦	من هو مؤلف الكتاب ، اسمه ونسبه
٧	مولده ونشأته ، صفاته وبعض من أخلاقه
٨	أعماله
١٠	مؤلفاته
١٥	مقدمة
٣٧	الحلقة الأولى من تاريخ عمان (في التعريف بعمان)
٥٤	مناخ عمان ، جبال عمان
٥٥	رمال عمان
٥٦	مراعى عمان ، حيوانات عمان
٥٧	الحيوانات الوحشية ، بحر عمان
٥٨	أودية عمان
٦١	الولايات بعمان
٦٢	العواصم بعمان
٦٧	الحلقة الثانية (في الأمم التي قطنت عمان)
	الحلقة الثالثة (في نزول مالك بن فهم بعمان وحروبه للفرس
٧٤	الى انتهاء أمرهم)
٧٨	مالك بن فهم يروم التغلغل في داخلية عمان
٧٩	الفرس يعقدون مؤتمرهم في ذلك
٨٠	مالك بن فهم يتأهب لمصادمة الفرس بعمان
٨٢	المرزبان يبتدىء بفتح الحرب

الصفحة	الموضوع
٨٥	الفرس تطلب من مالك بن فهم الهدنة
٨٦	مالك بن فهم يلقى نظرة الى قلعات
٨٨	الملك يجهز قواته لحرب العرب في عمان
٨٩	مالك بن فهم يتأهب لمصادمة العجم مرة أخرى
٩١	الحرب تشتد بين مالك بن فهم والفرس لتنتهى
٩٦	أعمال مالك بن فهم بعد انتهاء الحرب
١٠١	أولاد مالك بن فهم وأعمالهم بعد أبيهم
	الحلقة الرابعة (في بدء الاسلام بعمان الى انقضاء أيام
١٠٥	الخلفاء الأربعة)
١٠٨	مازن يتسكو حاله لرسول الله
١١٤	ملك عمان جيفر يعقد مؤتمر للنظر في الدعوة النبوية
١١٧	النقاس يدور بين عبد وعمر
	عمر بن العاص أمير عمان يخرج الى المدينة معبرا عن انقياد
١٢٤	أهل عمان للاسلام
١٣٢	أبو بكر يجهز عبد بن الجلندى ومن معه لحرب آل جفنة
١٣٤	عمان وأبو بكر رحمه الله تعالى طيلة حياته
	الحلقة الخامسة (في فضائل أهل عمان وذكر مشاهيرهم
١٤٢	في صدر الاسلام
١٦٠	أو بكر الصديق وعمان
١٦٥	عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمان
١٦٩	عثمان بن عفان وعمان في عهده
١٧٩	على ابن أبى طالب وعمان
١٨٤	خلافة عبد الملك ابن مروان وعمان

الصفحة	الموضوع
١٩٢	أول عامل للحجاج على عمان
١٩٤	مذهب أهل عمان
٢١٠	سلسلة مذهب أهل عمان
٢٢٢	كلمة اجمالية على أمراء بني أمية
٢٢٧	عمان تتحضر لتستقل عن الزعامة العامة
٢٢٩	تاريخ البيعة للإمام الجلندى بن مسعود رحمه الله
	التاريخ يحدث عن الإمام الجلندى وأصحابه رحمهم الله
٢٣٣	وعن أعمالهم بعمان
٢٣٧	الجلندى ينظم شراته
٢٤١	الإمام الجلندى يقتل أبناء عمه في الله
٢٤٣	المسلمون يشتدون على الإمام الجلندى
٢٤٥	مقتل أبى الدلف شييان بن عبد العزيز اليشكرى بعمان
٢٥٠	منتهى أمر الإمام الجلندى وأصحابه بعد قتل شييان
٢٥٨	آل الجلندى يعلنون الطاعة لخازم
٢٦٣	شبيب بن عطية العماني المحتسب

حقوق الطبع محفوظة لدى
وزارة التراث القومي والثقافة
ص.ب : ٦٦٨ - الرمز البريدي : ١١٣ مسقط
سلطنة عُمان

رقم الإيداع : ١٦٠ / ٩٢



To: www.al-mostafa.com